القراءة الغربية للقرآن الكريم





WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY
Association Mondiale de L'Appel Islamique

القراءة الغربية
للقرآن الكريم

إهــــــــداء ٢٠٠٩
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
الجماهيرية العربية الليبية

القـراءة الغربيـة للقرآن الكريـم

ندوة دولية نظمتها

كلية الدعوة الإسلامية بليبيا

بالتعاون مع

رابطة الجامعات الإسلامية



القراءة الغربية للقرآن الكريم

نـــدوة



منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
طريق السواني - طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
هاتف: 65 ـ 4808461 ـ بريد مصور: 4800293 ـ ص.ب: 2682 طرابلس
website: www.islamic-call.cpm
E-mail: Society@the-wics.org

سنة الطبع: 1377 من وفاة الرسول ﷺ ـ (2009) مسيحي
الرقم المحلي: 118/ 2008 دار الكتب الوطنية ـ بنغازي
الرقم الدولي: ردمــك: ISBN: 978-9959-28-163-0



الكلمات الافتتاحية

افتتحت الندوة الدولية حول «القراءة الغربية للقرآن الكريم» بكلمات ألقاها على التوالي:

أ. د. محمد أحمد الشريف	الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية
أ. د. جعفر عبد السلام	الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية
أ. د. محمد الزيادي	عميد كلية الدعوة الإسلامية

وذلك في محفل كريم حضره علماء ومفكرون من جامعات عربية وغربية.

كلمة أ. د. محمد أحمد الشريف

الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية.

الأستاذ الدكتور محمد الزيادي عميد كلية الدعوة الإسلامية.

السادة العلماء

الأخوة الضيوف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هذا اللقاء يعتبر لقاءاً مهماً. ويقع في إطار الاهتمام العلمي بشأن من شؤون المسلمين، هو في غاية الخطورة في هذه المرحلة بالذات، وهو تتبع فهم صحيح للقرآن الكريم، وفهم عميق من قبل المهتمين بهذا الكتاب (الوحي الخاتم) الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ.

في الماضي ـ ومنذ أكثر من ثلث قرن من الزمان ـ عندما تحدث الأخ معمر القذافي حول أهمية القرآن الكريم، وأهمية شخصية الرسول الكريم محمد

ابن عبد الله ﷺ في ذكرى المولد النبوي الشريف؛ كثير من الناس، وكثير من المسلمين، اعتبروا أن في هذا الحديث شيئاً من التزيد، وشيئاً من خلط الأمور، ولكن تمر الأيام ونجد أنفسنا في وضع تناوله ذلك التحليل منذ أكثر من ثلث قرن بالإيضاح والدراسة.

نحن كمسلمين تشرذمنا وتفرقنا لأسباب كثيرة، اقتصادية واجتماعية وسياسية، نواجه ضغوطاً من الخارج، وضغوطاً من الداخل، ولكن الذي رسّخ ذلك التفرق وأصبح سبباً في تفرقات أكثر هو الجهل بثوابت الدين، والجهل بمصادر هذه الثوابت، والتحليل الذي أشرت إليه يذكّر برؤية إسلامية واضحة أكد عليها رسول الله ﷺ وهي أن القرآن، الوحي الخاتم، هو المرجع الأول في كل شؤوننا، وفي كل شؤون حياتنا، وفي كل أساسيات الدعوة، وأن شخصية الرسول ﷺ هي أساس هذه الثوابت، وأن وفاة رسول الله ﷺ هي الفيصل بين الدين وبين التراث.

وللأسف ـ أحياناً كثيرة أصبحنا نُنَظِّرُ للتراث، وهو شيء مهم طالما أنه محكوم بالثوابت، ولكن عندما يغض الناس النظر عن الثوابت من أجل تفعيل بعض رؤى التراث، وقعنا ونقع في أمور كثيرة في مسيرتنا التاريخية وخاصة المعاصرة.

لا أريد هنا أن أذكر أمثلة حية في حياتنا المعاصرة تبتعد كثيراً عن التأكيد على ثوابت العقيدة في القرآن الكريم، وتنجرُّ نحو مسائل في التراث أوجدتها الصراعات بين الفرق والمذاهب، والرؤى المختلفة، ولعل التطرف والتشدد الذي عانينا منه منذ أعوام، بل منذ عقود، وأدى إلى ما أدى إليه وما ترونه الآن، أدى ذلك إلى النتائج التي نعاني منها؛ قد جاء نتيجة للاعتماد على رؤى ضيقة أوجدتها بعض مراحل فهم التراث الإسلامي، بعيداً عن حكم القرآن وبعيداً عن فهم شخصية رسول الله ﷺ. ذلك شأن بين المسلمين والمسلمين، وهو دائماً

يحتاج إلى تعمق في الفهم، ونحن اليوم نلتقي على مائدة من جانب آخر من جوانب فهم القرآن، وهو رؤى بعض الثقافات الأخرى حول القرآن الكريم، وما يتصل بذلك من الترجمة والفهم والتحليل، والحملات التي أشار إليها بعض الإخوة.

نحن نحتاج إلى لقاءات علمية، مثل هذه الندوة، بمشاركة العلماء والباحثين، لفهم كثير من شؤوننا وشجوننا.

إن مسألة الرؤية الغربية أو القراءة الغربية للقرآن الكريم مسألة قديمة جديدة، وهي موجودة منذ بداية التعامل الغربي أو التراث الحضاري الغربي مع القرآن، ومع شخصية الرسول ﷺ، ومع الدراسات الإسلامية، وهذا أمر وثقته دراسات المستشرقين، ودراسات المهتمين بالشأن الديني والشأن السياسي والعسكري في أوروبا. وقراءتنا التاريخية توضح أن هناك ـ أحياناً ـ اجتهادات فردية، وهناك ـ أحياناً ـ حملات دينية، وهناك ـ أحياناً ـ حملات للتمهيد للاستعمار، وهناك ـ أحياناً أخرى ـ حملات أكبر للاستيطان، ولتحضير أو تحديث المجتمعات الإسلامية أو العربية، لأنها أقرب إلى أوروبا.

وبالنسبة لاجتهادات العلماء ـ بالرغم من أن التأويلات كانت تقصد أمراً آخر غير العلم ـ فقد نُظر إليها من طرف المسلمين في الماضي على أنها قد تكون اجتهادات علمية فردية، وفيها أفكار تحتاج إلى مناقشة وردود علمية في إطار الجامعات والمؤسسات العلمية. وهناك حوار تم في الماضي وفيه الكثير من الخير للعلم ولتقدم المعرفة الإنسانية، سواء كان من طرف المسلمين والعرب، أو من طرف الأوروبيين على اختلاف لغاتهم. وهناك دراسات علمية جيدة من كثير من المستشرقين والغربيين، وهذا شأن العلم، بمعنى أن هناك دراسات نقدية في الغرب للإنجيل وما حواه، قد تكون لها أسباب لمجموعات الضغط أو غيرها، كما اتضح للكثير من الناس، وأحياناً تكون اهتمامات فردية

علمية، وذلك أمر خبرناه نحن المسلمين والعرب، وتقبلناه ورددنا عليه وحاورنا الآخرين فيه، وهو ـ في كل الأحوال ـ مجال للبحث في إطار المؤسسات العلمية والفكرية، صحيح أنه قد وُظّفت ـ أحياناً ـ مثل هذه الرؤى في إطار سياسي أو استعماري أو عسكري أو أمني أو اقتصادي؛ وذلك أمر يتم بالنسبة لأية دراسة.

ولكن المزعج ـ في الحقيقة ـ في هذه المرحلة الأخيرة هو أنه بعد سقوط الاتحاد السوفييتي أصبح الإسلام هدفاً وعدواً أولاً، قبل كل الثقافات والحضارات الأخرى، بالنسبة للغرب ولأوروبا، وهذا أمر لا ندّعيه نحن، لأننا نعمل في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، أو لأننا ننتسب إلى الأمة الإسلامية، بل هذا أمر معلن رسمياً من طرف المسؤولين السياسيين منذ أكثر من عقد من الزمان، ومعلن رسمياً في تصريحات رسمية، ومعلن عن طريق مؤسسات اقتصادية وعسكرية ومحاور إقليمية، وعن طريق مؤسسات علمية أو شبه علمية، ومعلن عن طريق التمويلات التي تُرصد لهذه البحوث، ويُستخدم فيها الكثير من (العلماء) بمن فيهم (علماء العرب والمسلمين) في هدف معلن وليس في دهاليز سرية. إنه أمر معلن: الإسلام يشكل خطراً ولا بد من مواجهة هذا الخطر، والمواجهة ليست عسكرية، وليست سياسية، وليست اقتصادية، وليست اجتماعية، وليست أمنية فقط؛ ولكنها مواجهة ثقافية علمية تستهدف قائمة مهمة ـ من بين ما تستهدف ـ القرآن الكريم..!! وأنتم تعرفون تصريحات رئيس وزراء إحدى الدول الغربية عندما كانت هناك انتفاضة إسلامية في دولة من الدول التي تستعمرها تلك الدولة حينها، حيث جاء إلى (البرلمان) رسمياً ـ في منتصف القرن الماضي ـ وأخذ القرآن ورمى به أمامهم، وقال لهم: طالما هذا الكتاب موجود عند المسلمين فهناك خطر دائم يواجهنا. علماً بأن هؤلاء المسلمين مغلوبون على أمرهم، مستعمرون، وفي أقصى غايات الإنحطاط السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك الوقت.

إن العقل الأوروبي ـ بتراكم الرؤية الأوروبية القديمة منذ العصور الوسطى ـ لا زال يرى ويفعّل رؤية تكونت عنده لعداء تقليدي نحو القرآن الكريم، ونحو شخصية الرسول محمد ﷺ ونحو التراث الإسلامي، ويعتبر أن هذا شكّل خطراً في الماضي عندما جاءت الحروب الصليبية من أجل تطهير مكان المسيح، وتأمين طريق الحج. . . إلخ، وبعدها الاستعمار الاستيطاني، اعتُبِرَ أن الدين يمثل خطورة ما، ويجمع الناس، ويجعلهم يقاومون. ولكنه بالغلبة العسكرية أصبح متوارياً ولا يشكل خطورة حقيقية.

والآن. . . الحملة الجديدة هدفها المعلن هو ثوابت الدين، والهدف هو الإسلام ككل، وطبعاً نسمع نحن مصطلحات وأوصافاً مثل المتطرفين والأصوليين. . إلخ، ونحن عانينا من التطرف في داخل العالم الإسلامي أكثر مما عانى الآخرون، ولكن اتخذت الأحداث التي وقعت ـ وهي أحداث مؤسفة ونحن ضدها ـ اتخذت ذريعة من أجل شن الحملة الكبرى على هذا العالم الإسلامي وإنهائه، واتخذت الأساليب التي اتخذت نحو إنهاء الاشتراكية أو الشيوعية، وأنتم تعرفون الكتب التي ظهرت حديثاً منذ نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن، وهي كتب أوضحت الأساليب التي اتخذتها جهات أمنية وسياسية غربية، واستخدمت فيها كُتاباً وأُدباء ومُفكرين كباراً، كنا نعتقد أنهم مفكرون كبار ـ استخدموا بأسمائهم وأعمالهم ـ حتى في مجال الشعر ـ لمواجهة الاشتراكية والشيوعية التي هي إنتاج غربي، إذ أعلن أن الإسلام عدو بعد الشيوعية أو الاشتراكية أو الاتحاد السوفييتي؛ إذن علينا أن نتخيل نوعية المواجهة الفكرية التي سوف تكون. ومن هنا اتضحت الأمور بشكل جلي جداً.

معظم الإخوة الموجودين الآن شاركوا مشاركة فاعلة وإيجابية في لقاءات الحوار التي تمت مع كثير من المؤسسات العلمية والدينية والسياسية الغربية، وفي الحوار نتحدث ونتبادل الرأي ونختلف ونحل المشاكل ونعلق بعض

المشاكل، ونتفق على مساحات تترك للمستقبل.. إلخ. ولكن في نفس الوقت الذي نتحاور فيه هناك مؤسسات يقال عنها مؤسسات غير حكومية (طبعاً أنتم لكم أن تقدّروا) وتمويلات ضخمة جداً ـ باعتراف الغربيين ـ من أجل تشويه الإسلام في كل مظاهره. وأنتم سمعتم وتسمعون بالأموال التي تُدفع إلى محطات فضائية وغير فضائية، التي تعرقل أي قول محايد من أي مؤسسة إعلامية. والضغط الإعلامي الشديد على ما ينشر على الناس في منطقة كي لا ينشر على الناس في منطقة أخرى، وآثار التعذيب التي حصلت في أماكن كثيرة، وقهر الإنسان ومصادرة حقوقه، وأن المسلم هذا يمكن أن تعمل فيه أي شيء، ولا يكون في ذلك أي اختراق لحقوق الإنسان، وهذا أمر معروف، حتى (فولتير) ومن معه من أهل التنوير عندما كانوا يتحدثون عن الإنسان، وتحصل بعض الأشياء في إفريقيا، يقول لم: ما رأيكم في هذا؟ يقولون: نحن نتكلم عن الإنسان. بمعنى آخر إن هؤلاء الذين في إفريقيا يحتاجون إلى وقت ليكونوا ضمن رؤية ما يسمى بالإنسان..!!

وعندما كنا نتكلم عن هذا الموضوع كان بعض زملائنا من أهل التحديث ومن أهل الفكر ومن أهل المعرفة العميقة بـ«الفكر الغربي» وما يسمى بـ«الوضع الراهن» للفكر الغربي؛ كانوا يعتقدون أننا من الطبيعي أن نقول هذا الكلام، لأننا مغلوبون على أمرنا ونُنَفّسُ عن حل مشاكلنا باتهام الآخر بهذه الأمور. نعم نحن مغلوبون على أمرنا، وعندنا مشاكل كثيرة، ومشاكل فيما بيننا، وقصور في الفهم.. إلى آخر هذه القائمة. ولكن أيضاً ـ وبالإضافة إلى هذا الهم ـ هناك الهم الآخر وهو اتضاح رؤية أن الكثيرين من الآخرين لايقيمون لنا وزناً، ولا يطبقون علينا ما يسمى بحقوق الإنسان، واحترام الصدق الإعلامي، واحترام الصدق في القول، والشفافية... إلى آخر هذا الكلام. هذه تطبّق ـ إن طبقت ـ على الإنسان (المتحضر) ولكن الإنسان الآخر من الممكن أن تعمل فيه أي شيء، حتى تلحقه ـ بعد ذلك ـ بمستوى الإنسانية المطلوبة.

هذه رؤية تحتاج إلى أن ندافع عنها، ليس من أجلنا ولكن من أجل

الإنسان. بمعنى أننا لا بد أن نساهم مع إخواننا ـ في الشرق وفي الغرب ـ في إجلاء الحقيقة، حتى نعيش في مجتمع إنساني متحضر بمعنى الكلمة، وليس متحضراً بالعنوان، ثم يتم فيه الاختراق ولا يعلن عن هذا الاختراق بأي معنى من المعاني.

كتابات ضخمة وكثيرة وممولة ومجلدة وموضوعة على أفضل وأوسع وسائل النشر تقول عن الإسلام قولاً لا يمكن أن يقبله أي إنسان غربي قرأ «ألف باء الحضارة الإسلامية»..!! وهم يسيرون في ذلك على أساس: أكتب والإنسان الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام دعه يعرف شيئاً سلبياً عنه.. وهكذا.

القرآن مستهدف استهدافاً كاملاً، وأنا لا أريد أن ألقي قصائد الرثاء عن القرآن، فالقرآن يحفظه الله سبحانه وتعالى، ولكن يحفظه بأمره وبجهود المسلمين الذين يجب أن يقوموا بواجبهم نحو القرآن الكريم لتوضيحه للناس.

إن تحفيظ القرآن من الأشياء المهمة، بالرغم من أن بعض الناس يقولون: لا تحفظ القرآن لأنه لا بد أن يفهم الإنسانُ القرآنَ قبل أن يحفظه. ومعروفة أهداف هذا التوجه!! كيف؟؟ الحمد لله أننا نجد ـ في أنحاء العالم الإسلامي، العربي وغير العربي ـ أن الذين يحفظون القرآن الكريم أكثر عدداً من أي عصر من عصور تاريخ الأمة الإسلامية، وهذا فيه شيء من حفظ القرآن الكريم.

الجانب الآخر: الحرص على أن تكون هناك مؤسسات وجامعات ومدارس للمحافظة على القرآن الكريم، والمحافظة على القرآن في لغته وفي ترجمة معانيه على أوسع نطاق ممكن.

وفي تصورنا أنه لو اطلع الناس على هذا القرآن لكان ذلك أمراً في غاية الأهمية، وفي غاية الوضوح، وفي غاية الشفافية... بالنسبة للناس جميعاً.

إن إخراج بعض آيات من القرآن الكريم من سياقها هو الذي أوجد التطرف

عندنا، بين المسلمين أنفسهم، وكذلك القصور في الفهم، وعدم الوضوح، ثم يزكي ذلك الاستشهاد ببعض المواقف التراثية التي تروج لتلك الفكرة أو هذه. إن القرآن يؤخذ ويفسر بعضه بعضاً، ولا نقتصر على كلمة واحدة أو نقطة واحدة ونقول إنه القرآن. والآن هناك كُتّابٌ عرب ومسلمون يُدافَعُ عنهم، ويُدعمون بكل أنواع الدعم: لكي يرددوا هذا القول الذي يقوله الغربيون، حتى يرسخ بين أجيالنا، ناهيك عن المترجمين.

ونحن ـ لحسن الحظ ـ معنا في هذا اللقاء نخبة من كبار العلماء الذين ترجموا معاني القرآن إلى اللغات الأوروبية الحية، وتحدثوا في مقدمات ترجماتهم عن الكيد الفعلي والمقصود في بعض الترجمات لتوصيل معانٍ غير صحيحة إلى قارئ القرآن بتلك اللغات. ثم تراهم بعد ذلك يتحدثون عن الموضوعية العلمية!! وهناك فضائح كثيرة وكبيرة جداً من كبار أولئك الذين يكتبون عن القرآن من أجل تضليل الناس، وهنا يجب علينا أن ننقذ العامة والعلماء الغربيين من هذه المتاهة التي وضعوا فيها.

وللأسف نجد بعض الناس مثل (برنارد لويس) الذي تحدث عنه بعض الإخوة في الجلسة الافتتاحية، والذي كتب كتابات يقول إنه كتبها قبل الأحداث ـ وقد كتبها بعد أحداث 11/9، أو كُتبت له ـ وينادي فيها، ليس فقط بالمواجهة الثقافية مع القرآن ومع المسلمين، وإنما ينادي أيضاً بالمواجهة العسكرية، لأنه صهيوني من كبار الصهاينة، وهو الذي أشرف على تحرير الموسوعة الجديدة للعالم الإسلامي «أنسكلوبيديا الإسلام»، وتعلمون أن له صفات أخرى سيئة، ومن أسوأ الصفات أن اتخذته بعض الدول الإسلامية مسؤولاً عن مراجعة مناهجها وتحديثها، حتى يرضى عنها الغرب، وتدفع له الملايين من أجل ذلك، ليكون لوبي لمصلحتها. وبمعنى آخر إننا يجب أن ننتبه إلى أننا لا نواجه تفسيراً للقراءة الغربية للقرآن الكريم من طرف الآخر، ولكننا نواجه اختراقاً من الآخر إلى داخل صفوفنا.

نحن في المؤتمر العام للقيادة الشعبية الإسلامية العالمية، الذي عقد خلال الأسبوع الأخير من شهر الحرث (نوفمبر) 1374 ـ 2005 من بين الأمور الكبيرة التي أحسسنا بها، قضية تشويه القرآن ومحاولة تغييره، وفرض ـ على المسلمين ـ عدم قراءة آيات معينة في الاحتفالات، وعدم قراءة بعض الآيات القرآنية للتلاميذ في المدارس، وشطب الكثير من المصطلحات الإسلامية. . . وفي واحدة من الدول حدثنا الإخوة عن أن «سورة الأنفال» و«سورة التوبة» لا وجود لهما، وإذا طبع القرآن بالنسبة للمؤسسات العلمية يجب أن لا تكون في تلك الطبعات هاتان السورتان. يعني. . . هناك أشياء عجيبة. . !!. وفي الحقيقة أنّ هناك تشنجاً كثيراً في الرؤية الغربية.

وبالنسبة للحوارات التي نعقدها مع إخواننا، فهي جيدة، ومع أناس محترمين، ولهم رأيهم، ونحن لنا موقفنا. وأحب أن أشير إلى أننا لا نطلب من الآخر أن يتوافق معنا في كل شيء، ولكننا نحترم آراء بعضنا. ولا يخفى عليكم أن الحوارات جيدة، وهي أفضل من الأساطيل والتعذيب والسجون للمسلمين، واحتلال العالم الإسلامي، وإن كنا قد نُمنّي بذلك إذا كانت الأمور سائرة على هذا الطريق، وهي التصريحات السياسية على هذا الطريق.

ولقد أردت أن أشير إلى أن أحد كبار المحاورين المسيحيين ـ ليس متديناً ـ قال لي: أنتم يجب أن تنظروا نظرة علمية للتراث الخاص بكم، فقلت له: نحن قلنا في تراثنا أكثر مما قلتم أنتم فيه، ولكن فيما يتعلق بالقرآن وشخصية الرسول ﷺ فهذه أمور أنتم تبالغون فيها كثيراً. فقال: أنا أريد أن تكون منفتحاً أكثر. قلت: كيف؟ قال: القرآن الكريم مثل العهد الجديد، نحن كنا منغلقين ـ مثلما أنتم منفعلون الآن ـ قبل أن نتقدم في هذا العالم. قلت: نفترض أنكم تقدمتم. قال: ليس مطلوباً أن نشطب الإصحاحات أو الآيات، ولكن المطلوب أن يعاد تفسيرها، ولا يُنظر إليها إلا وفقاً للتفسير المعاد. قلت له: وضّح. . فلست أفهم ما تعني؟! وكنت أعرف ماذا يقصد وإلى أين يريد أن يصل، ولكنني

قلت له أوضح. فقال: نحن عندنا في المسيحية مسؤولية اليهود عن دم السيد المسيح، وهذه كانت تمثل مشكلة بالنسبة للسلام العالمي والوئام بين الثقافات... إلخ، وبُذلت جهود كبيرة من قبل المنصفين والعلماء... وتجد المسيحي الآن يقرأ الإنجيل ويفسر في ذهنه ـ وهو يقرأ ـ أن اليهود ليست لهم علاقة بدم المسيح.

قلت: هذا ممتاز، يعني أنتم عندكم الإنجيل هو روايات وليس كلمة الله كما جاءت لنبي الله عيسى عليه السلام، أما نحن فعندنا أن القرآن نزل على محمد رسول الله ﷺ وليس فيه إدانة لأي أحد، وإن وجدت هذه الإدانة فهي إدانة لغير الصالحين من أهل تلك الأديان. وحتى الذي تحدث فيه القرآن عن الكافرين ـ من المسيحيين أو اليهود ـ نجد أنه منسجم ومتفق مع وجهة نظر الوحي الذي جا إلى اليهود وإلى المسيحيين، أو أنه ليس مقصوداً به أمة كاملة، وليس موضوعاً عدائياً عنصرياً مثل ما عندكم أحياناً.

والنقطة الأخيرة التي أحب أن أقولها في نهاية هذه الكلمة، وأتوجه بها ـ أنا شخصياً ـ إلى إخوتي العلماء في الغرب، وصانعي القرارات الثقافية هناك: هي أنه إذا كان صحيحاً أنهم يقولون ما يقولون من أجل مواجهة الإرهاب والتطرف، فإن هذا الطريق الذي ارتضوه أخيراً، وهو مواجهة القرآن الكريم، هو طريق سوف يوجد تطرفاً لم يأت في شكله تطرفٌ قبل هذا، وأنهم يقومون بهذا العمل وكأنهم يعملون لدى المتطرفين ولدى الإرهابيين، لأن الإرهابي إذا كان عنده فهم خاطئ للتراث الإسلامي، وقد تحرك وفقاً لذلك خارج إطار الأمة وخارج قراراتها: فإن مواجهة القرآن الكريم وشخصية رسول الله ﷺ من طرف الغربيين أو من طرف الآخرين؛ أقول إن هذا سوف يحول كل المسلمين إلى المواجهة العملية الواضحة، مثل المواجهات التي تمت في السابق ضد الاستعمار وضد الصليبيين وغيرهم.

ومعنى هذا، أن الذي يقوم بهذا العلم لا يريد ـ ولعل هذا هو الصحيح ـ

حلاً للمشكلة، ولكنه يريد تأزيماً لها لأهداف عسكرية وأمنية تخص الغرب أو آخرين في غير الغرب.

لذلك فإننا عندما نعقد هذه الندوة العلمية، التي ليس فيها، ولا يفترض أن تكون فيها، رؤى مسبقة أحادية الجانب، بالنسبة لتوضيح هذه القراءة الغربية للقرآن الكريم، ومدى مصداقيتها، ومدى إيجابيتها أو سلبيتها، فإن هذه الندوة في تصورنا ـ ونسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون كذلك ـ هي من أجل مساعدة كل الناس، وليست من أجل مساعدة المسلمين ضد غيرهم من الناس.. هذه الندوة لكل الناس، من أجل فهم المسلمين وقرآنهم، ومن أجل فهم واضح لكل الثقافات ولكل الحضارات. ونحن لا نستطيع في هذا العالم أن نعيش في سلام وفي استقرار، وفي ظل فهم مشترك وعيش مشترك، وتبادل تجاري واقتصادي وسياسي مشترك؛ إلا إذا كان هناك الاحترام المتبادل الذي يقوم على فهم صحيح ومشاركة صحيحة لكل الثقافات والحضارات التي أعطت والتي لها ما تعطي في هذا العصر.

قد أكون أطلت عليكم، ولكنني نقلت إليكم هموم إخوتكم في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية وفي جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ونحن سوف ننشر مداولاتنا العامة وتوصياتنا، ونأمل أن تكون هناك مناقشات ليس من علماء القرآن الكريم فقط، وليس من علماء ترجمة القرآن، وعلماء التاريخ والتراث فحسب؛ ولكن من كل العلماء الذين يستطيعون أن يقدموا رؤى حول القراءة الغربية وما فيها من إيجابيات وسلبيات، وما فيها من خطورة، وما فيها من توضيح، حتى يكون هناك خيرٌ نستشهد به في الحوارات، سواء كنا من المسلمين أو من غير المسلمين، ليكون ذلك منطلقاً لفهم أعمق، ولوضع تنبيهات واضحة لكل من يعتقد أنه بتشويه القرآن يستطيع أن ينقض على هذه الأمة.

وتعرفون أن في الغرب هناك ما يسمى بـ«الثنك تانكس» أو المجموعات

الاستشارية الثقافية. في الماضي عندما كنا أطفالاً كنا نصدق أن هذه المؤسسات هي مؤسسات فكرية محضة، تستهدف الخير والفضل، وتستخدم أسس العلم، ولكن وجدنا أنها قد تستخدم كل ذلك لكي توظفه لأغراض أخرى. نحن نرغب - حقيقة - في أن تكون الدراسات علمية حتى تكون النتائج كذلك علمية، وتوظف لخدمة ما توظف له. وإنني متأكد من أن النتائج أو الإجراءات التنفيذية سوف تكون من أجل الاستقرار والسلام إذا ما كانت تلك النتائج علمية بحق. أما إذا كانت النتائج معروفة مسبقاً، بمعنى عقد ندوة عن القرآن لشتم المسلمين وشتم القرآن، أو ندوة عن شخصية الرسول محمد ﷺ حتى تحط من شأنه، وتتحدث عن المسلمين أو الهنود الحمر أو الصينيين حتى تحط من شأنهم، ليسهل الإجهاز عليهم؛ فذلك ليس فيه سلام العالم، وليس فيه خير للناس بمن فيهم الذين يستخدمون هذه الأشياء.

ولذلك فإنني أقول لكم باسم زملائي في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، وباسم إخواني في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: أنتم العلماء.. ولكم كل الحرية في إطار علمي موضوعي، وباستخدام كل وسائل البحث العلمي القديمة والحديثة، لتقديم قراءة صحيحة في هذه الندوة حول القراءة الغربية للقرآن الكريم، بما فيها من خير وبما فيها من سلبيات. ونحن لا نسمح لأنفسنا - لا على أساس من الدين الإسلامي ولا على أساس ثقافي - بأن نقول لكم تعالوا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وفي كلية الدعوة الإسلامية، وفي رابطة الجامعات الإسلامية، وادرسوا لنا القراءة الغربية للقرآن الكريم لتسفهوها ولتهاجموها، ولكن نقول لكم: ادرسوا ذلك الأمر دراسة علمية، لنستفيد بما في ذلك من إيجابيات، ولنتنبه إلى السلبيات إن وجدت. هذه هي الطريقة الصحيحة.

وأنتم تعلمون أن الحوار أساسي في الإسلام، والمحاور المسلم يعطي لذلك الآخر حقه في توضيح رأيه، ولا نذهب إلى التراث الإسلامي، ولا نذهب

إلى أبي الحسن الأشعري أو غيره من أعيان تراثنا، ولكن نذهب إلى القرآن الكريم، حيث نجد أن الشيطان يعطي الفرصة ليقول الكلام الذي يعتقده في حوار القرآن معه، وكذلك الذين يناقضون الإسلام، والكافرين.

وهذا تراثنا، وتراثنا ليس تراثاً عدوانياً، وإذا حدث ـ في مرحلة من مراحل تاريخنا ـ أن هناك من يكفّرون الناس، ومن يعتدون على الناس؛ فهؤلاء انطلقوا من لحظات معينة كان فيها الغبن والضعف، وفيها الجهل وعدم الفهم.

ونحن ننطلق من هذا القرآن العظيم، ومن معرفتنا بشخصية الرسول العظيم محمد ﷺ ومن رؤيتنا الثقافية الواضحة، لننطلق من أجل الحق، ومن أجل الحديث الحق، والحوار الحق، للوصول ـ بإذن الله سبحانه وتعالى ـ إلى الحق.

أشكركم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

• • •

كلمة أ.د. جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

هناك الكثير من الأفكار التي تراودني وأنا أشارك في هذه الندوة العلمية القيمة، وأيضاً هناك بعض ما أريد الحديث عنه في ـ وَحَول ـ هذه الندوة المهمة، فهي ندوة تأتي في موعدها المطلوب تماماً، المطلوب منا كمسلمين ومفكرين لهذه الأمة وللشؤون التي نهتم بها.

إن القراءة الغربية للقرآن الكريم أنتجت ضدنا حملات شديدة ومستمرة تحتاج إلى التآزر والتوحد، وتحتاج أيضاً إلى وضع استراتيجية بين المؤسسات الإسلامية وحكومات الدول لمواجهة هذه الهجمة الشرسة.

ولا يخفى عليكم أننا الآن في مرحلة تاريخية صعبة، لا أريد أن أقول هزيمة!! ولكن.. عندما ننظر في تاريخنا، نجد ـ مثلاً ـ أنه بعد موقعة «أُحُد» تحدث القرآن الكريم إلى المسلمين لكي لا تروعهم أية هزيمة، ولكي يعتادوا على قوانين الحياة، ولكي يدركوا أن الحياة فيها نصر وفيها هزيمة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (139) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾

[آل عمران: 139 ـ 141]، فهناك حوالى ثمان وعشرون آية، جاءت في أواخر سورة آل عمران تحدثنا عن دورات الحياة بين النصر والهزيمة، وأنك لا يمكن أن تنحي الأسباب جانباً، ولا بد من أن تنظر نتيجة ما تفعله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وما يقولون فالأيام دول، والحضارات ترتفع وتنتكس، وهكذا، فلا ينبغي أن نستسلم لما نحن فيه الآن، وإنما يجب علينا أن نعمل من أجل الخروج من هذه المحنة، وإصلاح الوضع الذي نحن فيه، بالوسائل والسبل التي تجعلنا ننتصر، ونفكر ونعمل، ونرسخ القيم التي ترتفع بالإنسان المسلم، والشأن الإسلامي بشكل عام.

وأود هنا أن أشير، وبإيجاز، إلى أنه خلال السنوات الأخيرة من القرن المسيحي الماضي، خاصة منذ 1995 إلى 2000م أعدت ونُشرت العديد من الدراسات تمحورت حول التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل، أي في هذا القرن الذي نحن فيه الآن، فقد كنا نودع قرناً ونستقبل قرناً جديداً، ومن الطبيعي أن الشعوب الحية المتيقظة والواعية تفكر في ماضيها، وتتخذ منه العبر والدروس المستفادة، حتى يقودها ذلك إلى النجاح والتقدم. وكنا قد أعددنا دراسات علمية عن هذه التحديات استغرقت منا حوالى خمس سنوات، ملخصها يملأ 800 صفحة من الحجم الكبير، وملخصها تمت صياغته فيما عُرفَ بـ«إعلان عمان» في سنة1999 مسيحي، حيث شخّصنا الأزمة، وقدّمنا وجهة نظرنا ـ كعلماء ومفكرين ـ فيما يمكن أن نتجاوز به هذه المحنة.

ولقد عقدنا جلسات طويلة لتحليل أحدث الكتابات الغربية عن القرآن الكريم، خاصة ذلك الكتاب الذي أثار حوله الكثير من المناقشات الآن، وهو كتاب بوش الجد، ولأنني أعتقد أن تأثيره ضخم جداً على المؤسسات الحاكمة المعاصرة، وعلى التنظيرات التي جاءت بعد ذلك وتحدثت عن الإسلام والمسلمين، وبخاصة عن الأصولية الإسلامية، وعن التخلف الإسلامي، كما

تحدثت عن ضرورة إيقاظ هؤلاء الناس ـ كما قال برنارد لويس ـ ولو بالقوة، فلا بد ـ في رأيهم وتوجههم الفكري ـ أن نُضرب حتى نستيقظ، وأن الأصولية الإسلامية لن تستكين إلا إذا خضعت وبقوة، وأعتقد أن هذا يُنَفَّذ الآن بشكل أو بآخر.

ومن هنا فإننا لا بد أن نقرأ هذه الأفكار جيداً، وأن نحللها ونرد عليها، خاصة وأن الباب مفتوح والمجال فسيح أمامنا للرد، بعد اتساع الشبكة الدولية للمعلومات، وبعد أن صار الكثير من الغربيين يتطلعون إلى استقبال ما لدينا من فكر.

لقد اخترت أن أقدم قراءة تحليلية نقدية لكتاب «بوش الجد»، لتعلقه بالأهداف التي تهتم بها هذه الندوة، وأعني القراءة الغربية للقرآن الكريم. فقد قام الكاتب بدراسة القرآن الكريم، ولكنه ـ للأسف ـ لم يعتمد على قراءة نصوص القرآن أو التفسيرات الصحيحة، بل اعتمد على بعض المصادر والرؤى الغربية المغرضة، التي أولاها المستشرقون منذ أمد بعيد عنايتهم. وهذه القضية في غاية الأهمية، من حيث إنها تُظهر عجزنا عن إيصال التفسيرات والقراءات الصحيحة لكتابنا المقدس «القرآن الكريم» إلى الآخر، في المجتمعات الغربية وفي غيرها.

ولقد حاولت أن أركز على بعض أفكار الكتاب التي تتصل بالقراءة الغربية للقرآن الكريم، خاصة وأن هذه القراءة جاءت من أحد الكهنة المرموقين، فقد تربى «بوش الجد» في إحدى الكنائس، ولعله من غرائب الأمور أن يصل ابنه، ثم حفيده، إلى أعلى المناصب في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا شك في أن أي إنسان عادي لا بد أن يتأثر بوالده بشكل أو بآخر، خاصة إذا كان الجد له تأثير ديني واسع على من حوله.

والواقع أن جورج بوش (حاكم الولايات المتحدة الأمريكية الحالي)، قد أخذ الكثير من أفكار جده، خاصة تلك الأفكار التي تعادي الإسلام وحامل

رسالته محمد ﷺ وقد أعلنها حرباً صليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر، وإن كان قد قدم تبريرات تعطي لهذه الكلمة مدلولاً آخر.

وقد قمت بالتركيز على جملة من المسائل التي تتصل بالقراءة الشاذة لكثير من آيات القرآن الكريم. فهذا الكاتب اعتمد ـ لأنه لا يقرأ العربية ـ على بعض ترجمات للقرآن الكريم، والمترجم إذا نقل وتأثر بآراء مغرضة، فلا يمكن أن ينقل الحقيقة. ولذلك فإنني حاولت أن أستدل على الصورة الذهنية لتفكير هذا الرجل كما تتضح من كتابه وسيرته؛ لنعرف كيف ينظر الغرب الأمريكي إلى الإسلام ونبيه.

إنه يردد الفرية الكبرى التي سمعناها ونسمعها في كل الملتقيات الفكرية في الغرب، والتي مفادها أن القرآن كُتِب بيد محمد ﷺ بمعنى أن الإسلام ليس رسالة سماوية، والقرآن ليس منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى.

وقد أوضحت ذلك الارتباك والتناقض في كثير مما كتبه هذا الرجل، فهو لا يعرف كيف وصل النبي إلى هذه الثروة الضخمة من الهدى والعلم ونور الدعوة... إلخ، ثم إن لديه ما يُعرف بالازدواج في التفكير، الذي يدل على العمى الذي عاش فيه هذا الرجل «بوش الجد»، والذي يعيش فيه مَن خَلَفَهُ معتنقاً هذا الفكر الشاذ.

وقد أشرت في البحث إلى القراءات الخاطئة والمغرضة لكثير من نصوص القرآن الكريم، خاصة في «حديث الإفك»، وفي زواج الرسول ﷺ وفي قتل بعض الأسرى، وإن كان التروي أيضاً في هذه المفاهيم واضح؛ لأن الكاتب يمتدح الرسول كثيراً في خُلُقه وفي تعامله مع عدوه، وفي تأثيره على طائفة واضحة من الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، وتحملوا المشاق والصعاب لنُصرته.

وكما ذكرت في البحث، فإن قناعتي بعد قراءة هذا الكتاب هي أنه يجب علينا أن نبذل جهداً كبيراً لترجمة أصول ديننا بشكل واضح وجلي إلى اللغات

الأخرى، ويجب أن تكون المكتبة الإسلامية ثرية باللغات الحية. كما أن الدول والمنظمات والجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي يجب أن تنهض بقوة لسد هذا الفراغ.

إننا مدعوون جميعاً إلى أن نكتب ونحلل ونرد على ما يُوجَّهَ إلينا.

نحن في عالم يحتاج إلى مواجهة الفكرة بفكرة، ومقارعة الحجة بحجة. لذلك فإنني أقول ببساطة: إننا لا بد أن نفكر في وضع استراتيجية لمواجهة هذه الكتابات وهذه الآراء التي تأتي كل يوم حاملة ما يسيء إلى مقدساتنا، بغير ردود سريعة وكافية من جانبنا.

● ● ●

كلمة أ. د. محمد فتح الله الزيادي

عميد كلية الدعوة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية.

السادة أعضاء السلك الدبلوماسي.

السادة العلماء المشاركون في هذه الندوة.

الإخوة الضيوف زملائي أساتذة الكلية وطلاب الدراسات العليا بها. . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنه لشرف عظيم لكلية الدعوة الإسلامية أن تحتضن هذه الندوة العلمية المهمة، والتي يتعلق موضوعها بأعز وأقدس نص عرفته البشرية، ألا وهو القرآن الكريم، وإنه لشرف لهذه الكلية أيضاً أن تستقبل هذه النخبة المتميزة من علماء الأمة ومثقفيها والمهتمين بالشأن الديني فيها، ولعل مشاركة هذا الحشد من

العلماء المنتمين إلى الجامعات العربية والإسلامية والأوروبية، واستجابتهم لمناقشة هذا الموضوع المهم؛ يؤكد خطورة المرحلة التي نعيشها، وخطورة التوجهات التي بدأت تظهر في العالم الغربي تجاه القرآن الكريم. بعض هذه التوجهات يستند إلى تراث أوروبي قديم في تعامله مع النص القرآني، وبعضها يستند إلى آراء دينية متطرفة سيطرت على أفكار السياسيين في الغرب، وأفرزت جملة من التعاملات الغربية مع القرآن الكريم؛ تعتبر الأخطر في تاريخ اهتمام العالم الغربي بالعالم الإسلامي.

كلنا يعلم أن النص القرآني حظى بعناية أوروبية تفوق التصور، شاركت فيها أقلام من مختلف التخصصات وبمعظم اللغات الأوروبية، ترجمة ودراسة وتحليلاً وإعجاباً وقدحاً، واستندت هذه العناية إلى دعم كنسي يأتي في إطار الرد على انتشار الإسلام السريع في العالم، ثم تحولت بعد ذلك لتستخدم في إطار خدمة المشروع الاستعماري للعالم الشرقي، بتقديم تفسيرات للنص القرآني تعتمد التشويه والتضليل المتعمدين، ثم جاءت المرحلة الجديدة التي نعيشها الآن، وهي التي بدأت بشكل جنوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي يشترك فيها الدينيون والسياسيون والاقتصاديون والإعلاميون وعلماء الاجتماع، والتي جعلت القرآن الكريم الهدف الأول للحملة المعاصرة، وذلك يتم في اتجاهات متعددة، أبرزها:

1 ـ العمل على إزالة القرآن كلياً من حياة المسلمين، باستخدام ما سموه بـ«الفرقان الحق» كبديل للقرآن الكريم.

2 ـ الضغط لدعم الاتجاه إلى نزع آيات محددة من النص القرآني، وخاصة تلك التي تدعو المسلمين إلى مقاومة العدوان والانتصار للحق ورفع الظلم عن المستضعفين في الأرض.

3 ـ تسريب تفسيرات غريبة لنصوص القرآن الكريم لا تستند إلى منطق علمي، من أجل تشويه القرآن الكريم من خارج نصه.

لقد كانت المرحلة الأولى للصدام المسيحي الإسلامي تتوجه نحو إحتلال المقدسات، وجاءت المرحلة الثانية لتتوجه نحو السيطرة على المسلمين أرضاً وشعوباً وثروات، وها نحن نعيش المرحلة الثالثة التي تستهدف الإسلام ديناً وثقافة وحضارة، وهو ما جعلنا ندق ناقوس الخطر، لأن الإنسان لا يمكن أن يحيي دون عقيدة وهوية. ولكن.. مع كل ما في هذه الحملة من شراسة وعدوانية، ومع ما فيها من أخلاقيات تستهجنها الديانات الحقيقية والحضارات العظيمة، فإننا نحرص على ألا نُجر إلى الوقوع في ردة الفعل، لأن ذلك منطق غير علمي، بل نرغب في مناقشة الأمور بعلمية مطلقة، بعيداً عن العواطف والتشنجات، وبروح تلتزم بحرية الرأي والرأي الآخر، وتقدر مدى ضبابية الرؤية التي تشكل عائقاً أمام الآخر، ليقع فريسة للمؤامرات الخارجية في كثير من الأحيان.

ولذلك كله قامت كلية الدعوة الإسلامية بدعوتكم، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، مؤملين أن نخرج بقناعات ترسم في توصيات، ننبه من خلالها إخواننا في جميع أنحاء العالم الإسلامي، رسميين وشعبيين، إلى خطورة هذه الهجمة، وضرورة الوعي بها، والحذر منها، والعمل على حفظ الأجيال القادمة من آثارها.

وفي ذات الوقت نأمل في مخاطبة ذوي العقول السلمية في المجتمعات الغربية، كي يصححوا ما عندهم من أفكار خاطئة، وأن يتعاونوا معنا على احترام الديانات والثقافات، والعيش سوياً في عالم يسوده السلام والحب والاحترام.

أيها الإخوة العلماء والباحثون...

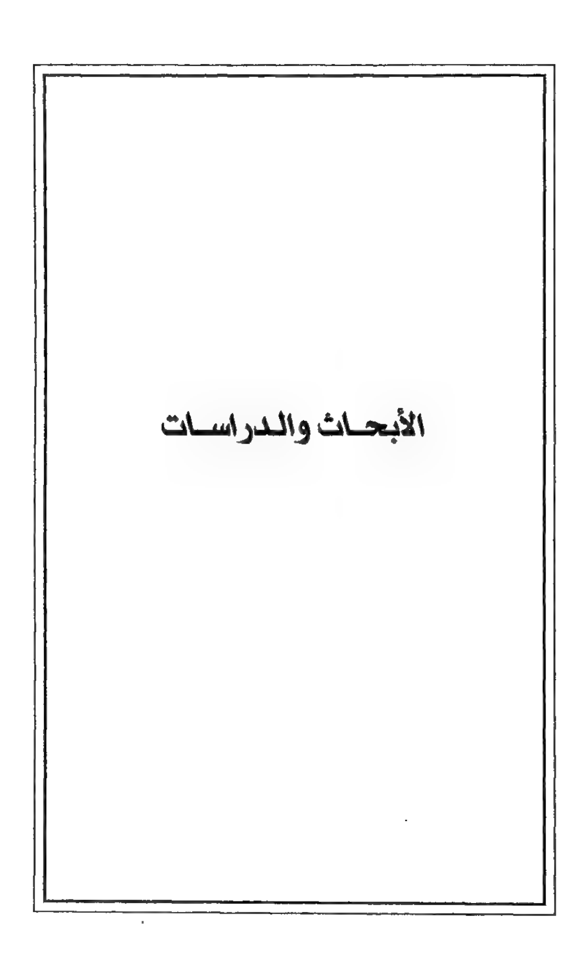
يشترك معنا في هذه الندوة ثلاثون باحثاً يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة بحثية من الجامعات في البلاد العربية وأوروبا، بالإضافة إلى طلبة الدراسات العليا في كلية الدعوة الإسلامية. وإنني باسم زملائي الأساتذة وأبنائي الطلبة بالكلية.. يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى جميع الباحثين

الذين استجابوا لدعوتنا، ونخص بالشكر رابطة الجامعات الإسلامية التي نتشرف بالتعاون معها في مجالات علمية متعددة، والتي نعتز بما تقدمه من خدمة للجامعات الإسلامية، كما نتقدم بجزيل الشكر للإخوة الضيوف على تفضلهم بقبول دعوتنا ومشاركتنا في هذا الحدث العلمي المهم.

وختاماً فالشكر كل الشكر للأخ العزيز الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على دعمه اللامحدود للكلية، وعلى مساندته لنا، خاصة في إقامة هذه الندوة، جزاه الله عنا جميعاً أحسن الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

● ● ●



الأبحاث والدراسات

منهج الفكر الاستشراقي
في تفسير القرآن الكريم

أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ الفقه والأصول المتفرغ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة
عضو المكتب الفني برابطة الجامعات الإسلامية

خصائص الفكر الاستشراقي:

إن الفكر الاستشراقي في غالبية جهوده يحمل منطلقات وأهدافاً متحيزة وأحكاماً مسبقة، تكشف عن أيديولوجية الغرب وطبيعة علاقته الفوقية بالآخر.

أما الجهود الاستشراقية الموضوعية والعلمية والحرّة في منطلقاتها وأهدافها وأساليبها في البحث، فعلى الرغم من أن لها وجوداً وحضوراً، بيد أنه وجود محدود وحضور ضئيل التأثير في وعي الغرب للشرق، وبخاصة الشرق الإسلامي، وغالبية أصحاب هذه الجهود انتهى بهم المطاف إما إلى التعاطف مع الإسلام والمسلمين أو الانتماء إلى الإسلام.

ويعبر منهج الفكر الاستشراقي في تفسير النص القرآني عن أهم خصائص هذا الفكر ومنطلقاته في دراسة الإسلام وحضارته، ومن ثم كان الحديث عن هذا المنهج حديثاً عن دعائم الفكر الاستشراقي بوجه عام.

خصائص المنهج الاستشراقي في تفسير القرآن الكريم:

لقد كتب الاستشراق عن القرآن دراسات لا سبيل إلى حصرها، وهذه الدراسات تعبر عن مظهر من مظاهر الاهتمام البالغ بكتاب الله، وهو اهتمام ليس

مبعثه معرفة الحقيقة، بل تلمس أوجه التحامل والهجوم على القرآن ووصفه بما لا يليق أن يوصف به.

إن الاستشراق ترجم القرآن إلى شتى اللغات الغربية، وهذه الترجمات في مجموعها أبعد ما تكون عن النص العربي للقرآن من جهة، ومُذيلة بالتعليقات والتصورات الفاسدة من جهة أخرى، كما أن الاستشراق كتب عن كل ما يتعلق بالقرآن من حيث مصدره، محتواه، تاريخه، رسمه وتفسيره... إلخ.

ويتجلى الحديث عن خصائص المنهج الاستشراقي في تفسير القرآن من خلال الكلام في إجمالي عدد القضايا التالية:

أولاً: مصدر القرآن.

ثانياً: محتوى القرآن.

ثالثاً: تاريخ القرآن.

رابعاً: لغة القرآن.

لقد انطلق الفكر الاستشراقي في دراساته القرآنية من مبدأ الاعتقاد ببشرية القرآن، ومن هنا أخذ يتلمس له مصدراً آخر غير الوحي الإلهي، وتكاد كل الآراء التي صدرت عن المستشرقين في هذا تُرجع مصدر القرآن إلى عاملين رئيسين: أحدهما داخلي، والآخر خارجي.

ويراد بالعامل الداخلي البيئة الجغرافية والحياة الاجتماعية والدينية والثقافية للعرب.

وأما العامل الخارجي، فيراد به اليهودية والنصرانية ومعتقدات وعادات الأمم الأخرى.

العوامل الداخلية:

إن من المستشرقين[1] من ذهب إلى أن القرآن قد تأثر في بنائه العقائدي

---

(1) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية للشيخ مصطفى عبد الرازق ص85، ط. القاهرة.

بهجير الصحراء ورمالها وأعرافها، كما أنه تأثر أيضاً بتنوع البيئة بين مكة والمدينة، حيث اتسم الأسلوب القرآني بمكة بخصائص تختلف عن خصائص ما نزل من القرآن بالمدينة.

ويقول المستشرق «جب»: «إن محمداً ـ ككل شخصية مبدعة ـ قد تأثر بضرورات الظروف الخارجية المحيطة به من جهة، ثم هو من جهة أخرى قد شق طريقاً جديداً بين الأفكار العقائدية السائدة في زمانه والدائرة في المكان الذي نشأ فيه، وانطباع هذا الدور الممتاز لمكّة يمكن أن تقف على أثره واضحاً في كل أدوار حياة محمد، وبتعبير إنساني إن محمداً نجح لأنه كان واحداً من المكيين»[1].

ويقول أحد المستشرقين الألمان: «إن الإسلام لم يظهر إلى الوجود عقيدة دينية بل محاولة للإصلاح الاجتماعي، تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة ـ على الأخص ـ وإزالة الفروق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهدين لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين. وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر وسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته».

وما يقوله الاستشراق حول أثر البيئة في القرآن هو لون من التخرص والوهم الذي يمليه التعصب والجهل، فمن يتلو كتاب الله ـ دون أن يكون في تلاوته معصوب العقل بمعتقدات خاصة يسعى للانتصار لها ـ يوقن بأن هذا الكتاب ليس من وحي البيئة، وأنه من وحي الخالق، وأن أية محاولة لنفي صفة الوحي الإلهي عنه لا يمكن أن تكون عملية أو مبرأة من الهوى.

إن الاستشراق فيما زعمه من تأثر القرآن بالبيئة المكيّة، في حرها وأوضاعها الاجتماعية، إنما يريد تأكيد دعواه بأن القرآن بشرى المصدر؛ وأنه لهذا مَحَلى المفاهيم والتعاليم، فلا يصلح لغير البيئة التي انبثق عنها وانعكست

---

(1) انظر: الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية، للدكتور سامي سالم الحاج، ط. مركز دراسات العالم الإسلامي، ص320 مالطا.

قيمها وظروفها على ما اشتمل عليه من أحكام وتشريعات؛ وهذا يعني أن دعوة محمد ﷺ ليست عالمية، وأن هذا القرآن ليس مهيمناً على الكتب التي نزلت من قبله.

لقد ظن الاستشراق أن ما بين القرآن المكي والمدني من بعض التفاوت في الأسلوب والمضمون يؤكد زعمه بأثر البيئة ودورها في تلوين الأسلوب القرآني، وهذا خطأ محض؛ لأن القرآن كله لا تفاوت بين مَكِّيِّه ومَدَنِّيه، من حيث الإعجاز؛ فآياته البينات المحكمات كلها سواء في البلاغة، وكلها سواء في تحدي ومجابهة المشركين أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

أما الفوارق بين المكي والمدني، فلا علاقة لها بالبيئة؛ وإنما هي فروق في الموضوعات ومقتضى الحال في التعبير عنها، فما نزل في مكة غلب عليه تقرير أصول العقيدة وتحرير الإنسان من أوهام الشرك وجهالة الوثنية، في حين غلب على ما نزل بالمدينة تقرير التكاليف والتشريعات، من عبادات، ومعاملات، وجهاد مسلح، فاختلف الأسلوب القرآني طوعاً لهذا، من حيث طول الآيات وقصرها، ولكنه لم يختلف ـ كما أومأت آنفاً ـ من حيث البلاغة والإعجاز.

ومن المستشرقين من ذهب إلى أن المصدر الرئيسي للقرآن الكريم هو شعر أمية ابن أبي الصلت؛ للتشابه الكبير بينهما في الدعوة إلى الوحدانية، ووصف الآخرة، وقصص أنبياء العرب القدماء. وزعم هذا المستشرق إن المسلمين قد محوا شعر أمية وحرموا إنشاده ليستأثر القرآن بالجدة، وليصبح النبي هو المتفرد بالوحي الإلهي[1].

وهذا الرأي عار عن الصحة، فما عول النبي على شعر أمية في نظم

---

(1) انظر: المصدر السابق ص337، وأمية ابن أبي الصلت: شاعر مخضرم كان يخبر بأن نبياً يُبعث قد أظل زمانه وكان يتمنى أن يكون هذا النبي، فلما بعث محمد ﷺ كفر به حسداً، ولما سمع الرسول بعض شعره قال: «آمن لسانه وكفر قلبه».
وانظر: أمية ابن أبي الصلت، لبهجت عبد الغفار، طريق الـ75.

القرآن، وما حارب المسلمون هذا الشعر ليظل القرآن هو النموذج الفريد في موضوعه. ولو كان الأمر كما رأى ذلك المستشرق، لأورد الرواة اتهام قريش للرسول ﷺ بأنه أخذ القرآن من شعر أمية، وهم كانوا أحرص من الاستشراق على التماس حجة ـ ولو باطلة ـ يتكئون عليها لنفي نبوة محمد ﷺ.

ويؤكد بطلان ذلك الرأي وأنه لا وزن له علمياً، ما ذهب إليه الدكتور طه حسين في معرض رده على تلك الشبهة، أي شبهة تأثير شعر أمية في كتاب الله، لقد قال: «إن هذا المستشرق وأمثاله يشكون في صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السيرة مصدراً تاريخياً صحيحاً؛ وإنما هي ـ حسب قولهم ـ طائفة من الأخبار والأحاديث، تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق. وهم يقفون هذا الموقف من السيرة النبوية ويغالون فيه، ولكنهم يقفون من أمية وشعره موقف المتيقن المطمئن! مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة، فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون آخر؟ أيكون المستشرقون أنفسهم لم يبرؤا من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات»[1].

إن التشكيك في أخبار السنة النبوية أو إنكارها، وعدم الشك في شعر أمية، يتلاءم مع منهج الاستشراق في الطعن في نبوة محمد ﷺ ونفي أن يكون القرآن قد نزل به الروح الأمين على قلب هذا النبي العظيم، وأي باحث منصف يقضي على الاستشراق وفقاً لذلك المنهج بأنه لايبرأ من التعصب، ولا يعرف الأمانة العلمية، وأنه يخضع في آرائه لمواريثه الدينية وأهوائه الشخصية.

ويحاول مستشرق آخر أن يثبت أن مصدر القرآن ليس البيئة الصحراوية أو أشعار أمية وغيره، بل مصدره الحنفاء[2]، وهم جماعة يعتقدون بوحدانية الله ولم يعبدوا الأصنام، ولكن هؤلاء الحنفاء كانوا قبل البعثة قلة، يعدون على

---

(1) انظر في الأدب الجاهلي ص143 ط. القاهرة.

(2) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، للدكتور محمد عبد الله دراز، ط. دار القلم، الكويت ص131.

الأصابع، وكانت عقيدتهم يلفها الغموض فيما يتعلق بوجود الله ووحدانيته، وليس لديهم تصور واضح سليم للتشريعات والقوانين، إن كل ما يعرف عنهم أنهم كانوا ضائقين ذرعاً بما كان عليه قومهم من وثنية وجهالة وضلالة، ولكن ما كانوا يستطيعون أن يقدموا لهم البديل الذي يخرجهم من الظلمات إلى النور. ومن ثم لا يمكن أن تكون تصرفاتهم من المصادر الرئيسية للقرآن الكريم الذي يحتوي على تعاليم وأحكام واضحة جلية، لا لبس فيها ولا غموض. فدعوى هذا المستشرق لا تقل خللاً في الرأي أو فساداً في الاستنباط من دعاوي غيره، الذين أجهدوا عقولهم؛ ليثبتوا بشرية القرآن وأنه صدى لواقع البيئة التي عاش فيها محمد ﷺ.

العوامل الخارجية:

أما العوامل الخارجية التي أمدت محمداً ـ فيما يزعم الاستشراق ـ بالأحكام والتعاليم التي وردت في القرآن، فهي الحكَم، والمواعظ، والمبادئ، والأوامر والنواهي والقصص.. الواردة في كتب التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى[1].

والاستشراق يبرهن على ما ذهب إليه ـ من تأثير العوامل الخارجية ـ بما بين القرآن نفسه والكتب السماوية السابقة من تشابه في القصص وبعض الأحكام، وكذلك باتصال محمد ﷺ ببعض الأحبار والرهبان سواء في رحلاته، أو في مكة وضواحيها، أو في يثرب والواحات القريبة منها، وتلقي عن هؤلاء ما جاء في تلك الكتب، وانتقى منها ما شاء أن ينتقي، وصاغ من كل ذلك كتاباً، وقال بأنه أوحي إليه، ولم يوح إليه شيء.

والتشابه الذي يظن الاستشراق أنه دليل على أن مصدر القرآن الكريم هو الكتاب المقدس وغيره، يدل على العكس من هذا؛ إنه يشهد على أن القرآن

(1) انظر: الظاهرة الاستشراقية (1/ 393).

وسائر الكتب السماوية مصدرها واحد، ولكن القرآن يمتاز عنها بأنه معجزة ويحفظه الله من التحريف والتبديل. غير أن الاستشراق وفقاً للأهواء التي تسيطر عليه ـ يعكس القضية فبدلاً من أن يرى في هذا التماثل وحدة المصدر يراه آية النقل والتأثر.

وعن علاقة محمد ﷺ ببعض الأحبار والرهبان وأخذه عنهم، فإن التاريخ لا يذكر أنه جلس من بعض هؤلاء مجلس المتعلم، أو أنه ـ قبل أن يوحى إليه ـ كان قد تردد على صومعة أو دير لدراسة التعاليم اليهودية والنصرانية.

وإذا كان قد نقل أن محمداً ﷺ لقي، وهو غلام، أحد الرهبان[1] وكان ذلك في صحبة عمه أبي طالب، فلم يثبت أن هذا الراهب شرح لمحمد ﷺ الكتاب المقدس أو لقنه بعض التعاليم الدينية، وكل ما تذكره الروايات عن هذا اللقاء أن الراهب حذر عم الغلام من اليهود، لأنهم إن عرفوا ما عرفه عن محمد ﷺ فسيقتلونه حسداً وحقداً، ويضاف إلى هذا أن عمر محمد ﷺ وقت ذلك اللقاء لم يكن يتيح له أن يدرس الأديان وكتبها، ولم يتحدث إلا بعد ذلك بنحو ثلاثين عاماً، بعد أن أوحي إليه حقاً.

وإذا كان محمد ﷺ أيضاً قد قام وهو شاب ببعض الرحلات التي كان يتاجر فيها بمال السيدة خديجة رضي الله عنها فلم يثبت كذلك أنه لقي في هذه الرحلات أحداً من الذين يترهبون أويلمون باليهودية والمسيحية، فضلاً عن أن الفكر المسيحي الذي كان منتشراً بين الغساسنة بسوريا لم يحرر هؤلاء العرب من مواريثهم الجاهلية، كما أنه لم يكن فكراً مستقيماً، وإنما كان في نظر بعض المستشرقين مجموعة من الخرافات المنفرة والطقوس الدينية المنحلة.

ويتضح مما أسلفته عن موقف الاستشراق من مصدر القرآن الكريم، أن بين المستشرقين اختلافاً في الرأي حول ذلك المصدر، وإن كان أغلبهم يتفقون

---

(1) من المستشرقين من يرى أن لقاء محمد ﷺ براهب وهو غلام مجرد قصة من نسج الخيال، انظر: مدخل إلى القرآن ص134.

على أن الوحي الإلهي ليس مصدراً له؛ وهذا يعني أن هؤلاء المستشرقين لن يطهروا دراستهم للقرآن من الاعتقاد المسبق ببشريته وبكذب محمد في دعوته، فراح كل منهم ينقب عن مصدر لهذا الكتاب، فكان التناقض والاضطراب في تحديد هذا المصدر؛ مما يؤكد أنهم في دراستهم ناكبون عن المنهج العلمي، ومكبلون بمعتقداتهم وأهوائهم.

ولو كان الاستشراق قد أخذ بالمنهج العلمي ـ كما يدعي ـ لاهتدى إلى أن القرآن ليس بشري المصدر، وأن محمداً ﷺ لم يأت به من عنده، ولم يتأثر بأحد (في تأليفه)، فلو كان القرآن كما يذهب المستشرقون، فكيف يمكن تفسير ما ورد من آيات، تعاتب الرسول على بعض ما اجتهد فيه؟ كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: 67 و68].

لقد عوتب الرسول في هاتين الآيتين عتاباً شديداً؛ لأنه قَبِل الفداء من أسرى بدر، وهو تصرف أقرب إلى طبعه الرحيم، ولعله فعل هذا أملاً في هداية قومه وتأليف خصمه، ولكن الله تبارك وتعالى نبهه إلى ما هو حق في ميزان الحكمة الإلهية.

كذلك عوتب الرسول ﷺ لما أذن للمنافقين الذين استأذنوه بالتخلف عن غزوة تبوك، قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [التوبة: 43].

والقرآن مع هذا اشتمل على طائفة من الإشارات العلمية والقضايا الغيبية التي تنفي أن يكون بشرياً، وقد شهد بذلك كل الذين درسوا تلك الإشارات دراسة موضوعية، من المسلمين وغيرهم.

ثم.. كيف تفسر هذا الاختلاف الكبير بين القرآن والسنة من حيث الأسلوب، وطريقة الأداء، ومنهج التعبير، ما دام المصدر واحداً وهو

محمد ﷺ؟ وكيف يستطيع شخص واحد ـ مهما كان بارعاً صناعاً ـ أن ينطق بأسلوب معين، فيقول هذا قرآن من عند الله، ثم ينطق بكلام آخر، يختلف عنه في الأسلوب، فيقول: هذا حديث من كلامي. بل كيف يتسنى التمييز والتفريق في عقل واحد بين نوعين من الكلام، لكل منهما طابعه المتميز وصياغته الخاصة؟ أليس الأسلوب معبراً عن شخصية صاحبه.

ثم ما الذي كان يصد الرسول عن نسبة شرف القرآن العظيم إليه لو كان من إنشائه وتأليفه؟[1].

إن حديث الاستشراق عن مصدر القرآن لا يسانده دليل أو برهان، ولو كان لدى المستشرقين دليل صريح، لأدلوا به. ولو عرفوا شخصاً أو أشخاصاً كان لهم دورهم في مد محمد ﷺ بما يدعون، لأخبرونا بهم. إنهم حاولوا أن يثبتوا بشرية القرآن، فأطلقوا لخيالهم العنان، فجال وصال في متاهات التخمين والأوهام، وهو مع هذا لا يعدم وسيلة لادعاء طابع العلمية والموضوعية على آرائه. بيد أن النقد الفاحص لدراسات المستشرقين ينتهي ـ لا محالة ـ إلى إثبات بطلان تلك الآراء، وأنها مجرد خيالات وظنون، وأنها بعيدة كل البعد عن العلمية والموضوعية.

وإذا أردنا أن نعرف موقف الاستشراق من محتوى القرآن، فإن الذي لا ريب فيه أن موقفه من المصدر، سيقود في يسر إلى الوقوف على نفس الموقف من المحتوى؛ لأن القول بأن محمداً صاغ تعاليم الكتاب المقدس وأعراف الحياة الصحراوية، يعني أن محتوى ما صاغه مزاج من هذه الأعراف وتلك التعاليم.

وأجتزي هنا بالإشارة إلى علمين من أعلام المستشرقين، وهما ـ فيما

(1) انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (1/ 32) تونس.

أي ـ يعسكان بوجه عام نظرة الاستشراق حول محتوى القرآن وتعاليمه، والحكم عليها.

هذان المستشرقان هما «بودلي» و«بروكلمان» والأول فرنسي والثاني ألماني، وقد عقد الأول في كتابه: «الرسول حياة محمد»[1] فصلاً تحدث فيه عن أسس العقيدة الإسلامية، وهو يعتمد في هذا على القرآن الكريم، وقد استهل حديثه بمقدمة توحي إلى القارئ بأن الكتاب يؤمن بسلامة تلك العقيدة؛ فهو ينفي عن الرسول الكذب والادعاء، والتنقل من كتب السابقين، ثم يعرج بعد ذلك بطريقة فنية إلى التصريح بأن دعوة محمد فيها من اليهودية والمسيحية والوثنية، وأن كل مبادئ الإسلام قد جاءت صدى للبيئة التي عاش فيها الرسول، فالزكاة في نظر «بودلي» غير واجبة، وقد فرضها محمد رأفة بالضعفاء الذين شاهدهم يعذبون في أودية مكة. وهذا خطأ محض، فالزكاة لم يفرضها محمد؛ وإنما فرضها الله، وهي في ذاتها رسالة اجتماعية واقتصادية مهمة؛ إذ إنها تحقق التكافل بين أبناء الأمة، وتسهم في توزيع الثروة على نحو ما، وتؤكد أن المال مال الله، فلا ينبغي أن يحوزه أحد بطريق محرم أو يمنع الحقوق المشروعة فيه.

ويتحدث «بودلي» عن الجنة والنار، فيقول: وما الجنة إلا تجسيم ما رآه محمد من نعيم خارج بلاد العرب في أثناء رحلاته.. وما الجحيم إلا تجسيم مشاق الصحراء المحرقة القاحلة التي تحيط بمكة؛ فهو ينعت الرسول بالتضليل والكذب، وأن الجنة والنار فكرة ابتدعها محمد ليحمل الناس على الإيمان بما يدعوهم إليه، وكأنه ـ أي بودلي ـ يريد أن يقول: إن اليوم الآخر خرافة، وإن المؤمنين هم قوم مضللون.

ويقول «بودلي» عن العلاقة بين البيئة والتشريعات الإسلامية: «وقد أملت الظروف المحلية كثيراً من القوانين الإسلامية؛ فيرجع تحريم لحم الخنزير إلى

(1) ترجم هذا الكتاب إلى العربية الدكتور عبد الحليم محمود، مع آخر.

رداءة مراعي الخنازير وقذارتها في الشرق، فهي أحط من مثيلاتها في الغرب، كما أن العرب لا يعرفون كيف يطيبون لحومها، ولا يعرفون طريقة طهوها».

والواقع أنه لا رداءة المراعي، ولا الجهل بكيفية طهو لحوم الخنازير يعتبر سبباً في تحريمها، بل يرجع ذلك التحريم إلى علل أخرى منها ما كشف عنه البحث العلمي الحديث من الخطر النفسي والجسمي على الإنسان إذا تناول لحوم هذه الحيوانات، حيث إن غذاءه الرئيس هو المخلفات والقاذورات.

وكذلك يعلل تحريم الخمر إلى: «شغف العرب بنوع من المشروبات الروحية المستخرجة من البلح، فلو كانت بلاد العرب بلاد نبيذ، فربما أدى ذلك إلى عدم التفكير في تحريم الخمر».

ولكن تحريم الخمر لا يرجع إلى كونها مستخرجة من بلح أو غيره؛ وإنما يرجع إلى تأثيرها الضار على العقل، ومن ثم كان كل مسكر حراماً، حماية لنعمة العقل من الفساد.

وأما «بروكلمان» فقد عقد في الجزء الأول من كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» فصلاً موجزاً عن تعاليم محمد، أعطى فيه صورة مشوهة لأركان الإسلام، وهو في هذا لا ينفك مذكراً بأن هذه الأركان قد انبثق عنها فكر محمد، ومعظمها قد استقاه من التوراة والإنجيل وعادات الأمم الخالية؛ فاليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب فكرة يهودية، نسج محمد حولها كثيراً من الأوهام والأكاذيب. والصلاة طقوس فارسية، وتقبيل الحجر الأسود عبادة وثنية.

ويقول عن قانون الجزاء في الإسلام: «أما القانون الجزائي في الإسلام، فقد ظل على مستوى يقرب من السذاجة، وهو لا يمثل إلا تقدماً ضئيلاً بالنسبة إلى مفاهيم القوانين الوثنية القديمة».

والحقيقة أن اليوم الآخر ليس فكرة يهودية، وليست الصلاة طقوساً فارسية، وليس تقبيل الحجر الأسود عبادة وثنية، وقانون العقوبات في الإسلام

ليس تقدماً ضئيلاً بالنسبة إلى القوانين الوثنية؛ فهو في الحقيقة، مستواه أرفع من القوانين الحديثة التي وضعت في عصر الحضارة والتقدم الفكري.

وهكذا أرجع «بروكلمان» كما أرجع «بودلي» تعاليم القرآن إلى عادات الأمم القديمة ومعتقداتها، وكذلك إلى البيئة التي نشأ فيها محمد. وهذا كله افتراء وتضليل، ويمثل جهلاً واضحاً وتشويهاً مقصوداً لحقائق لا يرتاب فيها إلا من سيطر التعصب على عقله ووجدانه.

وبلغ التعصب ببعض المستشرقين إلى القول بأن اشتمال القرآن على مبادئ عادلة وفضائل كاملة لا يعني أنه من عند الله[1]، ويوازن بين القرآن والتوراة والإنجيل، ويرى أنهما أرقى من القرآن؛ فالتعاليم التي جاءا بها أشرف من تعاليمه، ومن ثم فليس وحياً إلهياً، وإنما هو تلفيق من شتى المصادر الدينية، وغيرها.

وخاض الاستشراق في تاريخ القرآن، فشكك في الوسائل التي استخدمت لحفظه، ومن ثم نفى أن يكون القرآن قد دون في عهد النبوة، وحكم على ما دَوَّنه أبو بكر، رضي الله عنه، بأنه يختلف في مضمونه وترتيبه عما كان يحتفظ به بعض الصحابة، وأن مصحف عثمان لم يلق قبولاً من كل المسلمين، وأنه في عهد عبد الملك بن مروان أدخلت على القرآن تغيرات وتعديلات.

لقد ادعى «بلاشير» أن فواتح السور بالحروف المقطعة ليست من القرآن، وأنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين، قبل أن يوجد المصحف العثماني. فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة، والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان، فهذه الحروف لدى «بلاشير» إشارات لملكية الصحف، وقد تركت في مواضعها سهواً، ثم ألحقها الزمن بالقرآن فصارت قرآناً[2].

---

(1) انظر: المستشرقون والإسلام، للأستاذ زكريا هاشم ص153، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(2) نظرات استشراقية، للدكتور محمد غلاب ص12، ط. القاهرة.

وقد نفى «بلاشير» أن يكون ما نزل من القرآن في مكة قد دون في عهد الرسول ﷺ وأن بدء تدوينه كان بعد الهجرة، ومع ذلك لم يكن هذا التدوين صحيحاً ودقيقاً فسقطت آيات كثيرة منه، فضلاً عن أن بعض ما كان مكتوباً عليه من العسب والرقاع قد ضاع[1].

وقال: «جولدزيهر» في مستهل كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي»: لا يوجد كتاب تشريعي، اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقائدياً على أنه نص مُنَزَّل أو موحى به، يُقَدِّمُ نصه في أقدم عصور تداوله في مثل هذه الصورة من الاضراب وعدم الثبات، كما نجد في النص القرآني.

وكما كانت آراء المستشرقين في مصدر القرآن غير علمية وغير موضوعية، كانت آراؤهم في تاريخ القرآن كذلك، فعلى أي أساس بنى «بلاشير» رأيه في أن فواتح السور بالحروف المقطعة ترمز إلى الصحف التي كانت عند الصحابة؟ إن هذا المستشرق ذهب به الخيال والافتراض مذهباً غريباً وبعيداً عن الحق، وهو فيما ذهب إليه لا يملك دليلاً علمياً، ولا يستطيع أن يبرهن على تلك النظرية الفاسدة في تفسير الحروف المقطعة التي بدئت بها بعض السور، وكانت من شواهد الإعجاز القرآني.

وأما رأيه في تدوين القرآن، فهو يحاول به أن يثبت أن القرآن الذي يتلوه المسلمون الآن قد ضاع منه الكثير؛ لأن ما نزل من القرآن في الفترة المكية يبلغ تقريباً 19/30 من القرآن كله، فإذا تسرب الشك إلى أن القرآن في مكة لم يُدوَّن، فهذا يعني أن ما بأيدي المسلمين اليوم ليس القرآن بكماله.

وهذا الرأي لا يقوم على دليل، ولا يسنده أثر تاريخي، فهو مجرد فرض لا يمكن إثباته ولا البرهنة على صحته، فضلاً عن أن كل المصادر التي أرخت للفترة المكية أشارت إلى كُتَّابِ الوحي الذين قاموا بأقدس مهمة في التاريخ وهي

---

(1) انظر: الظاهرة الاستشراقية (1/ 375).

تدوين آخر وحي من الله إلى خلقه. ولكن الاستشراق ـ وهذا دأبه ـ يحلو له أن يفتعل الشكوك، ويختلق الظنون فيما هو مجمع عليه.

و«جولدزيهر» في حكمه على اضطراب النص القرآني يلقى القول على عواهنه، فلم يقم هذا الحكم على فكر سليم وبحث علمي دقيق، وإنما قام على الرغبة في تشويه الكتاب الذي أحكمت آياته.

إن هذا المستشرق معروف بأحقاده وتعصبه وممالاته للصهيونية، وهو في آرائه يحاول أن ينفث سمومه، وأن يقدم الإسلام ونبيه وكتابه الخالد والتراث العلمي الإسلامي في صورة منفرة نسيئ إلى هذا الدين وإلى المؤمنين به، ومن ثم كانت دراساته عن الإسلام والمسلمين كلها سموماً وافتراءات وأحقاداً وتخرصات.

والاستشراق لا يكتفي بالحكم على النص القرآني بضياع قدر منه، واضطراب صياغته، بل يتهم الصحابة رضي الله عنهم بأنهم أضافوا إلى هذا النص ما ليس منه، وأن الأهواء السياسية لعبت دورها في تغيير بعض الآيات أو حذفها، فالمستشرق الفرنسي «كازانوفا» يذهب في كتابه «محمد ونهاية العالم»[1] إلى أن هناك آيتين يشك في صحة نسبتهما إلى الوحي الإلهي، ويرجح أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على أثر موت النبي فأقرّه المسلمون على ذلك، وهما قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]. وقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (30) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 30 و31].

وهذا المستشرق بما قال يُعَبِّر عن جهله بالسيرة النبوية وبأسباب النزول وبفقه سياق الآيات، ولأنه يريد أن يثير شكاً يتلمس مطعناً يظن أنه بلوغ الغاية في زعزعة ثقة المسلمين بصحة كتاب الله، وذلك أن الآية الأولى استشهد بها أبو

(1) انظر: الظاهرة الاستشراقية (1/ 377).

بكر، رضي الله عنه،حينما رأى الناس قد عصف بهم الحزن بعد وفاة النبي ﷺ ومنهم من لم يصدق أنه قد مات، وكان لهذا أثره؛ فالنفوس الحزينة قد زايلها ما سيطر عليها واستبد بها من آلام، والآية قد نزلت بسبب محنة المسلمين يوم أُحُد، وما أُشيع بأن الرسول قد قُتِل، واختلف المسلمون: أيواصلون القتال أم لا؟ فأنزل الله الآية؛ لتبين أن محمداً ﷺ كغيره من الأنبياء سيموت، فإذا مات تخليتم عما جاءكم به ودعاكم إليه! ومن يفعل ذلك فإن عاقبة أمره خسران مبين.

ونزلت الآية الثانية بالمدينة، وتعني إبلاغ النبي بأنه سيموت كما تموت كل الخلائق، فكل نفس ذائقة الموت.

وإذا كان الأمر كما ذهب إليه ذلك المستشرق أن أبا بكر اخترع الآيتين، فكيف يسكت المسلمون على ذلك ويوافقونه على هذا التزوير المتعمد، مهما يكن الباعث عليه، وهم أشد حرصاً على كتاب الله؟

إن الاستشراق تكلّم في تاريخ القرآن كاملاً، ويدور كله في فلك اتهام المسلمين في القرن الأول بأنهم حذفوا وغيروا وأضافوا. ولكي يلبس المستشرقون هذا الاتهام ثوب الحقيقة العلمية عَوّلوا على بعض الآثار الضعيفة والروايات الموضوعة، ولم يرجعوا إلى المصادر الأصلية والأقوال الصحيحة.

والمستشرقون الذين لا يجيدون النطق بالعربية ـ مهما امتدت دراساتهم وقراءاتهم في تراثها ـ تطاولوا على لغة القرآن الكريم التي هي أرفع بيان في العربية، فادعى بعضهم بأن هذا الكتاب غير فصيح وغير بليغ وأن به أغلاطاً نحوية، وتاريخية، ومتناقضات لفظية[1].

ويسلم بعض المستشرقين بفصاحة القرآن ولكن ـ مع هذا ـ يذهب إلى أنه لا يلزم من فصاحة كتاب من الكتب أن يكون من عند الله، ويضرب مثلاً لذلك بوجود بعض الآثار الأدبية العالمية لبشر، كالإلياذة والأوديسة[2] لهوميروس.

---

(1) انظر: المستشرقون والإسلام ص118.

(2) المصدر السابق، ص1144.

إن حديث الاستشراق عن لغة القرآن أدل برهان على الجهل وسوء النية، وخبث الهدف، فالأعجمي الذي لا يقدر أن يبين عما في نفسه بالعربية هو الذي يقضي على القرآن بأنه ليس فصيحاً، وأن به أغلاطاً نحوية! إن هذا الحكم شهادة للقرآن بأنه في الذروة من الفصاحة والبيان، كما يقول الشاعر:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص   فهي الشهادة لي بأني كامل

إن عجز العرب عن الإتيان بمثل أقصر سورة من القرآن ـ مع حرصهم الشديد على ذلك ـ لأوضح برهان على تفرد القرآن العربي بإعجازه البلاغي والتشريعي والعلمي، فلا سبيل لوضعه منزلة أي كتاب بشري أو تشبيه به مهما تكن فصاحته وبلاغته. ولكن الاستشراق ـ من منطلق نظرته الموروثة إلى القرآن على أنه ليس وحياً من عند الله ـ يلجأ إلى كل ما يسوغ له القول ببشريته واضطراب آياته والعبث بتدوينه، وتدخل الأهواء والمصالح الخاصة في الإضافة إليه، والحذف منه، ومحاولة النيل من مستواه البلاغي واللغوي، وكل يؤكد أن دراسات الاستشراق عن القرآن تفتقر إلى الموضوعية والأمانة العلمية، وأنها لا تتغيا سوى التشويه ونفى أن يكون هذا الكتاب آخر وحي من الله إلى الناس، وأن تكون له الهيمنة على كل الكتب التي نزلت من قبله، وذلك حرصاً على منع تأثير القرآن وانتشاره في الناس: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30].

ويتضح مما سبق أن خصائص المنهج الاستشراقي في تفسير النص القرآني مزاج من الاعتقاد ببشرية هذا النص، وأن مصادر النص ترجع إلى عوامل دخيلة إلى روح هذه الحضارة، وأن دعوة الغرب إلى ما يسمى بحضارة البحر المتوسط ليست إلا مدخلاً لكي يكون لفرنسا سلطانها الثقافي بين العرب.

آثار المنهج الاستشراقي في التفسير القرآني:

إن للمنهج الاستشراقي في تفسير النص القرآني آثاراً خطيرة على المستويين العالمي والإسلامي.

أولاً على المستوى العالمي:

زرع الخوف من الإسلام في نفوس غير المسلمين وبخاصة أهل الكتاب، مما كان سبباً في توتر العلاقات بين المسلمين واليهود والنصارى. ويعبر عن هذا الخوف أجهزة الإعلام في كل يوم، وتضاعف هذا التعبير بعد انهيار الإتحاد السوفييتي وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأطلق على الإسلام كلمة الخطر الأخضر، ومن ثم يلاحظ المتتبع لمسارات السياسة الدولية المعاصرة أنها تتخذ من قضايا المسلمين وحقوقهم مواقف مجافية للحق والإنصاف، والفكر الاستشراقي هو المسؤول عن هذه المواقف، لأنه هو الذي قدم الإسلام والمسلمين في صورة مشوهة إلى العالم غير الإسلامي فاستقر في وجدان هذا العالم النفور من الإسلام والاستهانة بالمسلمين منذ عدة قرون، وزاد ضعف العالم الإسلامي من تصديق كل ما قاله الاستشراق، وهذا يفسر الخوف الغربي من الصحوة الإسلامية، لأنها تعني عودة القوة للمسلمين وفي هذا تهديد لمصالح الغرب وأطماعه العدوانية في الأقطار الإسلامية.

وبلغ الموقف الغربي المضاد للإسلام والمسلمين ذروته في تلك المحاولة السيئة التي تسعى لتشويه القرآن، وصرف المسلمين عنه، وتجلت هذه المحاولة فيما يسمى بالفرقان الحق، وهو كتاب مزج فيه الاستشراق بين آيات من القرآن ونصوص من التوراة والإنجيل بحجة محاولة التقريب بين الأديان الثلاثة، وقد وُزِّع هذا الكتاب في بعض إمارات الخليج، ولا أستبعد توزيعه بوسائل شيطانية في غيرها من الدول الإسلامية.

والخلاصة أن منهج الاستشراق في دراسة القرآن والسنة، وما قدمه في مختلف مجالات البحث العلمي، كان من وراء كل المواقف المعادية للإسلام والمسلمين، فلا غرو أن يتمالأ الغربيون جميعاً على قهر هذا الدين في عقر داره، ليقتسموا أقطاره وليسعوا إلى احتلاله عقلياً وثقافياً بعد زوال عهد الاحتلال العسكري حتى يزحزحوه عن أصالته وأسباب قوته، فيظل تابعاً لهم وإن كان من الناحية الشكلية متمتعاً بالاستقلال والحرية.

ثانياً: على المستوى الإسلامي

كان من أهم آثار المنهج الاستشراقي في دراسة الإسلام ومعجزته الخالدة، إحداث التمزق والصراع المذهبي بين المفكرين والمثقفين في العالم الإسلامي، فهؤلاء المفكرون لا يتفقون على كلمة سواء في قضايا أمتهم المصيرية، فمنهم من أولع بالفكر الاستشراقي والثقافة الغربية، فدعا إليهما وناوأ سواهما، ومنهم من رأى في هذه الثقافة وذلك الفكر خطراً على الذاتية الإسلامية فعاداهما. ومن ثم شهد هذا العالم منذ أكثر من نصف قرن اختلافات كثيرة استهلكت طاقات أهل الرأي فيه دون جدوى، وما زالت هذه الاختلافات حتى الآن تشغل الأمة بما لا يعود عليها بطائل في دينها ودنياها[1].

إن ما يعاني منه الفكر الإسلامي المعاصر من بلبلة ومتناقضات، ترجع بعض أسبابه ـ إن لم تكن كلها ـ إلى ما قدمه الفكر الاستشراقي من مفاهيم خاطئة، وأفكار مزورة عن الإسلام وتاريخه، لأن هذه الأفكار والمفاهيم راجت بين المثقفين وأشباه المتعلمين في المجتمع الإسلامي، بعد أن خضع للاحتلال الغربي وأصبحت للفكر الاستشراقي الهيمنة والتوجيه للسياسة التربوية والاجتماعية في هذا المجتمع، فتمزق ثقافياً في ظل الثنائية التعليمية وما تمخض عنها من ظهور التيارات المتصارعة التي يدعي أتباع كل منها أنهم على الحق دون سواهم. فلا غرو أن اختلفت صفوة المفكرين والباحثين في الأمة الإسلامية حول قضية لم يختلف المسلمون فيها من قبل، وهي أن الإسلام دين ودولة، عقيدة وشريعة، وأنه الحل الأمثل لكل مشكلات التخلف والضعف والتفرق والعصبية المذهبية والعرقية.

وبعد، فإن جميع هذه الآثار تمثل تحدياً للإسلام وتهدف إلى التشكيك فيه من حيث عمومه وخلوده وصلاحيته الدائمة للتطبيق، وهي من ثم تفرض على علماء الأمة وولاة أمورها أن يخططوا لدراسات علمية موضوعية موجهة إلى غير

---

(1) انظر: صور استشراقية ص30.

المسلمين بلغاتهم للرد على الافتراءات والأباطيل، ولتقديم الصورة الصحيحة للإسلام وحضارته الإنسانية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الدراسات العلمية التي تتسم بالوسطية والاعتدال، وتجادل بالتي هي أحسن، سوف توضح تشريعات الإسلام وتؤكد أنها تلائم الفطرة الإنسانية، وأن اختلاف الآراء حولها ليس له مسوغ شرعي أو عقلي وأن الأولى أن تلتقي كل النظريات والأفكار حول وجوب تطبيق الشريعة الغراء، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

• • •

رؤيـة تـاريخيـة
لمنهجية التعامل الغربي مع القرآن الكريم

أ.د/ فوزية العشماوي
أستاذة اللغة العربية والحضارة الإسلامية
جامعة جنيف ـ سويسرا

تمهيد:

بدأ اهتمام العالم بالرسول محمد ﷺ وبالدين الخاتم الذي يدعو إليه منذ بداية ظهور الإسلام في القرن السابع في الجزيرة العربية، ثم مع انتشاره في الدول المجاورة كأثر للفتوحات الإسلامية السريعة التي بهرت الشعوب والأباطرة، هؤلاء الذين لم يصدقوا في بداية الأمر أن يتمكن رجل بدوي في الصحراء من تنظيم جيش وقيادته وغزو البلاد المجاورة له والانتصار عليها، بالرغم من أنها ذات سيادة وسلطان وتاريخ عسكري طويل.

ولم يكن اهتمام قادة هذه الدول وشعوبها منصباً على مضمون هذا الدين الجديد، ولا على الكتاب الكريم الذي يحتوي على أسس هذا الدين، بل كان الاهتمام كله منصباً على شخصية ذلك القائد العسكري العربي الذي نجح في الانتصار عليهم والقضاء على جيوشهم، وظل اهتمام البلاد المفتوحة إسلامياً اهتماماً بالعبقرية العسكرية للرسول محمد ﷺ ولقادته العسكريين الذين نجحوا في الانتصار على أقوى وأعتى الإمبراطوريات في ذلك العهد، الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية.

وبالرغم من أن المسلمين الأوائل كانوا يحرصون على نشر الدين

الإسلامي في كل بلد يغزونه ويفتحونه، لأن ذلك كان الهدف الأول لهذه الفتوحات، إلا أن القرآن الكريم بالرغم من أنه كان مكتوباً في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة، غير أن نشره وتوزيعه على شعوب تلك البلاد كانت تكتنفه الصعوبات، فكان نشر العلم بالدين شفاعة، وعمادة القرآن المحفوظ في قلوب الصحابة والمؤمنين، وهو الذي يرتلونه في صلواتهم واجتماعاتهم ويتعاملون بمبادئه ومفاهيمه في جميع أوجه حياتهم.

وقد بدأت أول محاولة لترجمة بعض سور القرآن الكريم إلى لغة أعجمية في عهد الرسول محمد ﷺ فطبقاً للبخاري، كتب بعض الفرس الذين يقطنون في شرق وجنوب الجزيرة العربية خطاباً إلى سلمان الفارسي يطلبون منه ترجمة سورة الفاتحة إلى الفارسية، فرجع سلمان الفارسي إلى الرسول ﷺ الذي وافق على ذلك، فقام سلمان الفارسي بترجمة الفاتحة إلى الفارسية وأرسلها إليهم ليصلوا بها[1].

وعندما بدأ المسلمون يستقرون في بعض البلاد المجاورة، خاصة بلاد الشام وفلسطين ومصر وبلاد فارس، ثم بعد ذلك في قلب أوروبا في الأندلس، بدأ الاهتمام يتزايد بما جاء به هؤلاء العرب من مفاهيم دينية جديدة تغاير المفاهيم اليهودية والمسيحية المنتشرة في تلك البلاد حتى ذلك الحين.

وأول محاولة لترجمة سورة القرآن الكريم في أوروبا كانت في طليطلة حيث قام «دون إبراهيم» من طليطلة، بناء على طلب الملك ألفونس العاشر (1284 ـ 1252) بترجمة سورة المعارج إلى الأسبانية. وقد أخذت الكنيسة الكاثوليكية، وهي أكبر وأعظم الكنائس في ذلك الوقت التي كانت تسيطر على أفئدة وعقول الشعوب في تلك البلاد، أخذت تهتم بمضمون الدين الإسلامي لتتمكن من مواجهته ومحاربته، فأخذ رجال الدين الكاثوليكي يهتمون بأهم المفاهيم الجديدة التي جاء بها الإسلام، ليس بهدف التعرف على هذا الدين

(1) انظر محمد حميد الله/ ترجمة القرآن إلى الفرنسية حيث يذكر ذلك عن عبد العزيز البخاري (3/ 188).

الجديد ودراسته موضوعياً، ولكن بغرض دحض هذا الدين الجديد ومحاربة أفكاره وقيمه ومفاهيمه، وإقناع الناس بأن الرسول محمداً ﷺ الذي جاء بهذا الدين الجديد ليس نبياً وإنما كذاب قام بتأليف القرآن ونسبه إلى الله بعد أن عاشر بعض الرهبان والأحبار المسيحيين وتتلمذ على أيديهم، وأخذ عنهم كل ما جاء في ذلك القرآن الذي ساعده على تأليفه راهب نصراني خبير بفحوى الإنجيل والتوارة.

وهكذا انحصرت مهمة الكنيسة في تكليف رهبانها بتأليف الكتب لمحاربة محمد ودينه الجديد، وإثبات كذبه وتزييفه للكتب المقدسة. فشحذت همة هؤلاء الرهبان وأخذوا يصورون الرسول ﷺ على أنه المسيح الدجال Antechrist ويركزون على بعض الموضوعات التي رأوا فيها نقاط ضعف حسب تقديرهم، فاهتموا أكثر ما اهتموا بالاختلافات بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم المسيحية، فأخذوا يفندون بعض المفاهيم الإسلامية وبعض خصائص الدين الإسلامي التي تتعارض مع معتقداتهم، ليدحضوها.

أولاً: الترجمات الأولى للقرآن الكريم من مترجمين غير مسلمين إلى اللغات الأجنبية

طبقاً للمستشرق الفرنسي ريجي بلاشير [1900 - 1973] Regis Blachere الخبير في ترجمات القرآن الكريم في أوروبا، في كتابه الذي يحمل عنوان «القرآن»[1] ويسرد فيه تاريخ القرآن الكريم وترجماته إلى اللغات الأوروبية: «منذ بداية القرن الثامن الميلادي، اهتم المؤلفون البيزنطيون في نقدهم للإسلام بعدة نقاط أساسية، مثل الرؤية الإسلامية للمسيحية وللسيدة مريم العذراء، ولنظرة الإسلام للحياة الجنسية (وخاصة حياة النبي محمد الجنسية) وغياب آية معجزات للنبي محمد».

ولعل أول الكتابات التاريخية عن القرآن وعن الرسول محمد ﷺ ترجع

---

(1) Regis Blachere/le Coran/Presses University de France/collection que sais-je/ Paris/1969.

للقرن التاسع الميلادي، وهي للراهب نيسيتاس Nicetas البيزنطي والراهب برتليمي ديداس Barthelemy d'Edesse وقد ركز هذان الكاتبان في كتاباتهما على النقاط الضعيفة، حسب رؤيتهما، هي بالطبع المقولة بأن الرسول ﷺ إنما هو المسيح الدجال الذي يدعي النبوة، وأنه نقل القرآن عن الكتب المسيحية واليهودية، وأنه مزواج ويحب الملذات والنساء.

وترجع أول ترجمة شبه كاملة للقرآن الكريم إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وهي ترجمة إلى اللغة اللاتينية التي كانت هي اللغة الرسمية للدولة الرومانية، ولجميع مقاطعاتها في أوروبا، وقام بهذه الترجمة في مدينة طليطلة بالأندلس «Toledo» روبير دي ريتين Robert de Retines بناء على طلب رسمي من بابا الكنيسة الكاثوليكية في روما «بيير الموقر» Pierre le Venerable وذلك خلال زيارته للأندلس وقد تمت الترجمة في الفترة: 1141 ـ 1143م. وقد أرسل البابا هذه النسخة الأولى لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، المعروفة باسم «ترجمة طليطلة» (1143) إلى القديس «سان برنارد» مرفقة بخطاب يحدد فيه أن الهدف الأول لهذه الترجمة هو إعلاء كلمة المسيحية، ونصرة الصليبيين، ومساعدة الذين ارتدوا عن الدين الإسلامي بعد عودة طليطلة إلى المسيحية عام 1085م، على إزالة ومسح كل ما علق بأذهانهم عن الدين الإسلامي.

وطبقاً للخبير الفرنسي في ترجمات القرآن «ريجي بلاشير» فإن «هذه الترجمة التي أنجزت في طليطلة لم تكن أبداً ترجمة مخلصة وصادقة وكاملة للنص القرآني» وبالطبع كانت هذه الترجمة غير منتشرة حيث لم تكن الطباعة قد اكتشفت بعد، فلم تكن إلا في متناول قلة قليلة من الرهبان.

وبالرغم من ذلك، فقط ظلت هذه الترجمة الوحيدة في الغرب حتى القرن الرابع عشر الميلادي، إلى أن قام «ريمون ليل» (المتوفى عام 1315) في Bougie بترجمة أخرى للقرآن باللغة اللاتينية أيضاً.

ثم عثر بعد ذلك على ترجمة في اسطنبول القديمة Canstantinopple عام 1543 في مكتبة القديسين المبشرين بالمسيحية بعنوان «القرآني إيتوم» Alcorani Epitome.

ولكن على ما يبدو فقد ظل الجهل بالإسلام وبالقرآن منتشراً في بعض الدول الأوروبية حتى إن المصلح الألماني «مارتن لوثر» كتب عام 1542 في مقدمة إحدى الترجمات الأولى للقرآن إلى اللغة الألمانية في القرن السادس عشر، يقول: «كنت أود قراءة القرآن بنفسي وأنني أتعجب كيف لم تتم ترجمة القرآن إلى اللاتينية قبل ذلك، فبالرغم من أن محمداً يسيطر على العالم منذ 900 سنة وأحدث به أضراراً جسيمة، إلا أن أحداً لم يهتم بمعرفة ما هي معتقدات محمد، ولكن الجميع اكتفوا بالتأكيد على أن محمداً هو عدو العقيدة المسيحية. ولكن كيف وأين؟! موضوعياً فإن ذلك لم يقم به أحد ومن الضروري جداً القيام به»[1].

وازدادت الترجمات في عدة مدن أوروبية هامة وفي الأوساط العلمية في إيطاليا وفرنسا وهولندا وسويسرا، وهكذا ظهرت في فينيسيا عام 1530 ترجمة Paganini ثم ظهرت أول ترجمة مطبوعة باللغة اللاتينية في مدينة بازل عام 1543 في سويسرا لدى الناشر Biliander للمترجم Pierre de Cluny ثم ظهرت أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الإيطالية في فينيسيا لمؤلفها Arrivabene Andrea عام 1547 بعنوان «قرآن محمد» والتي نسبت تأليف القرآن إلى محمد، وقدمت تفسيراً لبعض الآيات والسور مستعينة بأحداث من حياته.

وظهرت ترجمات أخرى نقلاً عن الترجمة اللاتينية المعروفة باسم ترجمة طليطلة 1143م التي ذكرناها. ومن هذه الترجمات التي احتفظت بروح العداء للإسلام وللقرآن نذكر ترجمة لاتينية أخرى للقس الفرانسيسكاني Germain de

(1) انظر: د. فوزية العشماوي/ أحوال المسلمين في سويسرا ص16 La Condition Musulmans en Suisse/Cera/Geneve.

Silesie المنشورة بين 1650 و1665م. ومنذ منتصف القرن السابع عشر بدأ بعض الدبلوماسيين الأوروبيين الذين عاشوا في البلاد الإسلامية يهتمون بدراسة اللغة العربية وبدراسة كتاب المسلمين في بلاد الشرق «القرآن».

وهكذا نشأت الدراسات الشرقية وبدأت تظهر مؤلفات جديدة، وأخذت تبرز ظاهرة أدبية أطلق عليها فيما بعد «الاستشراق» Orientalisme ومعظم تلك الدراسات بقلم قناصل الدول الأوروبية في بلاد الشرق، وكانت معظم مؤلفاتهم عن خواطرهم ورحلاتهم التجوالية لوصف بلاد الشرق، وبعضهم تعمق في دراسة اللغة العربية واهتم بترجمة كتاب المسلمين القرآن.

وهكذا ظهرت عدة ترجمات للقرآن الكريم باللغة الفرنسية ولعل أولها هي ترجمة دي رييه Du Ryer عام 1647م، وقد كان قنصل فرنسا منذ عام 1630م في القاهرة، وتعتبر ترجمة دي رييه أول ترجمة كاملة من اللغة العربية رأساً إلى اللغة الفرنسية دون المرور باللغة اللاتينية. وقد تم إصدار عدة ترجمات نقلاً عن هذه الترجمة الفرنسية إلى اللغات الانجليزية والهولندية والألمانية، وأعيدت طباعتها أكثر من 18 مرة خلال قرن كامل وحظيت باهتمام بالغ في الأوساط العلمية. خاصة وأن مؤلفها إدعى أن هدفه وراء هذه الترجمة هو «تعريف القارئ بكل أمانة بالإسلام» ولكنه في الواقع كان بعيداً كل البعد عن الأمانة، حيث إنه نسب تأليف القرآن إلى محمد وأعطى لترجمته عنوان «قرآن محمد » L'Alcoran de Mahomet وكتب يقول: «لقد قَسَّم محمد كتابه إلى فصول أطلق عليها سورات «سور» وأعطاها اسماء على مزاجه، ثم قسمها إلى آيات تحتوي على تعليماته وحكاياته» وبالرغم من ذلك، فإنه لم يراع في ترجمته هذه التقسيمات التي يدعي أن محمداً أجراها بنفسه، بل جعل الترجمة بدون فواصل ولا تقسيمات، ففقدت نظامها ورونقها، وبدت كأنها كلام مرصوص بلا ضوابط.

وبعد ذلك ظهرت الترجمة اللاتينية المصحوبة بالنص العربي للقرآن والمنشورة في بادو Padoue عام 1698 للمؤلف Ludovico Marracci وقد إدعى ماراتشي في مقدمة ترجمته للقرآن أن الرسول محمداً ﷺ كان مصاباً بمرض

الصرع، وكان يصاب بنوباته الشديدة ويهذي أثناء هذه النوبات بكلام وحكايات وروايات جمعها أصحابه في هذا الكتاب الذي أطلقوا عليه اسم القرآن، وظلت ترجمة ماراتشي وادعاءاته الكاذبة وافتراءاته على الرسول هي التي يستعملها المبشرون المسيحيون لنشر المسيحية في بلاد الشرق، وتقديم الترجمة المشوهة للقرآن التي لم يكن بها فواصل ولا شروحات، بل هي سرد غير منتظم وكلام بلا ضوابط، ليبدو النص القرآني وكأنه كلام بلا معنى ولا عمق، بل كلام مرصوص وغير موزون. والهدف من وراء ذلك هو دحض الدين الإسلامي وتقديم كتابه المقدس «القرآن» على أنه كتاب لا يستحق القراءة.

وحسب الكاتب الإنجليزي Eduard Gibbon في تحليلاته لترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية: «إن التناغم والأسلوب الثري للنص الأصلي للقرآن لا يمكن أن يصلا (من خلال ترجمات القرآن إلى اللغات الأوروبية) إلى أذن الأوروبي غير المؤمن، فالأوروبي يقرأ ترجمة القرآن ولا يجد فيها إلا مجموعة من الحكايات لا تنتهي، بدون ترابط بينها، فلا توحي إليه بأي أحاسيس أو أفكار».

وفي القرن الثامن عشر ظهرت في فرنسا واحدة من أكثر الترجمات الفرنسية انتشاراً وشهرة وهي ترجمة الكونت دي بولنفيلييه Le Comte Henri de Boulainviliers والتي صدرت عام 1730م، وظلت طوال قرنين من الزمان هي الترجمة الأكثر تداولاً وانتشاراً في فرنسان وأوروبا، بل إنها ترجمت إلى معظم اللغات الأوروبية، بالرغم من رداءتها وعدم الدقة والأمانة العلمية التي اتسمت بها، والتي ندد بها علماء عصر التنوير في أوروبا، خاصة في إنجلترا، حيث بدأ ينتشر تيار علمي جديد ونظرة أكثر حيادية للإسلام وللقرآن، فظهرت في لندن عام 1734م الترجمة الإنجليزية الأولى عن العربية تحت عنوان The Koran لمؤلفها George Sale والتي يمكن أن يقال إنها أول ترجمة إلى اللغة الإنجليزية تحترم النص الأصلي، وتهتم بالفواصل وبتقسيمات السور والآيات، وإن كانت بها كثير من الأخطاء، ولكنها غلطات غير مسيئة للإسلام ولا للرسول محمد ﷺ

حيث إن روح النص لا تتسم بالعداء ولا بالحرب على الدين الإسلامي. وظلت هذه الترجمة هي الترجمة الإنجليزية المعتمدة في معظم الأوساط العلمية والجامعية والأكاديمية لمدة قرنين من الزمان، عرفت خلالهما حوالى أربعين طبعة في إنجلترا وفي الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في فرنسا، فقد صدرت ترجمة هامة بالفرنسية لكلود سافاري Glaude Savary عام 1783م الذي عاش خمس سنوات في مصر ليتعلم اللغة العربية ويترجم القرآن، وكان سافاري أول من نفى ادعاءات ماراتشي بأن الرسول محمداً ﷺ كان يعاني من مرض الصرع ويملي على أصحابه القرآن أثناء نوبات المرض. وحسب تقدير المحللين الفرنسيين في القاموس العالمي: «فإن ترجمة سفاري هي الوحيدة التي نقلت عبقرية الأسلوب والصيغة النبوية من النص الأصلي»[1].

وفي القرن العشرين ظهرت كثير من الترجمات للقرآن الكريم باللغات الأوروبية، واتسمت أغلبها بالجدية والحيادية، وتخلص المترجمون الأوروبيون من عقدة دحض ومحاربة الدين الإسلامي وتشويه صورة الرسول محمد ﷺ بل حاول أغلبهم نقل النص بأمانة وصدق، مع كثير من الشروحات الجانبية، لمزيد من التوضيح. كما ظهرت عدة محاولات لإعادة فهرسة القرآن الكريم أي لإعادة ترتيب السور القرآنية حسب ترتيب النزول، وليست كما جاءت في الترتيب المعروف في المصحف الشريف.

ونذكر من هذه المحاولات، محاولة المترجم المستشرق الفرنسي «ريجي بلاشير» الذي أصدر عام 1947 ترجمة للقرآن الكريم من ثلاثة أجزاء، حسب ترتيب النزول بعنوان «القرآن: ترجمة طبقاً لمحاولة إعادة ترتيب السور»، ولقد بذل فيها مجهوداً شاقاً، واستشهد بكبار المفسرين وبأمهات التفسير والسيرة

(1) Edward Gibbon/Historie de la decadence et la chute de l'empire romain. Tranduit de l'anglais) pas M.F. Guizot/Paris 1 Maradan/1812.

النبوية، للوصول إلى الترتيب الزمني لنزول السور، الآيات القرآنية، وهذا جهد محمود يشكر عليه.

ونذكر هنا أحدث الترجمات التي ظهرت في فرنسا في نهاية القرن العشرين وهي ترجمة المستشرق الفرنسي المشهور، جاك بيرك عام 1990 وترجمة الكاتب اليهودي آندريه شوراكي 1990 في نفس العام.

وقد أحدثت كل منهما ضجة في العالم العربي والإسلامي، خاصة في القاهرة حيث أمر شيخ الأزهر جاد الحق بتشكيل لجنة علمية عام 1995 لمراجعة ترجمة جاك بيرك. ولقد خلصت اللجنة إلى إدانة هذه الترجمة واعتبارها ترجمة محرفة، واتهمت جاك بيرك بعدم الأمانة العلمية وبالجهل باللغة العربية، بالرغم من أنه كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة لمدة عشرين عاماً.

ثانياً: ترجمات القرآن الكريم من مترجمين مسلمين إلى اللغات الأجنبية

ظلت ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية مرفوضة في البلاد الإسلامية حتى بداية القرن العشرين، وطبقاً للدكتور محمد إبراهيم مهنا في كتابه «ترجمة القرآن الكريم» فإن قضية ترجمة القرآن الكريم في العالم الإسلامي مرت بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الرفض القاطع، عندما منعت مشيخة الأزهر إدخال نسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية إلى مصر، وطلبت من مصلحة الجمارك إحراقها.

المرحلة الثانية: مرحلة الموافقة التركية، عندما قررت حكومة كمال أتاتورك ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الموافقة الرسمية في عام 1936م عندما أصدر مجلس الوزراء المصري قراراً رسمياً بموافقته على ترجمة معاني القرآن الكريم، ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر، بمساعدة وزارة المعارف العمومية، وذلك وفقاً لفتوى جماعة كبار العلماء وأساتذة كلية الشريعة.

وكانت مشيخة الأزهر، برئاسه الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي كان أيضاً رئيساً لجماعة كبار العلماء، قد أصدرت قرارها بموافقتها على مبدأ ترجمة معاني القرآن الكريم.

وهكذا بدأ العلماء المسلمون في ترجمة معاني القرآن الكريم من العربية إلى اللغات الأجنبية، خاصة إلى اللغة الإنجليزية ثم إلى اللغات الألمانية والإسبانية والفرنسية والإيطالية، وفيما بعد إلى معظم لغات العالم. كان معظم هؤلاء الخبراء من المسلمين العارفين بأمور الدين الإسلامي، والذين درسوا الأجنبية وأجادوها بعض الشيء، فقاموا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى هذه اللغات الأجنبية بعد أن كانت الترجمة من العربية إلى اللغات الأجنبية حكراً على بعض المستشرقين من غير المسلمين، من الخبراء أو المهتمين بالدراسات الشرقية أو الدراسات العربية والإسلامية. وجاءت ترجمات المسلمين لمعاني القرآن الكريم أكثر دقة ولكنها أقل جودة من ناحية اللغة الأجنبية، حيث إنه من المعروف عالمياً أن المترجم يترجم إلى لغته الأم وليس العكس (أي إن المترجم العربي يترجم من اللغة الأجنبية إلى لغته الأم العربية، والمترجم الإنجليزي أو الفرنسي يترجم من العربية إلى لغته الأم الإنجليزية أو الفرنسية)، ومن ثم جاءت ترجمات المسلمين العرب بنتيجة عكسية، لأن الأجانب الذين يقرؤونها بلغاتهم الأجنبية يجدون فيها أخطاء لغوية كثيرة فيعتقدون أن هذه الأخطاء من أصل القرآن نفسه وليست من صنع المترجمين المسلمين، الذين كانوا على الأغلب لا يجيدون اللغة الأجنبية إجادة تامة، بل كان اهتمامهم منصباً على المعنى والمغزى للآيات، فأهملوا الناحية اللغوية على حساب المعنى. ونحن نعيب على كثير من المترجمين العرب المسلمين الذين ترجموا القرآن الكريم إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها، تحاملهم الشديد على المترجمين الأوروبيين غير المسلمين، وكيلهم الاتهامات العنيفة لكل الذين قاموا قبلهم بنفس المجهود المضني لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، خاصة في القرن العشرين، حيث صدرت عدة ترجمات جيدة للقرآن الكريم

باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية، قام بها علماء متخصصون في علوم اللاهوت وفي العلوم الإسلامية، مع إجادتهم للغة العربية، واتسمت أعمالهم بالحيادية والموضوعية والدقة والحرص الشديد على تقديم المعنى مع شرح أسباب نزول الآيات. فكل من قام من هؤلاء العلماء بهذه المهمة الشاقة الصعبة لهم منا كل التقدير والاحترام، ولكل منهم أجر على جهده ومجهوده، حتى وإن أخطأ ولم يوفق في بعض الأحيان، عملاً بالمبدأ الإسلامي المعروف «من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر».

ونحن نأخذ على المترجمين المسلمين العرب أسلوبهم في ذم المترجمين غير المسلمين، ودحض ترجماتهم لإعلاء قدر وقيمة الترجمة التي قام المسلمون بإعدادها، بالرغم من أنهم استعانوا جميعاً في ترجماتهم بترجمات هؤلاء المستشرقين. وهذا أسلوب في النقد لا يليق بأي باحث أو عالم، وهذا الأسلوب في النقد أسلوب غير أمين وغير علمي يجب أن نبتعد عنه، وحين ننتقد ترجمات الآخرين يكفي أن نقول إننا وجدنا لديهم بعض الأخطاء أو كثير من الأخطاء، وبدلاً من توجيه الاتهامات والتأكيد على سوء نيتهم وتعمدهم تشويه القرآن الكريم، فمن الأجدر بنا أن نقول بأن المستشرقين لم يراعوا الدقة العلمية، وأنه من الضروري إعادة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية من قبل خبراء مسلمين متخصصين في العلوم الإسلامية، مع الاستعانة في مراجعة هذه الترجمات بخبراء لغويين في اللغة الأجنبية التي تنقل إليها معاني القرآن الكريم، لتكون أقرب إلى المفهوم الإسلامي، ولتكون أكثر دقة من الترجمات السابقة.

ونحن نشيد هنا بالترجمة الفرنسية التي أنجزها الدكتور محمد حميد الله الأستاذ بجامعة استنبول، الصادرة عام 1959م والتي اعتمدها مجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وكذلك نشيد بالترجمة الفرنسية بعنوان Le Coran inimitable التي قامت بها المستشرقة الفرنسية السيدة دونيز ماسون عام 1967م والتي حصلت على إجازة طبعها من

مشيخة الأزهر الشريف بالقاهرة، والتي طبعتها أيضاً جمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس، في طبعة جديدة بعد مراجعتها من قبل الدكتور صبحي الصالح، نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بلبنان. وتعتبر الترجمة الأخيرة من أفضل الترجمات الغربية للقرآن الكريم، وقد تم اختيارها لتصدر في السلسلة المختارة لأمهات الكتب الفرنسية La Pleiade التي تصدرها دار النشر «جاليمار»، وقد جاءت هذه الترجمة أقرب ما تكون لمعنى النص الأصلي العربي، حيث تمت المحافظة على المعنى واللغة الأجنبية في الوقت نفسه.

وبالرغم من أننا نتفهم الغيرة الشديدة على كتاب الله، والرغبة الأكيدة للمترجمين المسلمين في نقل معاني القرآن الكريم نقلاً صادقاً وأميناً إلى اللغة الأجنبية، ولكن كان من الأجدر بنا احترام قواعد اللغة الأجنبية التي ينقلون إليها. بالطبع بالنسبة للإنسان المسلم، فإن تشويه اللغة الأجنبية المنقول إليها معاني القرآن الكريم أقل ضرراً من تشويه معاني القرآن الكريم، ولكن نرد على ذلك بأنه يمكن الحفاظ على معاني القرآن الكريم، وفي الوقت نفسه مراجعة اللغة الأجنبية بمعرفة عالم لغويات خبير بهذه اللغة الأجنبية، اي أن تكون هذه اللغة الأجنبية هي لغته الأم.

ومما لا شك فيه أن وجهة النظر الغربية، غير الإسلامية، للقرآن الكريم كانت ولا تزال نظرة تشكيك في كونه كتاباً منزلاً من السماء، أنزله الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين الرسول محمد ﷺ، لذا نجد أن الترجمات الأولى للقرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية كانت كلها منصبة على دحض الدين الإسلامي، وتفريغ القرآن من مضمونه الروحي، وتشويه تكامله وانسياقه ونظمه وتقاسيمه، وإظهاره بمظهر الكلام المرصوص بلا أدنى ترتيب أو تنسيق، لتنطبق عليه مقولتهم بأنه مجموعة من الأقاويل والحكايات، لا رابط بينها اقتبسها محمد من الكتب المقدسة المسيحية واليهودية دون أن يستطيع تنسيقها.

ومنذ الترجمات الأولى للقرآن الكريم نسب الأوروبيون تأليف القرآن إلى الرسول محمد ﷺ واتهموه بأنه المسيح الدجال، وأن كتابه مأخوذ من التوراة

والإنجيل. وبالرغم من التقدم المحرز في ترجمات القرآن الكريم في القرن العشرين، حيث ظهرت عدة ترجمات احترم مؤلفوها النص القرآني، وبذلوا مجهوداً كبيراً للحفاظ على دقة معانيه وتناسق فقراته، إلا أن العلماء المسلمين الذين أنجزوا بعض الترجمات من العربية إلى اللغات الأوروبية اتهموا المستشرقين والعلماء من غير المسلمين، الذين ترجموا القرآن قبلهم، بالجهل وعدم الأمانة العلمية وعدم الدقة والموضوعية.

ونحن لا نقبل بهذه الاتهامات غير المبررة، خاصة وأن بعض الترجمات التي قام بها غير المسلمين إلى اللغات الأجنبية تعتبر أكثر دقة وأمانة في النقل من المعنى الأصلي، من العديد من الترجمات التي قام بها العلماء المسلمون، وربما يرجع ذلك إلى أن الأوروبيين ينقلون النص العربي إلى لغتهم الأصلية (لغة الأم) بينما العلماء العرب المسلمون ينقلون إلى لغة أجنبية عليهم. وفي رأينا أن أفضل ترجمة للقرآن الكريم إلى لغة أجنبية هي التي يقوم بها عالم عربي مسلم ثم يقوم بمراجعتها خبير لغوي في اللغة الأجنبية المترجم إليها.

• • •

منهجية التعامل الغربي
مع الإسلام والقرآن الكريم

أ. د. محمد السماك
باحث في القضايا الإسلامية
لجنة الحوار الإسلامي ـ المسيحي/لبنان

ينقسم هذا البحث إلى قسمين. يعالج القسم الأول منه ظاهرة الحذر من الإسلام ورفضه، وحتى تشويهه، في مرحلة ما قبل 11/ 9/ 2001م، ويعالج القسم الثاني تنامي هذه الظاهرية إلى حد الانفجار العدائي منذ هذا التاريخ.

أولاً: مرحلة ما قبل 11/ 9/ 2001م

في منتصف القرن التاسع نشر المؤرخ البيزنطي «جورج هامر تولوس» كتاباً عن تاريخ الإنسانية، وفي الصفحة 235 من هذا الكتاب وصف المسلمين، بأنهم «رجال أغبياء مشوشي العقول». ومن بعده وجه الراهب هيوكلوني (1049 ـ 1119) رسالة إلى أحد الأمراء المسلمين دعاه فيها إلى الإرتداد عن الإسلام واعتناق المسيحية، مبرراًدعوته بقوله: «لقد خدع الشيطان أحفاد إسماعيل، بالنسبة لإيمانهم بمن يعتقدون أنه نبي، فكان طبيعياً أن يكون عقابهم نار جهنم». ومن خلال هذا النص، فإنه يقدم القرآن على أنه عمل شيطاني، كما يقدم النبي محمداً، عليه الصلاة والسلام، على أنه رجل مخادع، ويصوّر المسلمين على أنهم مخدوعون ومصيرهم إلى جهنم.

وفي أواسط القرن التاسع عشر حرّمت الحكومة الإنكليزية على رعايها

شرب القهوة، لأن حبات البن، كانت تعرف آنذاك باسم «حبات محمد» وكان هناك اعتقاد بأن من يشرب القهوة يرتد عن مسيحيته إلى الإسلام، وأن الأتراك يتآمرون على المسيحية في بريطانيا من خلال القهوة.

وقد تمكن رئيس «أسقافة كنتربري» الأسقف «لاند» من استصدار قانون عن مجلس العموم في عام 1637 يمنع أي بريطاني من اعتناق الإسلام ويحرم شرب القهوة.

وتوجد في هانوفر بألمانيا مخطوطة من القرن السابع عشر تحمل توقيع الفيلسوف الألماني «ليبنيز». المخطوطة كانت موجهة إلى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، تدعوه بإلحاح إلى غزو الشرق، مصر وبلاد الشام. وتتضمن المخطوطة ثلاثة إغراءات للقيام بالمهمة:

- كان الإغراء الأول عبارة عن دراسةٍ ميدانية وصفية لحالة الضعف العسكري والتناحر السياسي التي كانت مستشرية في هذه المنطقة، وشمل الوصف كذلك مواقع الحصون والقلاع تسهيلاً لمحاصراتها وإسقاطها (تقرير استخباراتي).
- أما الإغراء الثاني، فكان عبارة عن محاولة لاستنهاض حمية الملك الفرنسي حتى يقوم بالمهمة التاريخية. فقد رفعه الفيلسوف الألماني إلى مصاف الإسكندر المقدوني والقيصر الروماني، اللذين تمكنا من السيطرة على الشرق وإخضاعه.
- وتمثل الإغراء الثالث من محاولة إثارة العصبية الدينية للملك الفرنسي، عندما دعاه «ليبنيز» إلى العمل على تحقيق الهدف المقدس من الحروب الصليبية التي انتهت عام 1270م وهو تحويل الشرق إلى المسيحية، وربطه بالغرب مرة جديدة وإلى الأبد.

في ذلك الوقت كان الجيش الفرنسي هو الأقوى في أوروبا. وكان على رأس ألمانيا الملك دوشنبون الذي كان يمثل حالة ألمانية استثنائية ـ ربما ـ في نزوعه نحو السلام الأوروبي.

اعتقد الملك لويس الرابع عشر أن رسالة صديقه الفيلسوف الألماني تستهدف إغراءه لإبعاد الجيش الفرنسي من أوروبا إلى الشرق، ولذلك رفض الاستجابة. ولكن هذه المخطوطة التي انتقلت فيما بعد إلى نابليون، ربما شكلت أحد العوامل التي أغرته وشجعته على تغيير أولوياته العسكرية من غزو إنكلترا إلى غزو مصر. وهكذا بدلاً من أن يُسقط نابليون إنكلترا، لحقت به إنكلترا حتى مصر، حيث وجهت إليه في أبي قير الضربة التي عجلت بسقوطه فيما بعد في معركة واترلو.

وقبل وفاة الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نيكسون صدر له كتاب عنوانه «اقتناص اللحظة» كشف فيه بكثير من الوضوح عن ثقافة كراهية الإسلام، فقال في الصحفة (195): «يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة. وإن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيسياً. وإن الغرب سوف يضطر إلى تشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف. إن وجهة النظر هذه ـ يضيف نيكسون ـ تعتبر أن الإسلام والغرب على تضاد، وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

عكس نكيسون في كتابه هذا صورة بشعة عن العالم الإسلامي، عندما قال: (ص194): «إن معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين، على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم فأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط.

ولا شك في أن كثيرين، في الولايات المتحدة وفي الغرب، يشاركون نيكسون وجهة نظره التي يقول فيها (ص169): «إنه يوجد في العالم الإسلامي عاملان اثنان مشتركان فقط: هما الدين الإسلامي والاضطراب السياسي». وهذا يعني أنه بما أن مصدر الدين هو القرآن، فإن مصدر الاضطراب هو العمل بما جاء في القرآن.

بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفياتي وإنحلال حلف وارسو، جرى تصعيد متعمد للعدوانية الغربية ضد الإسلام، حتى إن مدير «معهد بروكنغز» في واشنطن Brookings Institution «هيلموت سوننفيل» Sonnenfield Helmut يقول: «إن حلف شمال الأطلسي سوف يعيش، وإن الغرب سيبقى مجموعة دول لها قيم أساسية مشتركة. وستبقى هذه المجموعة متماسكة معاً من خلال الشعور بخطر خارجي: الموقف من الفوضى أو التطرف الإسلامي». ويعزي هذا التطرف الإسلامي دائماً وباستمرار إلى نصوص قرآنية، مع استبعاد أي عامل سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي آخر.

وفي ربيع 1990م ألقى «هنري كيسنجر» وزير الخارجية الأمريكية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية، قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي يتحتم على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب (لاحظ كلمة الجديد أي بعد سقوط الشيوعية)، وإن حلف الأطلسي باق، رغم انخفاض حدة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا، ذلك أن أكثر الأخطار المهددة للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفي نهاية التسعينات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الإيكونوميست البريطانية، المعروفة برصانتها، قد نشرت في الوقت نفسه على الغلاف موضوعاً بعنوان: «الإسلام: الأيديولوجية البربرية

المعادية للغرب» هذه الأيديولوجية قائمة على القرآن الكريم وعلى التزام المسلمين به.

وجاء في دراسة أخرى، نشرتها مجلة ألمانية متخصصة في الدراسات الاستراتيجية، إثر انتهاء الحرب الباردة وسقوط الشيوعية في عام 1990م، أعلن الأمين العام لحلف شمال الأطلسي «ولي كلايس» (تولي منصب وزير الاقتصاد في بلجيكا فيما بعد):

«لقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نتخلى عن خلافاتنا وخصوماتنا السابقة وأن نواجه العدو الحقيقي لنا جميعاً، وهو الإسلام.. إن الأصولية الإسلامية هي، على الأقل، في مستوى خطورة الشيوعية سابقاً».

ومن شأن هذه المقارنة أن تقدم للغرب القرآن الكريم على أنه مماثل للمانيفستو الشيوعي. وبالتالي فإنه كما كان كارل ماركس ولينين، مصدر الخطر على الغرب والرأسمالية، وكذلك الإسلام ممثلاً بالقرآن وبالنبي محمد عليه السلام.

وفي حزيران ـ يونيو من عام 1994م انتهت مهمة الجنرال «جون كالفان» القائد الاعلى لقوات حلف شمال الأطلسي. وفي الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في بروكسل، ألقى كلمة تحدث فيها عن الآفاق المستقبلية للحلف ولدوره. وتستوقفنا من كلمته العبارة الآتية: «لقد ربحنا الحرب الباردة، وها نحن نعود بعد 70 عاماً من الصراعات الضالة إلى محور الصراع القائم منذ 1300 سنة، إنه صراع المجابهة الكبيرة مع الإسلام».

الواقع إن المشاعر المعادية للإسلام وللمسلمين هي التي تجعل من الإسلام عدواً عند الضرورة، وهي التي تحمل من صورة هذا العدو، المقررة سلفاً والمغروسة في الثقافة العامة، أسرع انتشاراً وأكثر قدرة على الاستقطاب.

فإثر إحراق آبار النفط الكويتية على يد قوات الغزو العراقي في عام 1990م طرحت جماعة من حزب الخضر في ألمانيا نظرية، تجاوزت فيها الحديث عن الصراع بين الإسلام والغرب، لتقرر أن ثمة صراعاً بين الإسلام والتنوير والتحرير أيضاً. وطالب آخرون من الخضر الألمان ببوليس دولي لحماية البيئة من المسلمين العرب.

وفي أعقاب المحاولة الإرهابية الأولى، التي استهدفت برجي التجارة العالمية في نيويورك في عام 1993م نشرت مجلة نيوزويك الأميركية بتاريخ 15/ 3/ 1993م دراسة مطولة، بعنوان على الغلاف كما يلي:

«الرعب البارد. الإرهاب اليوم. الدور الإسلامي»، وقد تصدرت الغلاف صورة لشاب ملتح، يحمل نسخة من القرآن الكريم، مكتوب عليها الله ومحمد.

في ذلك الوقت دعا رئيس مجلس النواب الأمركيي السابق «نيوت غينغريش» إلى وضع استراتيجية متكاملة لمحاربة «التوتاليتارية الإسلامية».

يلاحظ المفكر الأميركي «صموئيل هنتنغتون» في دراسة نشرتها الخارجية الأمريكية، ونقلت مقتطفات منها صحيفة «هيرالد تريبيون» الأمريكية (عدد 8/ 6/ 1993م) أن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية تفصل الشعوب عن هوياتها المحلية، وفي معظم أنحاء العالم يتقدم الدين لملء هذا الفراغ على يد حركات، غالباً ما تتصف بالأصولية، كالمسيحية الغربية، واليهودية، والبوذية، والهندوسية، والإسلام.

وفي مقابلة أجرتها معه مجلة «تايم» الأمريكية (28/ 6/ 1993م) سألت المجلة البروفسور هنتغتون: إنك تؤكد أن الصراع المقبل الذي سيواجه الغرب سوف يأتي من العالم الإسلامي. لماذا؟

أجاب هنتنغتون على السؤال بقوله: «إن الإسلام هو الديانة الأشد صرامة

في العالم خارج المسيحية. ولا يوجد فيه فصل بين الدين والسياسة. ثانياً، هناك شعور بأن العالم الإسلامي قد تعرض للضرب واستغل على يد الغرب، وأن ثمة نوعاً من الصحوة في طريقها إلى البروز مصدرها القرآن. إن الصراع سيأخذ عدة أشكال.

والواحد منا لا يريد أن يظن بأن هذا يعني قيام حرب بين الإسلام والغرب».

لم تتأثر هذه المواقف السلبية والعدائية بالدعوة التي أطلقها الفاتيكان في عام 1965 للانفتاح على الإسلام، وإلى التعامل مع المسلمين بالحسنى. ففي ذلك الوقت صدر عن نتائج أعمال المجمع الفاتيكاني الثاني كتاب، قدم له الكاردينال «ماريللا» المسؤول عن أمانة شؤون غير المسيحيين، وجاء في هذه المقدمة ـ التي ما كانت لتنشر لو لم يقرها البابا نفسه ـ ما ترجمته حرفياً:

«يجب أن نعترف، وبكل شجاعة وصدق، أن المسلمين لم يلاقوا من العالم المسيحي إلا القليل من التعاطف والود.. وقليلون هم الذين أولوهم العناية الكافية، بالرغم من أن الرهبان والراهبات أظهروا اهتماماً أكبر في مجالات التعليم والمساعدة والرعاية، ولكن جهودهم بقيت جزئية أمام اتساع الاحتياجات، كما أن الغربيين، المستشرقين منهم والعلماء المتخصصين بالإسلاميات، أظهروا تعاطفاً وتفهماً لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم،ولكن تفهمهم للإنسان وتعاطفهم معه كان أقل.. وهذا ما يأخذه المسلمون عليهم في أيامنا هذه، مع شيء من اللوم والعتاب. وحتى اليوم، وفي أكثر الأحيان، عرف المسلمون العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية. وباختصار، يجب أن نعي بكل موضوعية أن المسيحيين لم يحققوا بعد، كمجموعة، الشرط الأول والأهم الذي يؤهلهم لأن يكونوا موجودين وحاضرين في عالم المسلمين كما هو، وعلى حقيقته.. وعلى هذا الأساس، فإن الحوار لن يكون ممكناً، طالما أن مثل هذا الجهد لم يبذل بعد».

أود أن أتوقف من هذا النص أمام دور المستشرقين الذين أظهروا تعاطفاً وتفهماً لكل ما يتعلق بأهداف دراساتهم، وأرسم خطاً عريضاً تحت عبارة أهداف دراستهم. وإذا كان من غير الإنصاف العلمي إطلاق الإتهامات جزافاً وبالجملة دون تمييز، فإن الواقع يؤكد أن معظم تلك الدراسات استهدفت أمرين أساسيين:

أولاً: تشويه صورة الإسلام في الثقافة الغربية، تعميماً لظاهرة الرفض أو العداء للإسلام في المجتمعات الأوروبية.

ثانياً: الطعن في مصداقية النصوص الدينية الإسلامية وفي صوابيتها وثوابتها العقدية، بهدف فك ارتباط المسلمين بدينهم أو إضعافه والتشكيك فيه. شجع الأمر الأول العديد من الكنائس المختلفة على العمل التبشيري بالمسيحية في الدول الإسلامية، باعتبار أن الإسلام ليس ديناً وأن القرآن هو نص كتبه مدع للنبوة هو محمد ﷺ، وأن المسلمين يحتاجون إلى الهداية من أجل النجاة يوم القيامة. وإن العمل التبشيري هو واجب على هذه الكنائس. وهز الأمر الثاني ثقة بعض المسلمين بدينهم وزرع الشك في إيمانهم، ليشكل ذلك مدخلاً إلى الحركة التبشيرية. ولما لم تحقق هذه الحركة أي نجاح يذكر، ازدادت حدة الخوف من الإسلام ومن العداء له، ومن الشعور بضرورة بذل المزيد من الجهد لتشويهه والتشكيك في أركانه وثوابته وفي مقدمتها القرآن الكريم. وقد حققت الدراسات الاستشراقية الهدف الأول وهو التشويه، وشكل نجاحها أرضاً خصبة لإطلاق ظاهرة العداء على نطاق واسع بعد أحداث 11/9/2001م، ونتيجة لها، كما سنرى لاحقاً.

أما الهدف الثاني، أي التشكيك، فقد أدى بدوره إلى أمرين أساسين:

يتمثل الأمر الأول في ظهور مثقفين مسلمين متأثرين بالمستشرقين، وبنظرياتهم التشويهية للإسلام.

أما الأمر الثاني، فهو ظهور حركات فكرية دينية، تجاوزت في رفضها للمستشرقين ولكتاباتهم حد توجيه الاتهامات الجماعية للفكر الاستشراقي على إطلاقيته، ومن ثم إلى الغلو والتطرف في الدفاع عن الإسلام إلى حد استعداء الغرب، وتكفير المسلم الذي لا يشاطرها مفهومها للإسلام ورؤيتها للآخر غير المسلم. ولعل حادث 11/9/2001 كان ثمرة من الثمار المرة لهذا الفكر الاستعدائي والتكفيري، وترجمة له.

ثانياً: مرحلة ما بعد 11/9/2001م

قبل هذا التاريخ، كان قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية يعبرون عن كراهيتهم للإسلام ويصبون جام حقدهم عليه، ومن أبرزهم «جيري فولويل» و«بات روبرتسون» و«فرانكلين غراهام» و«هول ليندسي»، وغيرهم فهم يعتبرون أن المسلمين، بوقوفهم في وجه الإسرائيليين، يعطلون المشيئة الإلهية ويؤخرون العودة الثانية للمسيح. وقد ازداد نفوذ هؤلاء القساوسة السياسي في عهد الرئيس جورج بوش، ثم بعد جريمة 11/9/2001م. فالرئيس الأمريكي مدين لهم بالانتقال «من حالة الإدمان على المسكرات إلى الإيمان بـ «الولادة الثانية»، وبالعمل من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح. وتحت مظلة هذه العلاقة فإن القس «ليندسي» حذر من «أن المسلمين لا يريدون فقط تدمير دولة إسرائيل، ولكنهم يريدون تدميراً للثقافة اليهودية ـ المسيحية التي تشكل أساس الحضارة الغربية. إنهم كالشيوعيين، في أعماق فلسفتهم توق شديد لدفننا جميعاً»[1].

كذلك فإن القس «بات روبرتسون» وصف الإسلام بأنه «دين الإرهاب.. وأنه يهدف إلى السيطرة على العالم». كما اتهم المسلمين الأمريكيين، بأنهم

(1) H. Lindsay, The Final Battle, p.45.

«ينظمون خلايا إرهابية لتدمير الولايات المتحدة». وجاءت تلك الاتهامات من خلال برنامجه التلفزيوني الواسع الانتشار «نادي السبعماية». ووصف القس «جيري فاين» Jerry Vine النبي محمداً عليه الصلاة والسلام، في مؤتمر المحفل المعمداني الجنوبي الذي عقد في فلوريدا في عام 2002 بأنه الشيطان نفسه[1]. وكان «فرانكلين غراهام» Franklin Graham وهو نفسه أيضاً الذي ترأس الصلاة الخاصة بمناسبة أداء القسم الدستوري للرئيس جورج بوش الابن، قد قال عن الإسلام إنه دين شيطاني وشرير[2]. وقال عنه القس «جيري فولويل» إنه دين مزور. وهذه الأوصاف والنعوت توجه أساساً إلى القرآن الكريم باعتباره مصدراً للتشريع ومنبعاً للثقافة في الإسلام.

ولم يجد القس «غراهام» في المسلمين «أيا تكن أصولهم سوى أعداء للديموقراطية والليبرالية ولطريقة عيشنا». . فرد الأمريكيون على هذه الأقوال، لأنها تحرض الأمريكيين الآخرين عليهم، ثم رد غراهام بقوله: «إن الذين هاجموا الولايات المتحدة ودمروا برجي مركز التجارة الدولي في نيويورك، لم يكونوا من اللوثريين ولا من الميثوديين، بل كانوا من المسلمين. ولذلك فإن وجودهم يشكل خطراً على المجتمع الأمريكي».

وتتكامل هذه الدعوات الاستعدائية ضد الإسلام مع الموقف الإسرائيلي من الإسلام. ففي مطلع شهر مارس ـ آذار 2003م نشرت صحيفة هآرتس الإسرائيلية تصريحاً لوزير السياحة الإسرائيلي «بنلي آلون» قال فيه: «من الواضح أن الإسلام في طريقه إلى الزوال. . فما نشاهده اليوم في العالم الإسلامي ليس انتفاضة إيمان قوية، بل انطفاء جذورة الإسلام. أما كيف سيزول، فبكل بساطة، بقيام حرب مسيحية صليبية ضد الإسلام في غضون بضع سنوات، ستكون

(1) Richard Vara, Texas seccesion rumor, attaks on Islam mark Baptist meeting, House Chronicle, 10 June (2002).

(2) Washington Post, Vol. 18, 2001.

الحدث الأهم في هذه الألفية، وطبعاً سنواجه مشكلة كبرى حين لا يبقى في الساحة سوى الديانتين الكبيرتين، اليهودية والمسيحية، غير أن ذلك ما زال متروكاً للمستقبل البعيد»[1].

• • •

(1) ما هو الهدف الحقيقي لأعمال العنف في الرياض ـ باتريك سيل، جريدة الحياة 16/ 5/ 2003م.

التعامل الديني والسياسي الغربي
مع القرآن الكريم ـ رؤية شاملة

أ.د/ زينب عبد العزيز
أستاذة الحضارة الفرنسية ـ مصر

إن قراءة الغرب المسيحي للقرآن الكريم واحدة لم تتغير، وتعامله مع القرآن، سواء من خلال الرؤية التاريخية أو الرؤية الواقعية، يتبع منهجية عدائية الموقف، وإن تنوعت الأساليب وفقاً للعصور. والحديث عن تعامل الغرب مع القرآن يحتم علينا تحديد أيّ فئة نعني بذلك، فالغرب يضم ملايين المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى ليس كل المسيحيين في عداء للقرآن أو للإسلام والمسلمين؛ لذلك سنحدد دائماً قائلين: الغرب المسيحي أو المسيحي المتعصب.. إلخ.

ومن ناحية أخرى، فإن تناول القرآن الكريم يعني حتماً وضمناً تناول الإسلام والمسلمين، فالقرآن الكريم هو الكتاب المنزل الذي يتبعه المسلمون؛ لذلك آثرت إضافة عبارة «رؤية شاملة» على موضوع المحور الرابع؛ لتناول هذه القضية بصورة أوضح وأعم.

1 ـ الجانب الديني:

أ ـ نظرة عامة:

حينما بدأ سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعوته في القرن السابع الميلادي، كانت المسيحية الكنسية تتخبط في حروبها الداخلية والخارجية

الناجمة عن أكبر عملية تحريف للدين المسيحي تمت في التاريخ، وهي : تأليه السيد المسيح في مجمع نيقية الأول سنة 325م، ثم اختلاق بدعة الثالوث بتأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية عام 381م، ومساواة الله بالابن وبالروح القدس، ثم جعل السيدة مريم «أم الله» في مجمع إفسوس عام 431م؛ الأمر الذي أدى إلى خلافات عقائدية جذرية لا تزال قائمة فيما بينهم، وذلك إلى جانب العديد من الخلافات التي لا شأن لنا بها هنا. وفي الوقت نفسه، كانت هناك مناطق بأسرها لم تُفرض عليها المسيحية بعد، كإنجلترا وبلاد ساكس وجرمانيا وبافاريا وشمال إسبانيا وغيرها.

وأقول: إنها أكبر عملية تحريف تمت في التاريخ؛ لأننا جميعاً دفعنا ولا زلنا ندفع ثمن ذلك التحريف، فقد عانى منه من اعترضوا عليه من المسيحيين، وكذلك من رفضوه بناء على تعاليم دينهم الذي أتى كاشفاً ومصوباً له، وعانى منه أيضاً أتباع الديانات الأخرى الذين تعرضوا لمحاولات التنصير.

وفي القرن الثامن الميلادي كانت الفِرَق المسيحية تتصارع محاولة كبح جماح الانشقاقات الناتجة عن تحريف رسالة التوحيد وغيرها، بينما كانت راية الإسلام ترفرف على مساحات شاسعة تربط آسيا بالمحيط الأطلنطي.

ويقول فيليب سيناك Ph. Sénac في كتابه المعنون: «صورة الآخر» إنه: «حتى القرن الثالث عشر كانت معظم الوثائق المكتوبة عن الإسلام والمسلمين والتي حددت صورته في نظر الغرب، بأقلام رجال كنسيين ـ وهي كتابات مغرضة دفعهم وضعهم اللاهوتي إلى نقد وتحريف ديانة ليست ديانتهم» (صفحة 10).

ثم يوضح المؤلف كيف كانت الكتابة آنذاك حكراً على هؤلاء الكنسيين، وكيف تصدت الكنيسة في بادئ الأمر للإسلام على أنه انشقاق من الانشقاقات، أو هرطقة من الهرطقات التي عليها القيام بقمعها أو اقتلاعها لأنها تخالف ما فرضته من تعاليم.

وقد امتد تشويه الإسلام على أيدي العديد من علماء ذلك الغرب في مختلف المجالات، الدينية والثقافية والأدبية والعلمية، بدءاً بتشويه معاني القرآن الكريم في الترجمات التي قاموا بها منذ القرن الثاني عشر، أيام حرب الاسترداد. ويكفي أن نطالع ما كتبه المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير R.Blachère في كتابه المعنون: «القرآن» الصادر سنة 1969 حين قال: «لقد طلب بطرس المبجل، رئيس دير كلوني Cluny من المترجم أن تتم ترجمته بحيث تمحو من ذهن من يقرأها من المسلمين ـ الذين تم تنصيرهم حديثاً ـ أي أثر للإسلام» (صفحة 9).

الأمر الذي نجم عنه سلاح ذو حدّين: فهو من جهة يعد تشويهاً متعمداً للقرآن وللإسلام، ومن جهة أخرى فإن هذه الكتابات المغرضة والمعادية تمثل أساس المراجع التي تتم دراستها في المدارس والجامعات الغربية.. مما أدى إلى تكوين نوع من الطبيعة التلقائية المعادية للقرآن وللإسلام والمسلمين.

ب ـ سبب هذا العداء:

ويرجع هذا العداء المتواصل ضد القرآن إلى أنه يمثل الدليل الإلهي الثابت تاريخياً ضد التحريف الذي قامت به الأيادي العابثة في رسالة التوحيد، فما أكثر الآيات التي تدين هذه الأفعال، ومنها: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: 73]، و﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 72] و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ..﴾ [المائدة: 13] و﴿يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: 75] ـ ولا نقول شيئاً عن الآيات التي تتنبأ وتحذر مما يدور حالياً.

والمعروف علمياً عن كل صاحب جريمة، أن أول ما يهتم به هو طمس معالم الأدلة التي تكشف عن فعلته أو تُثبت إدانته.. وهذا هو السبب الحقيقي لذلك العداء المستحكم الذي لم يترك مجالاً إلا واستغله لتشويه القرآن ومقاصده، أو لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

وقد كان يوحنا الدمشقي، المتوفى سنة 749م، أول من تولّى هذه المهمة بشراسة، ففي كتابه المعنون: «نبع المعرفة» ضمّنه فصلاً عن القرآن والإسلام والمسلمين، تحت باب الهرطقة، وتبعه نيسفور (758 ـ 829م) بطريرك القسطنطينية، في نفس خط الذم الجارح والتسفيه. وتواصلت المسيرة التي لم تتوقف حتى يومنا هذا.

ففي القرون الوسطى أنشأوا المعاهد لدراسة اللغات الشرقية ودراسة القرآن الكريم، لا لفهمه وإنما بغرض الهجوم عليه أو استخدام بعض آياته لتمرير عمليات التنصير وتسهيلها. وها هم حديثاً ينشؤون المعاهد لتخريج الأئمة بغية تكوين جيل يفرض ما أطلقوا عليه «الإسلام الغربي» و«الإسلام الفرنسي» وغيرها من المسميات والمجالات التي لا تهدف إلا إلى تفريغ القرآن من مضمونه العقائدي والجهادي والاجتماعي وقصره ـ إن أمكن ـ على مجرد الحركات الشعائرية!

كما بدأوا الحروب الصليبية التي أعلنها البابا أوربان الثاني في مجمع كلير مونت سنة 1095م، وإن كان قد سبق الإعداد لها وممارستها على نطاق أضيق قبل ذلك بكثير. ولقد أعلنها باسم الرب، وطالب «جنود المسيح» ـ كما أطلق عليهم ـ بحياكة علامة الصليب على صدور ثيابهم وعلى ظهورهم وعتادهم..

وفي واقع الأمر لم تندلع هذه الحروب ضد المسلمين والمد الإسلامي فحسب، وإنما امتدت أيضاً ضد الشعوب التي لم يتم تنصيرها بعد، وضد الشعوب المنشقة كالأريوسيين والكاتار، لإبادتها.. وامتدت هذه الحروب شرقاً وغرباً لنشر مسيحيتها بالسيف والمذابح وبمحاكم التفتيش، وما أكثر المراجع التي تتناول هذا التاريخ الدامي الذي وصم الحضارة الغربية المتعصبة.

ولا شك في أن المجامع ورجال الإكليروس هم الذين كانوا يغذّون مثل هذا التعصب، ولا يسع المجال هنا لنقل كل قراراتهم ويكفي أن نطالع، على سبيل المثال، القرار رقم 25 من مجمع فيينا المسكوني، المنعقد فيما بين 1311 و1312م برئاسة البابا كليمانت الخامس، الذي أمر بقيام حملة صليبية جديدة. ويقول القرار:

«من المهين للاسم الإلهي ومن العار للعقيدة المسيحية، أن يحدث في بعض مناطق العالم الخاضعة لأمراء مسيحيين، ويسكن فيها مسلمون مع المسيحيين، أحياناً منفصلين وأحياناً أخرى مختلطين معهم، أن يقوم شيوخهم بالدعاء والإعلان عن اسم محمد في مساجدهم (ويكتبونه «ماهومية» تحريفاً)، حيث يجتمع المسلمون ليعبدوا محمداً الغدّار Le perfide، وذلك كل يوم وفي ساعات محددة، في مكان مرتفع، ويرتلون علانية بعض العبارات تكريماً له. وهو ما يسمعه كل المسيحيين والمسلمين. والأدهى من ذلك أن يتم هذا أيضاً في مكان آخر قد دُفن فيه أحد المسلمين الذي يبجله المسلمون كقديس ويعبدونه. وهناك عدد كبير من القادمين من نفس هذه المناطق وغيرها يجتمعون علانية، وهو ما يحط من شأن عقيدتنا ويولد فضيحة كبرى في قلوب الأتباع. وبما أن هذه الأشياء التي لا تروق للجلالة الإلهية لا يمكن أن نتحملها، فإننا نمنع بصرامة، وبموافقة هذا المجمع المقدس، ان تتم مثل هذه الأشياء داخل الأراضي المسيحية، وبما أن الكاثوليك الحقيقيين هم المدافعون الأمناء عن العقيدة المسيحية. فإننا نفرض بكل إلحاح، مستشهدين بالحكم الإلهي، على جميع الأمراء معاً، وعلى كل منهم، من الذين يقيم تحت سلطتهم هؤلاء المسلمون ويمارسون هذه الأشياء، أن يقتلعوها تماماً من أراضيهم وأن يحرصوا على استبعاد العار الذي يجلبه لهم ولباقي أتباع المسيح ما ذكرناه بعاليه، وأن يتمعنوا في المكافأة التي سيحصلون عليها في نعيم الآخرة. إننا نمنع بصرامة أي احد تابع لسلطتهم أن يغامر بعد ذلك أو أن يجرؤ على ذكر أو الإعلان عما قلناه سابقاً؛ أي ذكر الاسم الدنس لمحمد le nom sacrilège، أو أن يذهبوا إلى الحج المذكور. إن الذين سيجرؤون على التصرف بعكس هذا سيتم تأديبهم، باسم التحية الواجبة لله، بطريقة تبعد الآخرين عن القيام بنفس الخطأ، من هول الرعب المنعكس عليهم»[1].

(1) المجامع المسكونية (ج2 صفحة 787).

ومن الواضح أن النية مُنعقدة ومعلنة، ليس منذ مطلع القرن الرابع عشر فحسب، وإنما قبله بكثير، على منع الأذان ومنع أداء فريضة الحج لمنع انتشار الإسلام واقتلاعه. ويا له من تسامح غفلنا عنه طويلاً حتى استشرى بجنون لا حد له!!

ويوجد في هامش ذلك القرار اسم المرجع المتضمن لوسائل التعذيب التي ستؤدي إلى الرعب المهول الكفيل بمنع المسلمين من الصلاة، ومن أداة فريضة الحج.

وتلك هي «السماحة» التي يدّعيها الكنسيون تجاه القرآن والإسلام.

ج ـ المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني (1965):

يمثل هذا المجمع نقطة فارقة في تاريخ المسيحية، فهو أول مجمع هجومي في التاريخ بالمعنى الواضح للكلمة، وأول مجمع يخرج خروجاً سافراً عن تعاليمه ونصوصه الدينية من أجل الأغراض السياسية أو بسبب ضغوطها. وقد أصدر هذا المجمع ثلاثة أنواع من الوثائق التنظيمية الدينية والاجتماعية والسياسية والتاريخية.

ومن مضمون هذه القرارات إجمالاً:

1 ـ تبرئة اليهود من دم المسيح، رغم مخالفة ذلك للعقيدة والنصوص الشديدة الوضوح.

2 ـ اقتلاع اليسار في عقد الثمانينيات (من القرن العشرين). حتى لا تبقى أية أنظمة بديلة للرأسمالية الاستعمارية، وذلك بالتواطؤ بين الفاتيكان والمخابرات المركزية الأمريكية وجورباتشوف.. وما أكثر ما كتب عن تفاصيل اختلاق «حزب التضامن» في بولندا، واختلاق «العام المريمي» لتأجيج مناخ ديني مفتعل، وعن المبالغ التي أهدرت لتنفيذ هذه المخططات.

3 ـ اقتلاع الإسلام حتى تبدأ الألفية الثالثة وقد تم تنصير العالم.

4 - توصيل الإنجيل إلى كافة البشر. وقد أعلن ذلك في صيغة مضغمة آنذاك، ثم قام البابا يوحنا بولس الثاني عام 1982 بتوضحيها في خطاب رسمي معلناً ضرورة تنصير العالم، موضحاً أن ذلك لا رجعة فيه. (لأنه قرار مجمع مسكوني)!

5 - توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، وإنشاء لجنة خاصة بذلك، رغم الخلافات العقائدية الجذرية بينها.

وعندما لم يتم المطلوب، راح يوحنا بولس الثاني يحثهم قائلاً: «إن هذه هي الوسيلة الوحيدة للتصدي للمد الإسلامي»[1].

6 - فرض عملية التبشير على كافة المسيحيين، الكنسيين منهم والمدنيين، وهي أول مرة في التاريخ تقوم فيها الكنيسة بإصدار قرارات مكتوبة ومعلنة خاصة بالمدنيين الذين لا يندرجون رسمياً في الهيكل الكنسي.

7 - استخدام الكنائس المحلية في عمليات التبشير، الأمر الذي يضع الأقليات المسيحية، في البلدان التي يعيشون فيها، في موقف عدم الأمانة أو الخيانة.

8 - فرض بدعة «الحوار» كوسيلة للتبشير وكسب الوقت حتى يتم التنصير بلا مقاومة.

9 - إنشاء لجنة الحوار برئاسة الكاردينال «آرنزى».

10 - إنشاء لجنة خاصة بتنصير العالم برئاسة الكاردينال يوسف طومكو.

وقد قام أعضاء اللجنتين بإصدار وثيقة مشتركة في 20/6/1991 بعنوان: «حوار وبشارة» تتضمن التوجيهات اللازمة لعملية التنصير الدائرة منذ ذلك الوقت في تصعيد متواصل.

---

(1) وارد في كتاب: الجغرافيا السياسية للفاتيكان.

وإضافة إلى إعلان البابا، في سنة 1982م، عن ضرورة تنصير العالم، فقد أصدر خطاباً رسولياً بعنوان: عشية الألف الثالثة، في عام 1995، يعد بمثابة خطة خمسية لتنصير العالم قبل حلول مطلع الألفية الثالثة.

2 ـ الجانب السياسي:

واول ما نبدأ به هنا هو القول بأن الرابط بين المجالين الديني والسياسي، مفروغ منه، لا على أنهما يمثلان أساس هذا البحث فحسب، وإنما لتضافرهما الشديد في سياق الأحداث الراهنة. وقد رأينا أن الهدف الديني الثابت والواضح للغرب المسيحي هو: تنصير العالم، وإن كان الترتيب قد أُعيد ليتم ذلك عشية الألفية الثالثة، وانه قرار لا رجعة فيه. وهو ما يمثل جزءاً لا يتجزأ من نظام العولمة، الرامي إلى جعل العالم خاضعاً لنظام ديني وسياسي واقتصادي وفكري واجتماعي واحد، أو ما يطلقون عليه «قرية واحدة»، حتى تسهل قيادته بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والكنيسة الفاتيكانية. وبالتالي العمل على اقتلاع الحضارات الأخرى بعقائدها، وبخاصة الإسلام، الذي أتى شاهداً على عمليات التحريف التي تمت في رسالة التوحيد، ومصوباً لها.

من أهم هذه الوسائل المستخدمة حالياً، المجالات التالية:

أ ـ مجلس الكنائس العالمي:

عندما فشل الغرب المتعصب في تنصير العالم عشية الألف الثالثة، قام مجلس الكنائس العالمي، في يناير 2001 بإسناد مهمة اقتلاع الإسلام إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مع تسمية هذا العقد (2001 ـ 2010م) «عِقد اقتلاع الشر». وما هي إلا بضعة أشهر حتى اختلقت الإدارة الأمريكية مسرحية «الحادي عشر من سبتمبر» لتتلفع بشرعية دولية قبل تنفيذ مشاريعها الاستعمارية التنصيرية.

ومجلس الكنائس العالمي منظمة تضم 347 كنيسة، منتشر في 120 بلداً ويمثل كافة الاتجاهات المسيحية باختلافاتها العقائدية. إلا أن الكنيسة الكاثوليكية الفاتيكانية ليست عضواً بالمجلس لأسباب سياسية.. ولكنها تتعاون معه بفاعلية مكثفة.

وقد قام مجلس الكنائس العالمي، الذي يعمل بجهود مشتركة مع لجنة تنصير العالم، ولجان أخرى، بعقد أكبر مؤتمر عالمي للتبشير، من 9 إلى 16 مايو 2005 باليونان، لتوحيد عمليات تنصير العالم بين مختلف الكنائس، وخاصة الكنيسة الإنجيلية والعُنصرية والكاثوليكية الرومية. وعلى الرغم من توجيه عمليات التبشير في ثلاثة مجالات أساسية: بلدان الكتلة الشرقية السابقة، والدول المسيحية التي تفشي فيها الإلحاد، والدول الإسلامية، وباقي الديانات الأخرى، فإن التركيز على القرآن والإسلام يحتل الصدارة في جدول الأعمال. وتتوالى مؤتمرات التبشير المحلية والعالمية بإصرار ودأب، مثلما تتوالى المغالطات والأكاذيب والتعامل بوجهين.

ومن أهم القرارات التي أسفر عنها ذلك المؤتمر الذي يتوسط «عقد اقتلاع الشرر»، البنود التالية:

- تفادي أية صراعات أو منافسة بين الكنائس المختلفة أثناء عملية التبشير.
- الإصرار على أن «رسالة الله» التي تفرضها الكنائس موجهة لكافة البشر.
- أنه يقع على الكنيسة توجيه الناس إلى التوبة ليدخلوا حياة جديدة بيسوع المسيح.
- إن الكنيسة بأسرها مطالبة بتوصيل الإنجيل للعالم أجمع.
- أنه لا بد من غرس كنائس المسيح في الثقافات المحلية لتسهيل تنمية الإيمان المسيحي.
- دراسة كيفية التغلب على الوجود المتزايد للديانات الأخرى، وخاصة

الإسلام، في كل من أوروبا وأمريكا الشمالية، فهو يمثل تحدياً حقيقياً لنشاطات المبشرين.

وقد يفسر هذا القرار الأخير الجوانب الخلفية لأحداث الشغب في فرنسا (أكتوبر/نوفمبر 2005م) وردود فعل الحكومة الفرنسية القمعية بحيث أعلن مسؤولون في منظمات اجتماعية وعدد من المحامين والقضاة: أنها تتبع «سياسة المذبح العاجلة» بالضغط على الاستجوابات الجماعية، وأحكامها غير المنطقية بالسجن أو بالطرد[1].

ب ـ التحالف الأمريكي:

لم يعد خافياً على أحد أن التحالف العسكري، الذي قادته الإدارة الأمريكية مع المحافظين الجدد ينطلق بجنون لاستغلال منابع الطاقة والمواد الأولية، مستخدمين كافة وسائل التدخل في الشؤون الداخلية للعالم الإسلامي والعربي، لتغيير أنظمتها بالتوسع الاستعماري العسكري، ضاربين عرض الحائط بالقانون الدولي.

ويخفي أو يُغطي هذا التحالف طموحاته الاستعمارية والاقتصادية والدينية بتسميم وسائل الإعلام والمؤسسات الدولية بأكاذيب مفتعلة، وهو ليس بقادر على إثباتها. ونكتفي هنا بذكر تصريح لورنس ويلكرسن، نائب وزير الخارجية الأسبق، كولن باول، من أن: «كلاً من ديك تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد قد تمكنا باستعمال سلسلة من الأكاذيب والتلفيق أن يجرا البلاد كلها نحو أتون الحرب».

كما يقوم هذا التحالف بخلق جماعات إرهابية، واختلاق الحجج، ونشر نظرية «المؤامرة الإسلامية» للسيطرة على العالم، اعتماداً على تأجيج نار صراع الحضارات للاستحواذ زوراً وعدواناً على سلطات تؤدي إلى تنفيذ قرارات

---

(1) جريدة لوموند في 24/ 11/ 2005.

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (1965م) وتدمير العالم الإسلامي والعربي.

ومن المعروف عن الغرب المسيحي المتعصب أن قرارات المجامع المسكونية مُلزمة لكافة الملوك والرؤساء المسيحيين، ولذلك نرى هذا التضافر الرهيب بين الموقف السياسي والموقف الديني في الغرب المسيحي بهذه الصورة الهستيرية.

وما يدور في افغانستان والعراق على مرأى ومسمع من الجميع، لم يعد بحاجة إلى شرحٍ أو توضيح. فقد تحولت أفغانستان منذ احتلالها إلى أكبر مستودع لمزارع نبات الأفيون في العالم بينما تقوم بتحليله وتسويقه كبرى الشركات الأمريكية وعصابات غسيل الأموال. أما حُجة احتلال العراق فهي من السذاجة التافهة بحيث لا تحتاج إلى مزيد الكلمات لتوضيح تلفيقها، وقد تابع العالم أولاً بأول تقريباً كيفية تسلل المبشرين مع جنود المارينز، وكيفية حشر الأناجيل مع العتاد الحربي والمؤن الغذائية، وكيفية وقف الدراسة إلى أن يتم تغيير المناهج. بل لقد تابعت الصحافة العالمية والمحلية تعليقات كل من بيلي وفرانكلين جراهام اللذان أعلنا: «إن الإسلام دين شيطاني ولا بد من تنصير كافة المسلمين»[1].

كما أعلنت وكالة الأسوشييتد برس في 25/4/2003م: «أن الولايات المتحدة لن تسمح بقيام نظام يوجهه رجال الدين في العراق على غرار ما يحدث في إيران». ذلك يوضح مدى ترابط السياسي والديني في هذه الحرب السافرة التي يقودونها ضد الإسلام.

وقد تم في نفس ذلك الوقت تقريباً فرض عمليات تجفيف الإسلام من المنبع، وتحجيم المعاهد الدينية، وإغلاق كتاتيب تحفيظ القرآن، وتحديد إنشاء المساجد، والأمر بتقليل طباعة القرآن الكريم تقليلاً تدريجياً، بحيث تتوقف طباعته تماماً بعد فترة معينة، وتغيير نصه بحذف بعض الآيات أو بإصدار نص

(1) لوس أنجلوس بوست في 4/4/2003.

جديد مثال «الفرقان الحق» الذي اختلقوه وأغرقوا به العديد من المناطق.. ولا نقول شيئاً عن تدني أخلاقيات المحطات التلفزيونية والإذاعية المعادية للقرآن وللإسلام.. وغني عن القول إن «المنبع» الذي يقصدونه في الإسلام هو القرآن الكريم ومختلف وسائل حفظه، بعد أن فشلوا في الوصول إلى مآربهم عن طريق تحريف ترجماته أو عن طريق بتر معطياته لمحاربته بها، كزعم اضطهاده للمرأة، وما إلى ذلك. وها هي أحداث الشغب التي اندلعت في ضواحي باريس في أكتوبر/نوفمبر 2005م تتحول إلى مناسبة لسبِّ نص من نصوص القرآن يتعلق بتعدد الزوجات.

قد أعلنت هيلين كارير دانكوس، الأمين الدائم للأكاديمة الفرنسية: «أن تعدد الزوجات هو أحد أسباب أعمال الشغب في ضواحي باريس، والأمر شديد الوضوح: كثير من الأفارقة مزواجون، وفي المسكن الواحد توجد ثلاث أو أربع زوجات و25 طفلاً. إنهم مكدسون، بحيث لم تعد هذه المساكن المكتظة تسمى مساكن وإنما شيء آخر».

وفي يوم 15/11/2005م، صرح وزير العمل الفرنسي لجريدة «الفاينتشيال تايمز» البريطانية، قائلاً: «إن تعدد الزوجات هو أحد الأسباب المحتملة لأحداث الشغب التي اندلعت طوال ثلاثة أسابيع في ضواحي باريس». وقد علقت الجريدة في موقعها الإلكتروني بأن هذا التصريح، الذي يمكنه أن يشعل المناقشات حول أزمة الضواحي قد يهيىء المسلمين والمنظمات المعادية للعنصرية.. وكان قد سبق لوزير الداخلية الفرنسي «نيكولا ساركوزي»، استغلال قضية الحجاب في فرنسا وتوظيفها لإدخال منظومة صراع الحضارات في الصراعات السياسية الفرنسية، ثم راح يلوح بقدوم الإرهاب.

ومن الملاحظ من متابعة الصحافة الفرنسية في الفترة التي سبقت احداث الشغب تلك، أنها ظلت تردد وتحذر تحذيراً شبه يومي عن قرب وقوع هجمات إرهابية وكأنها بذلك تعد الرأي العام الفرنسي والعالمي لربط هذه الأحداث

بالقرآن الذي يسمح بتعدد الزوجات، وبالتالي ربطها بالإسلام والمسلمين الذين تسعى للتخلص من وجودهم.

وتلك صورة جديدة للتحالف الديني والسياسي في هذه الحرب الصليبية التي يقودها الغرب المتعصب. كما أن ما فعلوه بأرض العراق وحضارته دليل آخر لا نزال نعيش أحداثه المريرة، ففي 15/1/2005م نشرت صحيفة «الجارديان» البريطانية مقالاً افتتاحياً يتناول التدمير المتعمد لتراث الحضارة البابلية على أيدي قوات الاحتلال نورد منه ما يلي:

«إن الدمار الذي سببه إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية على حطام مدينة بابل التاريخية، أحد أهم وأشهر المناطق الأثرية في العالم، يعتبر أحد الأعمال البربرية الثقافية الأكثر دناوة في ذاكرة التاريخ الحديث، إذ إنه عمل لا تبرره أية ضرورة عسكرية، وكان من الممكن تجنبه تماماً، فلم تكن هناك حاجة لبناء المعسكر في تلك المدينة حيث توجد حدائق بابل المعلقة، وهي إحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم.

ويقول د. «جون كورتيز» كاتب المقال: «إن السلطات الأمريكية كانت على علم تام بتحذيرات علماء الآثار بالأهمية الأثرية العالمية لهذه المنطقة، ورغم ذلك فقد تجاهلت القوات الأمريكية هذه التحذيرات تماماً».

ولم يقتصر الدمار الذي لحق بالموقع على هدم بعض الصروح الأثرية النادرة مثل بوابة الإله عشتروت، بل امتد إلى ما يقرب من ثلاثمائة ألف متر مربع من المنطقة الأثرية، ثم تسويتها بالأرض ودفنها في الردم المأخوذ من مناطق أخرى، لإنشاء مهبط لطائرات الهيلوكوبتر ومواقف لسيارات النقل الثقيل، لم تكن هناك أية ضرورة لوضعها فوق ذلك الكنز الأثري. إن هذا العمل الإجرامي أثرياً وحضارياً ودينياً يعني أن مواقع أثرية لم يسبق التنقيب فيها قد تم تدميرها إلى الأبد.. أو، كما يقولون بلغتهم الشهيرة التي سبق وأعلنوها قد: «دكوها إلى ما قبل العصر الحجري».

إن تدمير التراث الإنساني والحضاري للعراق لم يكن عفوياً أو عن غير قصد، بل تم الترتيب له قبل العدوان بأسابيع معدودة، عندما قاموا بتغيير قانون الآثار لتسهيل خروجها. فما أعلنه الأستاذ سعد إسكندر، مدير المحفوظات الوطنية، يؤكد أن هناك ما يزيد عن إحدى وخمسين ألف قطعة أثرية عراقية مفقودة، إضافة إلى سرقة ونهب أكثر من 60٪ من تاريخ العراق المكتوب، وهذه النسبة تمثل ملايين المخطوطات والسجلات والوثائق الملكية، منذ العهد العثماني. وهو ما يعني: اقتلاع متعمّد للتراث.

ويقول المثل العامي: «العيب من أهل العيب ما يبقاش عيب»!.. فهؤلاء الطغاة قد نشأوا ودأبوا على اقتلاع الآخر، سواء جغرافياً أو حضارياً أو دينياً. فما فعلوه بالسكان الأصليين للأمريكتين وأستراليا وزنوج إفريقيا، من تعذيبهم وإبادتهم لملايين البشر، لا يمكن محوه من ذاكرة التاريخ.. وهو نفس ما قامت به الأيادي العابثة التي كونت الكنيسة الأولى، وقيامها باقتلاع كل من يخالفها من أفراد أو شعوب، وإبادة كل ما يكشف عما نقلته من العبادات القديمة وأدخلته في مسيحيتها. وهو ما يفسّر ذلك الانتقام الأصمّ الذي يفرضونه على أرض بابل القديمة، على واحدة من أقدم حضارات العالم التي نهلوا منها ما نهلوه.. وهو ما يحاولون فرضه على القرآن الكريم وعلى الإسلام والمسلمين. ويكفي أن نطالع الإصدارات الغربية الحديثة بأقلام بعض الأمناء لنرى أهوال ما قام ويقوم به هؤلاء «المتحضرون».

جـ ـ الكنائس الإنجيلية ولعبة الإدارة الأمريكية في العالم العربي:

ينتمي العديد من القادة العسكريين والسياسيين في الولايات المتحدة، وخاصة آل بوش، إلى جماعة إنجيلية سرية تدعى «الأسرة». وهذه المنظمة تقود اليوم هدفاً مزدوجاً ضد المسلمين وضد الكاثوليك، وذلك ما لم يكن «يوحنا بولس الثاني» يتوقعه حينما تحالف معهم لاقتلاع اليسار، ومن قبل اليسار كان قد تحالف لمحو لاهوت التحرر في أمريكا اللاتينية (ولكن أحداً لا يتعظ من

التايخ، أو يذكر أن أمريكا دائبة التخلص من عملائها بنفس الجبروت الذي تتخلص به ممن تجعلهم أعداءها).

وتمثل هذه المنظمة الإطار الأساس للسياسة الأمريكية وتدفع بنفوذها في العالم من خلال جيش من المبشرين، بحيث أصبح التطرف الديني يمثل أحد أهم العناصر في الجغرافيا السياسية الأمريكية في الشرق الأوسط. وبينما لا تكف بعض الأوساط ووسائل الإعلام عن إتهام الإسلام بكل أنواع الاتهامات والتلافيق، فإن المعلقين يتلفعون بالصمت حول مسؤولية الكنائس البروتستانية التي تساهم في احتدام الموقف ضد الإسلام، مثلما يتلفعون بصمت القبور حول كل أفعال الصهاينه في أرض فلسطين. فمن المعروف أن أعضاء هذه الكنيسة هم أكثر المساندين لإسرائيل حماساً، ويرفضون أية تنازلات في الأرض للفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين.

والإنجيليون الذين يسيرون في خطى المسيحية الصهيونية، هم جماعة من الأصوليين البروتستانت، كانت قد تكونت في أواخر القرن التاسع عشر، أي في الوقت نفسه الذي تم فيه الإعداد لإقامة دولة لليهود. وهم جماعة تزعم أن إقامة دولة إسرائيلية يعد تحقيقاً للنبوءة الإنجيلية ولعودة المسيح ليحكم العالم ألف عام في سلام! وهم لا يساندون اليهود معنوياً فحسب وإنما بأموالهم التي تساعد على هجرة اليهود من مختلف البلاد إلى إسرائيل.

وهذا التيار الإنجيلي الذي يضم أكثر من سبعين مليوناً من الأتباع في الولايات المتحدة، يعتمد على مئات الآلاف من المبشرين الذين تم تعيينهم لتصديرهم إلى البلدان الإسلامية والعربية وغيرها، ويؤثر بشدة على السياسة الأمريكية في العالم العربي. ويقول شارل سان برو Ch.St.Prot مدير مرصد الدراسات الجغرافية السياسية في فرنسا، قي مقال له عن هذه الكنائس: «إن الكراهية التي تكنها هذه الجماعات للإسلام واحتقارهم حتى للعرب المسيحيين، يجعل منهم أداة مميّزة للسياسة الأمريكية الرامية إلى تحطيم العالم

العربي؛ لإعادة تنظيم الشرق الأوسط الكبير بحيث يكون خاضعاً لواشنطن وحلفائها الصهاينة».

ويتم تدخل الكنائس الإنجيلية في العالم الإسلامي والعربي حالياً على ثلاثة مستويات:

1 ـ الدعاية المعادية للإسلام، والتي تملك كل الإمكانيات لاتهامه بكل مصائب الدنيا، وربط الإسلام بالإرهاب و«محور الشر» والشيطنة.

2 ـ استخدام الأقليات المسيحية العربية لخلق الفرقة وتعبئتهم ضد المسلمين اعتماداً على وعود ومكافآت مالية ومناصب وعقود عمل، ومنح تأشيرات الشنجن لكل من يزعم أنه «مسيحي مضطهد»! وهي مقنعة لإحلال عمالة مسيحية بدلاً من المسلمة التي يسعون إلى إعادة تهجيرها إلى بلدانها.

3 ـ عمليات تنصير المسلمين التي تمثل أوضح نشاطات الإنجيليين اعتماداً على جماعات منظمة في شبكات، وعلى توصيل رسالة إنجيلية تعتمد على نصوص القرآن.

وهو ما تقوم به جميعة «إدارات العالم العربي» التبشيرية الإنجيلية العالمية التي تتلخص مهمتها في: «الإعلان عن النبأ السعيد المنقذ من أجل مسلمي العالم العربي». وهم يعتمدون زوراً على أن القرآن يفرض علينا الإيمان بالتوراة وبالإنجيل، متناسين أو متجاهلين أن النص القرآني يقصد ما أنزل الله من توراة وإنجيل، وليس التوراة التي انتهوا من صياغتها في القرن الثامن الميلادي، أو الإنجيل (العهد الجديد) الذي ثبت بالقطع أنه تم تكوين مجمل كتبه في أواخر القرن الثاني الميلادي، ثم قام القديس «جيروم» بتكوين وصياغة نصه في القرن الرابع، وفرضوه على «مجمع ترانت» المنعقد فيما بين 1545 و1563م على «أن الله هو المؤلف» ثم عدّلوا القرار قائلين: إن الله استعان بالروح القدس ليلهم الحواريين!

والعملية التبشيرية التي تقودها الولايات المتحدة تساندها العديد من

المحطات الإذاعية والتليفزيونية، وخاصة أعضاء الكونجرس والمخابرات المركزية الأمريكية. كما يتم إدراج الدعاية التبشيرية في مشاريع برامج التنمية الإلكترونية GIPI برنامج: سياسة المبادرة الشاملة للإنترنت، وبرنامج MEPI مبادرة الشراكة في الشرق الأوسط، وقد تم إقامتها في معظم بلدان العالم العربي والإسلامي، بعد أن أقر البابا «يوحنا بولس الثاني» مبدأ استخدام المجال الإلكتروني في التبشير.

وهذا التبشير الذي تموله وتحميه الإدارة الأمريكية مرماه سياسي، ويهدف إلى خلق بؤَرْ خلاف في قلب البلدان لإضعافها وتسهيل السيطرة عليها. كما يهدف إلى إشعال «صراع الحضارات» المزعوم بصورة مفتعلة لتندرج في المشروع الذي تمت صياغته منذ 11 سبتمبر 2001م لإتهام الإسلام بالشيطنة. أي إنها تندرج باختصار في إطار سياسة الإدارة الأمريكية الهادفة إلى إعادة تشكيل الشرق الأوسط الكبير، وفرض هيمنتها عليه لصالح الكيان الصهيوني.

ويقول الكاتب: «جان بودريار» J.Baudrillard في كتابه المعنون «قوى الجحيم» الصادر في أواخر أكتوبر 2002م: «إن ما يدور حالياً هو أكثر من عنف، إنه احتدام العنف، إنه عنف يتزايد كالعدوى في سلسلة من ردود الأفعال التي تهزم كل الحصانات وكل إمكانات المقاومة... لأن الإسلام هو النقيض الحيوي للقيم الغربية، ولذلك فهو يمثل العدو رقم واحد.. وفيما يتعلق بالتعصب الديني المسيحي فإن كل الإشكال المخالفة له تعد هرطقة، وبذلك يتعيّن عليها إما أن تدخل النظام العالمي الجديد، طواعية أو قهراً، وإما أن تختفي. إن مهمة الغرب الآن هي أن يتم إخضاع الثقافات المختلفة بشتى الوسائل إلى القانون الوحشي المسمى التساوي... فالهدف هو التقليل من المناطق المنشقة واستبعاد كل المساحات المعترضة، سواء أكانت مساحات جغرافية أم مساحات في المجال العقائدي».

ويؤكد «سيرج لاتوش» Serge Latouche في كتابه حول «تغريب العالم» قائلاً: «إن سيطرة الغرب لم تتمثل فقط في فرض الاستعمار وإنما في التبشير

والسيطرة على السوق والاستيلاء على المواد الخام والبحث عن أراض جديدة والحصول على أيادي عاملة رخيصة، واقتلاع الهوية التراثية الدينية، والقيام بالغرس الثقافي الخاص بالغزاة، مستعينين بشتى وسائل الإعلام وغيره.. إن عملية تغريب العالم هي أولاً وأخيراً عبارة عن حروب صليبية... والحروب الصليبية هي أكثر العمليات جنوناً في كل ما قام به البشر.. إن عملية تغريب العالم كانت ولا تزال عملية تنصير، ومعظم عمليات التنمية في العالم الثالث تتم مباشرة أو بصورة غير مباشرة تحت علامة الصليب».

3 ـ «محور السلام»:

انعقد في بروكسل، العاصمة البلجيكية، طوال يومي 17 و18 نوفمبر 2005م، مؤتمر بعنوان: «محور السلام» Axix for peace أعد له الإعلامي الفرنسي «تييري ميسان» Thierry Meyssan أول من فضح الإدارة الأمريكية في افتعال وإشعال حرب العراق، بنشر كتابين، الأول عن «الخديعة الكبرى»، والآخر بعنوان «البنتاجيت» على غرار فضيحة الوترجيت الشهيرة، حيث راح يثبت تورط الإدارة الأمريكية بالوثائق الرسمية المنشورة، والتي تم سحب العديد منها من التداول بعد ذلك. وهو أيضاً رئيس شبكة «فولتير» الجريدة الإلكترونية اليومية التي تصدر بعدة لغات منها العربية.

وقد حضر هذا المؤتمر، وهو الأول من نوعه، مائة وخمسون شخصية عالمية من المعارضين للنظام العالمي الجديد الراهن، قادمين من مائة وسبع وثلاثين دولة، وهم سياسيون ودبلوماسيون وعسكريون وقادة للرأي في بلدانهم، لمناقشة كيفية التصدي لهذا العدوان الصارخ بعمل محاولات فعّالة للدفاع عن السلام. وفي نهاية اليوم الثاني تمت صياغة البيان الختامي الذي أدانوا فيه التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة والخطر الذي تمثله ضد السلام العالمي. كما ناشدوا أعضاء مجلس الأمن الذين يشاركونهم الرأي في تفعيل احترام سيادة الدول وهو ما يمثل أساس القانون الدولي.

وقد تناول المؤتمر من ضمن ما تناول، موضوع الإرهاب الإسلامي في إحدى حلقاته النقاشية. وقام الوزير الألماني السابق «أندرياس فون بولو» A. von Bülow بتشريح أحداث 11 سبتمبر 2001م موضحاً كيف تم تنفيذها من داخل الولايات المتحدة، بهدف إضفاء شرعية دولية على العمليات العسكرية التي تقودها في العالم الإسلامي والعربي.

وتحدث «وبستر تاربلي» W.Tarpley الصحفي بالولايات المتحدة، من أشكال التدخل العنصري وخاصة استغلال التهديد بعبارة «الإرهاب» قائلاً: «لا يمكن فهم السياسة الحالية للولايات المتحدة الأمريكية إذا قللنا من المدى الحقيقي لأحداث 11 سبتمبر. إن اعتداءات 11 سبتمبر كانت أحداثاً مدبرة داخلياً. والحرب على الإرهاب قائمة على أسطورة تحولت إلى ديانة رسمية للدولة منذ تلك الأحداث. والوسيلة الوحيدة للصراع ضد المحافظين الجدد هي هدم هذه الأسطورة». وقد صدر مؤخراً لتاربلي تحليلاً للأساليب المستخدمة لاستمرار توابع أحداث 9/11.

كما قام «فيليب بيرج» Ph. Berg، المدعي العام السابق لمقاطعة بنسيلفانيا، بشرح كيف يرفض عدد كبير من المواطنين تصديق الصيغة الرسمية لهذه الأحداث، ويمثل بيرج عائلات الضحايا التي رفضت قبض تعويضات عن موت أبنائها مقابل الصمت، وتقدموا بشكوى ضد أعضاء مجلس أركان الحرب والبيت الأبيض لمسؤوليتهما المباشرة في هذه الأحداث الإرهابية.

وتحدث دافيد شايلر D.Shayler، العميل السابق بالمخابرات البريطانية، موضحاً كيفية تدخل هذا الجهاز في توظيف مصطلح «الإرهاب الإسلامي». وعندما حاول الاعتراض على ذلك، زجوا به في السجن! وهو يؤكد تواطؤ المخابرات المركزية الأمريكية وجهاز المخابرات البريطانية في تنظيم هذا الإرهاب بصورة مختلفة.

وقد تناولت المداخلات الأخرى توضيح كيف يعتمد ذلك الإرهاب

«الأصيل» على مختلف أشكال التدخل العسكري والديني والسياسي والثقافي، وعلى الأكاذيب والترويع، وعلى كيفية شراء الأصوات والضمائر والحكومات وقادة الرأي، وخاصة كيف يسيطر على وسائل الإعلام لمنعها من الكشف عن الحقائق أو التحدث عنها، وإبعادها عن المساس بالسياسة الإسرائيلية التي لا حدود لأطماعها!

• • •

الخاتمة:

لقد جاهر الغرب المسيحي بالعدواة لدين الإسلام، وجاهرت الحكومة الصهيونية ـ الصليبية في أمريكا على لسان مبشريها وأتباعها وإعلامها، للمطالبة بتغيير العقيدة الإسلامية، وإبطال الجهاد بعد بتره من كافة معانيه الإنسانية، وقصره ظلماً على الصورة الحربية، بالرغم من أن الجهاد الحربي في الإسلام مقنن شرعاً ويمنع المسلمين من بدء العدوان.

كما طالب التعصب الغربي بالتدخل في مناهج التعليم ومناهج العلوم الشرعية، بناء على توصية مجلس الأمن القومي الأمريكي، ومنع وصول المتدينين إلى المناصب العليا في التربية والتعليم، وغيرها من المجالات، وعزل بعض الدعاة والخطباء، والتضييق على الحلقات الدراسية القرآنية، ووقف العمل الخيري الإسلامي، ومصادرة أموال الجمعيات التي تقوم عليه، إضافة إلى ما تناولناه في سياق البحث. وكل ذلك اعتماداً على التلبيس والمغالطة؛ لترويج وتبرير هذا الاقتلاع على أنه جزء من الإصلاح الشامل المطلوب من أجل الديمقراطية! والواقع المعيش يؤكد للجميع أن معنى الديمقراطية في السياسة الأمركية بات يعني: الاستعمار والتنصير.

وهذا الموقف الغربي المعتدي يُعد تدخلاً فجاً في الشؤون الداخلية والدينية، وقلباً للمفاهيم، وإعتداءاً صارخاً على ثوابت الأمة، وخاصة على القرآن الكريم الذي يعد دعامتها الأساسية.

إن قبول القيام بهذا التغيير هو بمثابة اعتراف ضمني باتهامات الغرب المتعصب، وإقرار بأن ديننا ومناهجنا الدراسية تولد الإرهاب! والاستجابة لهذه المطالب هو استسلام وتواطؤ لتميكن المتعصبين من مآربهم، وقد شجعهم على ذلك ما لمسوه من المسؤولين من تهاون في الدفاع عن ديننا. وهذا التنازل لا نهاية له إلا الاقتلاع التام للإسلام والمسلمين كما يبغي هؤلاء الطغاة.

ولقد أوضحنا في مطلع هذا البحث، وفي النقطة الثالثة منه، أن الغرب المسيحي ليس بكامله معاد للإسلام، وأن هناك بؤراً من نورٍ في غياهب ذلك الغرب، وقد آن لنا أن نوجد جسور ترابط وأن نمد أيدينا لنتعاون مع هذه النقاط المضيئة الرافضة للإرهاب الأمريكي وتدخلاته، لقول الحق بلا هجوم أو تجريح. وأهم ما يجب التركيز عليه، بخلاف التعريف بمعطيات القرآن الكريم الحقيقية، وليس ما يقدمه لهم المستشرقون، هو:

- أنه لا انفصال في القرآن أو في الإسلام بين الدين والدنيا، وأن هدف ذلك الدين عمارة الأرض وليس دكها أو إبادة بعض شعوبها كما يفعل المستعمرون.

- عدم قبول مقولتهم المزعومة من أنه «لا نقاش في العقيدة»، فالخلاف الأساس بيننا هو ما قاموا به من تحريف، أي إنه خلاف في العقيدة، فلا حصر ولا عدد للدراسات الجادة الأمينة التي تثبت حالياً أن المسيح، كما تصوره الكنيسة، لا سند تاريخي له، إضافة إلى كشفهم ما تم أخذه من الديانات الوثنية قبل بترها من الوجود.

كما قاموا بإثبات أن الأناجيل المعتمدة قد تم تجميعها إجمالاً في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وأنها ليست منزّلة كما يزعمون. وقد رأينا كيف قام القديس «جيروم» بتوليفها في القرن الرابع. وهو ما أثبته القرآن الكريم بالإشارة إلى شتى هذه التفاصيل من تغييرٍ وتبديلٍ وتحريف.

- عدم قبول القول بإن هذه النصوص تتساوى مع القرآن الكريم، خاصة بعدما

أعلن البابا «يوحنا بولس الثاني» أن بها «البالي والخطأ» وقد وعد بتغيير سبعين آية مراضاة لليهود بعد تبرئتهم من «مقتل الرب»! وذلك في أحد النصوص الرسمية الصادرة عن «مجمع الفاتيكان الثاني» والتي احتفلوا بها في الشهر الماضي بمرور أربعين عاماً على إصدارها.

- العمل على كشف وَهْم أسطورة سفر الرؤيا التي يتذرعون بها لتنصير العالم ليأتي المسيح ـ عليه السلام ـ فما عسى الفاتيكان والكنائس الإنجيلية وغيرها فاعلين «بدولة إسرائيل» التي أنشأوها ظلماً وعدواناً، هل سيقومون بتنصير اليهود أم أنها حجج تسري على البعض ويُعفى منها البعض الآخر؟!
- بما أن الأناجيل المعتمدة غير منزّلة ولم يكتبها أصحاب الأسماء التي عُرفت بها، أي إنها نصوص غير أصلية ومحرّفة، بدليل ما قاله القديس «جيروم» الذي أعاد صياغتها وعدّل وبدّل وغيّر فيها وفقاً لطلب البابا «داماز» (المتوفى سنة 384م)، وذلك في المقدمة التي كتبها لها وأهداها لنفس ذلك البابا. فلا يحق للغرب المسيحي المتعصب الاعتماد على أسطورة من تلك الأساطير لتبرير إقامة دولة للكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين. كما لا يحق له التذرع بها لتنصير العالم، خاصة وأن المسيح ـ عليه السلام ـ قال: «لم أُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة» [متى 15: 24]. وقال لحوارييه: «إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بني إسرائيل الضالة» [متى 10: 5 ـ 6] وذلك يعني قطعاً أن عمليات التنصير التي تقودها الكنيسة ضد المسلمين تنافي تعاليم السيد المسيح وتناقضها تماماً، وأنه كان يتعيّن عليها أن تهدي اليهود الذين حادوا عن رسالة التوحد، لا أن تخرج عن تعاليم متبرئهم لأغراض سياسية، أولها الاعتراف بالكيان الصهيوني المحتل لفلسطين.
- إن استنادهم إلى نهاية إنجيل متى والآية المكتوب فيها: «فاذهبوا وتملذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» [28: 19] هو استناد باطل؛ لأن عقيدة الثالوث قد تمت صياغتها في القرن الرابع وتسببت

فيما تسبت فيه من انقسامات ومجازر، فكيف يمكن أن توجد في إنجيل من المفترض أنه مكتوب في الفترة: 70 ـ 90م ـ كما يقولون، فهل تكون قد كتبت بأثر رجعي؟!

إن الإسلام لا يفرض نفسه على أحد، والقرآن الكريم ينص بوضوح قائلاً: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

ليكفّ الغرب المسيحي إذن عن أطماع الجهلاء والأنانية العمياء المتمثلة في تلك المحاولات الدائبة لاقتلاع القرآن الكريم، بهدف فرض دين من صنع الغرب الذي هو أول من يعلم كيف تم توليفه عبر المجامع على مر العصور. وليكف الغرب المتعصب عن فرض نظام هو أول من يعلم كيف تم نسجه بالأكاذيب والعنصرية، وليكرس كل تلك الجهود الكاسحة إلى ما تحتاجه البشرية بحق من تضافر من كل الإمكانيات والطاقات الإنسانية من أجل الحد من مآسي الجوع والفقر والجهل ومشاكل البيئة، وهي مشاكل قد تَسَبَّبَ هو في الكثير منها، إن لم يكن فيها كلها!

• • •

ثبت المراجع

1 - Alberigo, Giuseppe (sous la direction de): Les Conciles cuméniques, éd. du Cref, 3 vol., 1994.

2 - Baudrillard, Jean: Power Inferno, éd. Galilée, Pairs, 2002.

3 - Blachère, Régis: Le Coran, P.U.F., Pairs, 196. Colonna-Cesari, Constance:
Urbi et Orbi, Enquête sur la géopolitique
vaticane, éd La Découverte. Paris, 1992.

4 - Damascène, Jean: Source de la commaissance,
«Dialogue et Annonce», Document du Conseil Pontifical pour le Dialogue interreligieux et de la Congrégation pour l'Evangélisation des peuples. éd Mission de l'Eglise, Paris, 1992.

5 - Jean-Paul II: Vers l'An 2000 (Tersio Millenio Adviente). éd l'Emmanuel, Paris, 1994.
6 - Latouche, Serge: L'Occidentalisation du monde, éd Découverte, Paris 1989.
7 - Sénac, Philippe: L'Image de l'autre, éd. Flammarion. Paris, 1983 www.axixforpeace.net.

● ● ●

الكتاب المزعوم كبديل للقرآن
«الفـرقـان الحـق»
(دراسة نقدية)

أ.د. محمد بسام رشدي الزين
الإمارات العربية المتحدة

تعريف الكتاب المفترى كبديل للقرآن:

كتاب «فرقان الحق» الذي نشرته إحدى المواقع الغربية المعنية بالتنصير: www.isonlyeway.150m.com/furqan/ .

وضعت له عنواناً «سورة من مثله» عدد 77 سورة، ومنها:

سورة المحبة، سورة النور، سورة السلام، سورة الإيمان، سورة الحق، سورة الطهر، سورة الغرانيق، سورة العطاء، سورة النساء، سورة الزواج، سورة الطلاق، سورة الزنا، سورة المائدة، سورة المعجزات، سورة المنافقين، سورة القتل، سورة الجزية، سورة الإفك، سورة الضالين، سورة الإخاء، سورة الصيام، سورة الكنز، سورة الأنبياء، سورة الماكرين، سورة الأميين، سورة المفترين، سورة الصلاة، سورة الملوك، سورة الطاغوت، سورة النسخ، سورة الرعاة، سورة الشهادة، سورة الهدى، سورة الإنجيل، سورة المشركين، سورة الحكم، سورة الوعيد، سورة الكبائر، سورة الأضحى، سورة الأساطير، سورة الجنة، سورة المحرضين، سورة البهتان، سورة اليسر . . .

السباق التاريخي لفرقان الحق

الكتاب المفترى كبديل للقرآن

الجذور التاريخية ترجع إلى: مواقف مشركي مكة من القرآن الكريم، ويمكن حصرها في ثمانية مواقف:

● **الموقف الأول ـ الحظر على تلاوة القرآن الكريم في منتديات قريش والمحافل العامة:**

أدرك المشركون تأثير القرآن في النفوس، وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر، وأن له قوة ذاتية تأخذ بالعقول والقلوب، وتجعل الإنسان ينجذب إليه ويشهد شهادة الحق، وشعروا بأن مصالحهم الأنانية تتهدد بالقرآن، فأصدروا أمراً شركياً بتحريم سماع القرآن، كما حكى القرآن عنهم في سورة فصلت: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]، واتخذوا لتطبيق هذا الحظر عدة إجراءات منها:

1 ـ التشويش على الرسول ﷺ عندما يصلي، إذ كانوا يصفقون ويصفرون كما قال الله عنهم في سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: 35].

2 ـ تعريض المخالفين للإيذاء والعقوبة، كما جرى لعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ كما تذكر الرواية التالية: «عن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله بمكة عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله فقالوا والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعوه، فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، فقال: دعوني فإن الله سيمنعني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿1﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿2﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿3﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿4﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ

بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 1 ـ 13]، رافعاً بها صوته، قال: ثم استقبلها يقرأ فيها، قال: وتأملوا وجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم أنصر ف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن لئن شئتم لأغادينهم غداً بمثلها، قالوا: لا حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون»[1].

3 ـ القيام بحملة إعلانية لمنع القادمين إلى مكة من سماع القرآن الكريم، كما جرى للطفيل بن عمرو الدوسي وأخرج هذه القصة البيهقي عن ابن اسحقاق، قال: «كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا له: إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي: إني لرجل لبيب شاعر ما يخفي على الحسن من القبيح، فما يمنعني من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول، فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلت وإن كان قبيحاً تركت، فمكثت حتى انصرف إلى بيته فتبعته فقلت: إن قومك قد قالوا لي

(1) تاريخ الطبري ج1، ص549.

كذا وكذا، فاعرض عَلَيّ الإسلام وتلا عَلَيّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت»[1].

● الموقف الثاني ـ الطعن في حقيقة القرآن الكريم وقدسيته:

أخرج ابن إسحاق والبيهقي، من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قول بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقوم به، فقال: بل أنتم فقولوا لأسمع، فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه، فقالوا: نقول مجنون، فقال: وما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول شاعر، قال: فما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر، قال: فما هو ساحر، قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده، فقالوا: ما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وأن فرعه لجناه، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وأن أقرب القول لأن تقولوا ساحر فتقولوا هذا ساحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عند ذلك، فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله عز وجل في الوليد بن المغيرة قوله في سورة المدثر: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ⑫ وَبَنِينَ شُهُودًا ⑬ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ⑭ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ⑮ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ⑯ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ⑰ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ⑱ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑲ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ⑳ ثُمَّ

(1) الخصائص الكبرى، ج1، ص225.

نَظَرَ ﴿21﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿22﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿23﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿24﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿25﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: 11 ـ 26].

● الموقف الثالث ـ التشكيك بمصدر القرآن الكريم:

ذكر عدد من كُتَّاب السيرة النبوية ادعاء المشركين بأن رسول الله ﷺ قد تعلم القرآن من بشر كما أورد ذلك ابن هشام، قال: «وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبني الحضرمي، فكانوا يقولون والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني، غلام بني الحضرم فأنزل الله تعالى في ذلك قوله في سورة النحل: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: 103].

وقد دعاهم الله عز وجل إلى تدبر آيات القرآن الكريم؛ ليصلوا إلى الإقرار بحقيقته بأنه تنزيل من حكيم حميد، كما جاء في سورة النساء: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

● الموقف الرابع ـ الطعن في شخص الرسول ﷺ والتشكيك في أهليته لشرف تنزل القرآن الكريم عليه:

أشار بعض المفسرين إلى هذا المعنى في تفسير قوله تعالى في سورة يونس: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: 2] كما أخرج ابن جرير، من طريق الضحاك عن ابن عباس، قال: «لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك أو من أنكر ذلك منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الآية.. وأنزل الله قوله في سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] فلما كرر الله عليهم الحجج، قالوا: وإذا كان بشراً، فغير محمد كان أحق بالرسالة، لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم،

يقولون: أشرف من محمد الوليد بن المغيرة من مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من الطائف. فأنزل راداً عليهم قوله في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿31﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: 31 و32].

● **الموقف الخامس ـ الطعن في أفكار القرآن الكريم، وما تحويه آياته من عقيدة وتشريعات، والهزء بها والسخرية منها:**

أورد بعض كتاب السيرة صوراً من استهزاء المشركين بالقرآن، ومنها استهزاء أبي جهل بقوله في سورة المدثر عن النار: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾، فقال يوماً لقريش يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يقذفونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، فيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم. وفي رواية: أن بعض قريش، وكان شديداً قوي البأس بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد بقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحدت قدمه فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، قال له: أنا أكفيك سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين[1]، وأنزل الله قوله في سورة المدثر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا. . .﴾ [المدثر: 31].

«كان خباب بن الأرث قد باع للعاص بن وائل السهمي سيوفاً عملها له، وكان قيناً بمكة فجاءه يتقاضاه، فقال له: يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم؟ قال: بلى، قال: فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظاً في ذلك، فأنزل الله في ذلك قوله في سورة مريم: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿77﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ

(1) السيرة الحلبية، ج1، ص515.

عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: 77 ـ 80][1].

- **الموقف السادس ـ إجراء مساومات وممارسة ضغوط على الرسول ﷺ للتنازل عن بعض مبادئ القرآن الكريم التي تتعارض مع مصالحهم وأنانياتهم:**

«عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ دعت قريش النبي ﷺ إلى أن يعطوه مالاً فيكون به أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويكف عن شتم آلهتهم ولا يذكرها بسوء، فقد ذكر أن عتبة بن ربيعة قال له: إن كان أن ما بك الباءة فأختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً. وقالوا له: ارجع إلى ديننا واعبد آلهتنا وأترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك. وقالوا له: إن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح، قال: وما هي؟ قال: تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد إلهك سنة. فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبده خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فقال لهم: حتى أنظر ما يأتي من ربي، فجاء الوحي بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 1 ـ 6][2].

وذكر عدد من كُتّاب السيرة النبوية أن جمعاً من زعماء قريش مشوا إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكيفه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردهم رداً جميلاً. فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ج1، ص258.

(2) السيرة الحلبية، ج1، ص488.

ويدعو إليه، ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله بينها، فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضاً عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، أو كما قالوا له، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ولا خذلانه، وذكر أن أبا طالب حين قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله، فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا كذا وكذا للذي قالوا له، فأبق عَلَيّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومُسَلِّمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال له: «يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته. ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً»[1].

- **الموقف السابع ـ محاولات لتفسير آيات القرآن الكريم على غير معناها لاستغلالها في الطعن بالقرآن بالكلية:**

قال محمد بن إسحاق بن يسار ـ رحمه الله ـ في كتاب السيرة: «وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسول الله ﷺ، حتى أفحمه وتلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ . . .﴾ إلى قوله: ﴿. . . وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء: 98 ـ 100]، ثم

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ج1، ص216.

قام رسول الله وأقبل عبد الله بن الزبعري السهمي، حتى جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعري: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حطب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعري: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً كل ما يعبدون من دون الله في جهنم مع عبده، فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعري ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته وأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: 101 و102] أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذتم من يعبدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله»[1].

أورد عدد من كُتّاب السيرة في موضوع الهجرة الثانية إلى الحبشة، والحوار الذي جرى بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي، وقد حاول يومها عمرو ابن العاص ـ ولم يكن مسلماً يومئذ ـ أن يوهم النجاشي بأن عقيدتهم في سيدنا عيسى تختلف عن عقيدة النجاشي، «فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى ابن مريم غير ما تقول! قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار، فأرسل إلينا فكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى، قال: ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم؟ قال قلنا: يقول هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول، قال: فأرسل، وقال: ادعوا لي فلاناً القس وفلاناً الراهب وأتاه أناس منهم، قال فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ قالوا: أنت أعلمنا بنا نقول، فقال النجاشي، وأخذ شيئاً من الأرض: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء»[2].

---

(1) تفسير ابن كثير ج3، ص199 وما بعدها.

(2) ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى، ج1، ص207.

● الموقف الثامن ـ محاولات البحث عن بديل للقرآن الكريم:

وقد ذكر القرآن هذه الحقيقة بقوله في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 15 و16].

أخرج ابن جرير وابن مردويه، عن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ قال: «قَتَلَ النبيُّ ﷺ بدر صبراً عُقْبَةَ بن أبي معيط والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ: «إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: 31].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدِّي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النضر بن الحارث يختلف إلى الحيرة فيسمع سجع أهلها وكلامهم فلما قدم إلى مكة سمع كلام النبي ﷺ والقرآن، فقال: قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين»[1].

ومن استهزاء النضر بن الحارث أنه كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله تعالى، خلفه في مجلسه ويقول لقريش: هلموا فإني والله يا معشر أحسن حديثاً منه ـ يعني النبي ﷺ ـ ثم يحدثهم عن ملوك فارس لأنه كان يعلم أحاديثهم، ويقول: ما حديث محمد إلا أساطير الأولين. ويقال إنه الذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله فانتهى، أي لأنه ذهب إلى الحيرة واشترى منها أحاديث الأعاجم ثم قدم بها مكة، فكان يحدث بها ويقول: هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود

(1) الدر المنثور، ج4، ص54.

وغيرهم. ويقال: إن ذلك كان سبباً لنزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [لقمان: 6].

قال في الينبوع: «والمشهور أنها نزلت في شراء المغنيات، وقال: ولا يبعد في أن تكون الآية نزلت فيهما؛ ليتحقق العطف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرًا﴾ [لقمان: 7] أي فإن هذا الوصف الثاني إنما يناسب النضر فليتأمل، ولما تلا عليهم ﷺ نبأ الأولين، قال النضر بن الحارث: لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين، فأنزل الله تعالى تكذيباً له: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: 88] أي معيناً له»[1].

وأزعم أن القراءة الغربية السيئة للقرآن الكريم، تعد امتداداً لمواقف مشركي مكة من القرآن الكريم، بمعنى أن الدارس لكتاباتهم السلبية حول القرآن الكريم عبر التاريخ، سيجد أنها لم تخرج عن المواقف الشركية الثمانية المذكورة آنفاً! وأضرب لذلك بعض الأمثلة:

● المثال الأول:

نستطيع أن نقرأ تصريحات «غلادستون» وزير المستعمرات البريطاني في القرن التاسع عشر إذ قال: «لن تستطيع بريطانيا أن تحقق شيئاً من غاياتها في العرب والمسلمين إلا إذا سلبتهم سلطان القرآن!»، ويلاحظ أن هذا الموقف لا يخرج عن موقف مشركي مكة الذين حرموا سماع القرآن، وأنزلوا الأذية بعبد الله ابن مسعود بتهمة قراءته لسورة الرحمن!

● المثال الثاني:

إن الذي يدرس مواقف المستشرقين من القرآن الكريم يلاحظ أن غير المنصفين منهم أمثال: «نولدكه» و«جولد زيهر» قد مارسوا التشكيك بمصدر

---

(1) السيرة الحلبية، ج1، ص517.

القرآن الكريم، وذكروا أن الرسول ﷺ قد تعلم القرآن من الراهب «بحيرا» أو «جبر الرومي» أو غيرهما! وفي هذا النهج امتداد لمواقف مشركي مكة الذين قالوا ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ ورد القرآن افتراءهم بقوله في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: 4 ـ 6].

● المثال الثالث:

عقب احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م صرح أحد حاخامات اليهود في أمريكا على شبكة «سي إن إن» بأن القرآن هو المسؤول عن تكوين عقلية التطرف لدى المسلمين عموماً، وتنظيم القاعدة وأنصار أسامة بن لادن خصوصاً! واستشهد بمفهوم لبعض آيات القرآن الكريم بعد تشويهها، فقال: القرآن يقول لأتباعه لا تصادقوا اليهود والنصارى، واقتلوهم حيث تجدونهم، ولا تأمنوا لهم!! إن هذا الموقف امتداد لمواقف مشركي مكة الذين شوهوا معاني القرآن وقالوا إنه يفرق بين المرء وزوجه، ووصفوه بالسحر تارة والكهانة تارة أخرى!

● المثال الرابع:

في إطار ما يسمى بالحرب على الإرهاب، طالب عدد من أعضاء الكونغرس الأمريكي بالضغط على حكومات الدول الإسلامية، والمسؤولين عن المراكز الإسلامية في أمريكا والغرب؛ لكي يحذفوا من مناهج التعليم آيات من القرآن زعموا أنها تحث على الكراهية، وتدعوا إلى العنف وقتل الآخر، مثل قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ...﴾، وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقوله تعالى عن اليهود في سورة المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾. وقد

قام عمدة نيويورك بسحب نسخ من ترجمات لمعاني القرآن الكريم من المكتبات، بتهمة العداء للسامية ونشر ثقافة الكراهية!

إن هذه المواقف لا تخرج عن مواقف مشركي مكة الذين ساوموا رسول الله ﷺ ومارسوا عليه الضغوط ليكف عن تلاوة بعض آيات القرآن التي زعموا أنها تسفه أحلامهم وتشتم آلهتهم!

● المثال الخامس:

طرحت بعض الجهات الأمريكية كتاب «فرقان الحق» على أنه كتاب بديل عن القرآن الكريم، وسماه مؤلفه «سورة من مثله» ويقصد بذلك الاستهزاء بالتحدي الرباني المذكور في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23 و24]، والحكم الرباني بعجز البشرية عن الإتيان بمثله، والمذكور في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]. وقد طلب من المراكز الإسلامية في أمريكا والبلدان الغربية، أن تتبنى تدريس هذا الكتاب بدلاً من القرآن الكريم، لأنه لا يحتوي على العنف وينشر ثقافة السلامة ولا يهين المرأة على حد زعم الجهات الرابضة وراء هذا المشروع!

وإن هذا الموقف يعد امتداداً لمواقف مشركي مكي الذين طلبوا من الرسول ﷺ صراحة تبديل القرآن والإتيان بكتاب آخر يلائم أفكاراً منحرفة محشوة في رؤوسهم، ولا يصطدم مع مصالحهم الأنانية الضيقة، كما حكى القرآن الكريم عنهم بقوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].

● ● ●

الأبعاد العقدية لفرقان الحق

الكتاب المفترى كبديل للقرآن

*** البعد الأول ـ العنوان: فرقان الحق:**

- الفرقان من أسماء القرآن: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1].
- الفرقان من أسماء التوراة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: 48].
- ويوم الفرقان هو يوم بدر: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: 41].

*** البعد الثاني ـ العنوان: سورة من مثله:**

- ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88].
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [هود: 13].
- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: 23].

*** البعد الثالث: أسماء السور:**

التلبيس في الأسماء من خلال البحث في الإنترنت:

سورة النور ـ سورة النساء ـ سورة الطلاق ـ سورة المائدة ـ سورة المنافقين ـ سورة الأنبياء.

*** البعد الرابع:** الخط والرسم يشبه رسم القرآن الكريم.

*** البعد الخامس:** المضمون والأفكار.

ـ من سورة المحبة: تكريس نسبة الولد لله.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: 18].

ـ من سورة النور: محاولة للرد على تسمية اليهود والنصارى بالمغضوب عليهم والضالين.

ـ من سورة السلام: تشويه لمفهوم الجهاد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: 4].

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194].

ـ من سورة الإيمان: تناقض عقدي في نسبة الأبوة لله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (1) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ (4)﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

ـ من سورة الحق: اتهام بأن القرآن تنزلت به الشياطين.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ (210) وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (211) إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: 210 ـ 212].

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: 221 ـ 223].

ـ من سورة الطهر: مهاجمة الأسماء الحسنى.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: 8].

ـ من سورة الطهر: مهاجمة أحكام الطهارة والنكاح والطلاق.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ﴾ [المائدة: 6].

ـ من سورة الطهر: مهاجمة تعدد الزوجات واعتباره زنى وتحريم الطلاق.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: 3].

ـ من سورة الغرانيق: مهاجمة الرسول ﷺ.

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿1﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿2﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿4﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿5﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿6﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿7﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿8﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿9﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿10﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: 1 ـ 11].

ـ من سورة العطاء: الاستسلام للمعتدي.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190].

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: 29].

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: 69].

ـ من سورة النساء: تكريس ادعاء ظلم المرأة في الإسلام.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: 3].

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 223].

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: 34].

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: 11].

ـ من سورة الزواج: الزواج ثاني زنى، والطلاق كفر وشرك.

ـ من سورة الطلاق: تحريم القتل بالقصاص.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 178 ـ 179].

ـ من سورة الزنى: تحريم الزواج من مطلقة.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 230].

ـ من سورة المائدة: إباحة شرب دم الفداء.

ـ من سورة المعجزات: ادعاء أن الفرقان الحق مشتق من الإنجيل.

ـ من سورة المنافقين: ادعاء أن النصر للمؤمنين بفرقان الحق.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: 55].

ـ من سورة الجزية: ادعاء أن الإسلام انتشر بالسيف.

ـ من سورة الأنبياء: ادعاء أن الأنبياء لم يبشروا بسيدنا محمد.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6].

ـ من سورة الصلاة: تحريم الصلاة في غير المعابد.

ـ من سورة الإنجيل: ادعاء أن القرآن يدعو إلى اتباع الإنجيل.

ـ من سورة الحكم: ادعاء تناقضات في القرآن بشأن أهل الكتاب.

ـ من سورة الأضحى: تعريف جديد للدين لن يقبل غيره.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

ـ من سورة الجنة: إنكار نعيمها.

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ (17) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (18) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (19) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (21) وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: 17 ـ 23].

ـ من سورة الجنة: حرمان المجاهدين منها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [التوبة: 111].

* السيرة الذاتية لمؤلف الفرقان الحق الصافي والمهدي:

نشرت عدد من مواقع الإنترنت معلومات حول خلفيات القرآن المفترى كبديل ومنها: www.messiahsgifts4u.com/truefurquan .

ـ الكتاب المفترى كبديل للقرآن الكريم:

ظهر ما يسمى «الفرقان الحق» في مواقع الإنترنت منذ سنة 1999. ويباع في موقع «أمازون» وغيره من المواقع.

لم يصرح المؤلف في حينه باسمه الأصلي، وإنما كتب فيه اسم المؤلف هكذا: الصافي والمهدي.

ولكن كثيراً من الناس يرون أن اسمه الأصلي هو «د. أنيس سورروس» وهو عربي يهودي. وقد صُرِّح باسمه في موقع «أمازون: أنيس سورروس» وأنه مؤلف «الفرقان الحق».

نشرت عدد من مواقع الإنترنت معلومات حول خلفيات الكتاب المفترى كبديل للقرآن الكريم.

ومنها: www.messiahsgifts4u.com/truefurquan .

المؤلف:

اسمه: د. أنيس سورروس، ولد بفلسطين. ومات أبوه على يد جيوش اليهود. ثم هاجر إلى الأردن وواصل دراسته بجامعة ميسيسيبي Mississippi college وكان يعمل في الأرض المحتلة مع اليهود، ومن ذلك عمله في كنيسة أورشليم بابتس Juresalem Baptist في القدس المحتلة. كما كان يعمل في Judea وفي Samaria من سنة 1959 إلى 1966م.

عمل منصراً في بلدان إفريقيا: كينيا، كيبتاون، دوربان، جوهانسبرغ، وفي سنة 1995م عمل في نيوزيلندا. . . ثم انتقل إلى إنجلترا. ثم إلى البرتغال.

وناظره الشيخ أحمد ديدات مرتين، المرة الأولى سنة 1980م في لندن، والمرة الثانية في برمنجهام، والموضوع: القرآن والإنجيل: أيهما كلام الله.

ألف كتاباً بعد المناظرتين بعنوان: Islam revealed: A Christian Arabic's View of Islam .

وذكر أن هذا الكتاب يوضح للناس أن الإسلام يقتل شخصاً من كل خمسة أشخاص في العالم، وذكر فيه مناظرته مع الشيخ ديدات. ويتهم الإسلام بأنه يتضمن عقائد خاطئة. . . .

وفي الختام. . يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الحجر الآية 9: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ صدق الله العظيم.

• • •

القراءات الجديدة للقرآن الكريم
عرض للإصدارات والأطروحات

أ. د. محمد صلاح الدين المستاوي
جامعة الزيتونة ـ تونس

تعددت في الآونة الأخيرة الإصدارات الجديدة حول الإسلام والمسلمين بصفة عامة، وحول القرآن الكريم بصفة خاصّة، إذ يكاد لا يمر شهر إلا وتصل إلى أيدي الناس ترجمة جديدة لمعاني القرآن، أو إعادة إصدار لترجمة من الترجمات القديمة، يضاف إلى ذلك كّم كبير جدًّا من الكتب من مختلف الأحجام موجّهة إلى مختلف فئات القرّاء المتخصصين منهم وغير المتخصصين.

ويتولى تأليف وإصدار هذه المادة حول الإسلام والقرآن كُتّاب فيهم المختصّ ممن اشتغل بالدراسات الإسلامية، وفيهم الساسة والإعلاميون، ومنهم المعروفون والمغمورون، ومنهم من تكتب لهم هذه المادة زيادة في التعتيم وإلقاء بالشبه التي تتخذ من بعض الأوضاع والتصرفات لتكون ذريعة للنيل من الإسلام ووصمه بكلّ ما يخطر وما لا يخطر على البال من الافتراءات والترهات، وينطلق في إلقاء المزيد من الأباطيل من وقائع وأحداث تاريخية ترد مجتثة من ساقها ومشوّهة في أفهامها لتنم عن جهل مركب وتنتهي إلى أحكام خاطئة.

ومما يدعو إلى التنبه إلى مخاطر هذه الحركة، تركيزها في الآونة الأخيرة

على القرآن الكريم باعتباره آخر ما بقي مما يجمع المسلمين على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ومذاهبهم وممّا يجمعون عليه ولا يختلفون حوله.

وهذا الإجماع بين المسلمين على كتاب واحد «القرآن الكريم» الذي هو كلام الله المنزل إلى نبيه محمد ﷺ، والمنقول إلينا بالتواتر والموجود بين دفتي المصحف والمتعبد بتلاوته، غاض بعض الدوائر والجهات التي ساءها أن يختلف غير المسلمين على كتبهم المقدسة فتتعدد رواياتها إلى حدّ التعارض والتناقض في نصوصها ونسخها، في حين يظل المسلمون مجتمعين منذ أن نزل القرآن على نصّه الموحّد، فهو لم يتغير ولم يتبدل ولم تستطع أيدي التحريف والتزييف أن تنال منه، إنه كتاب واحد في نصّه، بسوره وآياته وكلماته وحروفه.

ولا تقبل عقول المشككين إمكانية بقاء القرآن كما نزل، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بأن وراء ذلك وعد إلهي سابق يحفظ كتابه حيث يقول جَلّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9] جاعلاً لذلك أسباباً مساعدة لتحقيق هذا الهدف الذي هو الحفظ للقرآن والمحافظة عليه، منها ذلك السير وتلك البلاغة التي يتميز بها النص القرآني بلغتهم ـ لغة العرب ـ فقد اشتهروا بسرعة الحفظ فكان ولا يزال الكثير منهم يحفظ من سماع واحد.

وليست هذه هي العوامل الوحيدة التي جعلت القرآن يبقى كما أنزل من عند الله، بل أضيفت إليها جهود كبيرة، بذلت منذ بداية تنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وتواصلت طيلة بعثته وإثر انتقاله إلى الرفيق الأعلى، حيث جمع القرآن في عهد الخليفة الأوّل في صورة المصحف، واستمرّ بعد ذلك ليخرج المصحف الإمام على يدي الخليفة الثالث، مما هو مفصّل ومدقق في أمهات المراجع والكتب التي أرخت لمراحل جمع القرآن مثل الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي وغيرهما.

ولقد انطلق هذا الجمع للقرآن من كل ما تهيأ من الأسباب والعوامل التي ساهمت في تحقيق الإجماع على النص القرآني، واحداً في سوره وآياته

وكلماته، والتي منها عدد كبير من الحفاظ للقرآن الكريم من الصحابة الذين لازموا رسول الله ﷺ وواكبوا تنزل القرآن الكريم عليه في حله وترحاله، إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، يضاف إلى ذلك تلك الصحف المكتوبة التي كان رسول الله ﷺ يأمر بتدوينها ناهياً أن يكتب عنه القرآن خشية أن يختلط بالقرآن غير القرآن بما فيه أحاديثه الشريفة ﷺ «من كتب عنى غير القرآن فيمحه».

وما كانت هذه الوسائل العملية: الحفظ والكتابة، ولا ذلك العهد الإلهي بحفظ القرآن من كل تحريف لتقنع الجهات المشككة في سلامة النص القرآني فانطلقت تحت عناوين البحث العلمي والأمانة التاريخية والمنهجية والتجرد تثير كل ما يتصور وما لا يتصور من الشكوك، مستندة على أقوال شاذة وأحداث لم تثبت في دعوتها، إلى إعادة النظر في النص القرآني الموجود بين أيدي المسلمين ودراسته على ضوء ما يمكن العثور عليه ما لم تصله يد الائتلاف والإحراق التي وقعت على إثر الجمع النهائي للقرآن في عهد الخليفة الثالث.

ونقب هؤلاء الباحثون والدارسون للقرآن الكريم في كتب التاريخ والسيرة وفي التفاسير عن شيء يستندون إليه وينطلقون منه؛ لإثارة شبهة عدم سلامة وصحة النص القرآني الموجود بين أيدي المسلمين، فأوردوا في بحوثهم نصوصاً مبتورة وأقوالاً شاذة وروايات وإسرائيليات، لم تغب عن علم العلماء المحققين الذين اشتغلوا بعلوم القرآن قديماً وحديثاً، والذين أوردوها من باب الأمانة يقيناً منهم أنها لن تصمد أمام ما انتهوا إليه وأجمعوا عليه من سلامة ووحدة النص القرآني.

ولعل استعراض بعض هذه الأعمال يعطي فكرة لما يخطط له ويراد الوصول إليه، مما يستوجب متابعة دفع الشبهات، لتحول بينها وبين أن تصبح قناعات، خصوصاً عندما يتأخر الجواب المقنع والحجة القوية.

والأعمال التي سأستعرض عيّنات منها انطلقت من دراسات وبحوث أعدّها مستشرقون ورجال لاهوت، وظلت لعقود طويلة محدودة التأثير

والانتشار، وتصدى لها البعض من العلماء والباحثين ممن تهيّأ لهم الاطلاع عليها في لغاتها التي كتبت بها، وبقي الكثير منها يكتسب على مرّ الأيام قوة، حتى اتخذت اليوم منطلقاً لأعمال دخلت حيّز التنفيذ الفعلي متمثلة في نشر قرآن منتحل تحت عنوان «الفرقان المبين» وهو اليوم نص ينسخ من مواقع الإنترنت، ويعمم توزيعه على المسلمين في ديار الإسلام وخارجها، وبالخصوص على تلك الأجيال المتعاقبة من أبناء المسلمين في ديار الغرب، التي تفتقر إلى أبسط المعارف الدينية الصحيحة.

كما أن طبعات عديدة للقرآن مرتباً ترتيباً زمنياً يخالف الترتيب الذي عليه سور وآيات القرآن الكريم، هي اليوم في واجهات كل المكتبات المنتشرة في الأماكن العامة. يضاف إلى ذلك تسارع وتتابع ملفت للانتباه في إصدار ترجمات جديدة للقرآن تعد لها مقدمات متضمنة لكل الآراء والأفكار التي انتهى إليها وأوردها الدارسون الغربيون من المستشرقين وعلماء اللاهوت، كما تضاف إليها تعليقات وهوامش تقدم على أنها مسلمات تنقض كل إجماع حول القرآن.

وبالموازاة لذلك تصدر ـ ولا تزال ـ كتب تتفاوت في أحجامها ومنهجياتها باختلاف من توجه إليهم من القراء والمهتمين بموضوع القرآن الذين ازدادت أعدادهم من المسلمين وغير المسلمين في السنوات الأخيرة. وهذه عينات للإصدارات الجديدة حول القرآن:

- الدليل الصغير للقرآن: تأليف لوران لغراتم

.Petit guide du Coran: Laurent Lagartempe

يقع هذا الكتاب في ثلاثمائة صفحة، توزعت حول: مسارات وتاريخية وكلمات ومواضيع ومصادر القرآن الكريم، بالإضافة إلى ملحق يحشر فيه مؤلف هذا الكتاب كل ما توصل إليه واطّلع عليه من شبهات المستشرقين وعلماء اللاهوت الذين اشتغلوا بالقرآن، ويقدمها على أنها مسلمات، ويوردها خالية من كل توثيق، معتبراً أنها كل ما يجب أن يعلمه القارئ مما يتضمنه حقيقة القرآن.

فهم مثلاً في فصل حقائق تاريخية (صفحة 199 ـ 209) يعرف بأعمال اعتبرها مستقلة وعلمية وموضوعية، ينبغي الرجوع إليها والاعتماد عليها.

● نولدكه وشفالى في الجزء الأول والجزء الثاني من كتاب تاريخ القرآن، ج1/ 1901 وج2/ 1919 Noldeke et Schwaly.

● الأب غبريال تيري 1881 ـ 1959 ـ Père Gabriel Thery من موسى إلى محمد De Moise a Mohamed.

● الأب جوزف برتيال Père Joseph Bertuel.

ـ الإسلام والنقد التاريخي L'Islam et la Critique historique.

● الأستاذة باتريسيا كرون Professeur Patrica Crone.

ـ التأسيس للعالم الإسلامي The making of islamic world.

● الأب أنطوان موصلي Père Antoine Moussali.

ـ الصليب والهلال La Croix et le croissant.

ـ اليهودية المسيحية والإسلام Judasme Christianisme et Islam.

ـ دراسات مقارنة Etude comparée.

● إتيان كوفار Etienne Couvert.

ـ أصول الإسلام Origines de l'islam.

● جريجوار فليكس Gregoire Felix.

ـ دور الناصرية في الإسلام Nazareens et le rôle qu'elle a joué dans l'avènement de l'islam

● ماكس كبنوس Max Cababtous.

ـ تأسيس الإسلام La création de l'islam.

● ألفرد لوي دي برمار Alfred Louis de Prémare.

ـ أصول الإسلام Les fondations de L'islam.

ويمكن أن ندرج في هذا السياق الكتاب الذي أصدره فريد إسحاق:

● القرآن دليل استعمال: Farid Esak: Mode d'emploi éd Albin Michel. ووتتجاوز صفحات هذا الكتاب الثلاثمائة متضمنة لمقدمة وفصول تحمل عناوين: القرآن في حياة المسلمين ـ القرآن يدخل العالم ـ القرآن ككلام مكتوب ـ جمع القرآن ـ الرسول والقرآن ـ القدم والخلق ـ فهم تفسير القرآن ـ الإيمان بالقرآن ـ السلوك القويم حسب القرآن.

● مقدمة لقراءة القرآن، لمراد فاهر:

Morad Faher: Introduction à la lecture du Coran.

● تاريخ آيات القرآن، تقديم برونو إتيان Préface du professeur Bruno Etienne يرتب مراد فاهر القرآن ترتيباً جديداً في مائتين وخمسين صفحة، ويتبع ذلك بملاحظات واستنتاجات يحشر فيها نصوصاً أوردها من كتب السيرة والتاريخ ومن التفسير.

● لم نقرأ قط القرآن؟ ليوسف الصديق: Youssef Seddik: Nous n'avons jamais lu le Coran. يعرض المؤلف ـ فيما يقارب الثلاثمائة صفحة ـ لكل ما يعتبره أساسياً مما ظل حسب رأيه مستبعداً من المعطيات التاريخية والاجتماعية داخل الجزيرة العربية وخارجها، والظروف التي واكبت جمع القرآن وتفسيره.

تضاف إلى هذه العينات مجموعة من الإصدارات التي تيسر على هذا النهج الجديد في التعامل مع القرآن وتدوينه، والبعض الآخر يتعلق بالقراءة الجديدة للقرآن ومما صدر في هذا السياق:

● لنصر حامد أبو زيد:

1 ـ مفهوم النص.

● ولمحمد شحرور:

1 ـ الكتاب والقرآن «قراءة معاصرة».

- ولمحمد أركون:

1 ـ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

2 ـ الفكر الإسلامي، قراءة علمية.

3 ـ نقد العقل الإسلامي.

- ولعبد المجيد الشرفي:

1 ـ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

2 ـ الإسلام والحداثة.

- ولوحيد السعفي:

1 ـ العجيب والغريب في كتب التفسير «ابن كثير».

- وللصادق بالعيد:

1 ـ القرآن والتشريع.

- ولألفة يوسف:

1 ـ القرآن وتعدد المعنى.

- ولمحمد الشرفي:

1 ـ الإسلام والحرية «الالتباس التاريخي»

- وللتهامي العبدولي:

1 ـ النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية.

ـ وقد أدت ونوقشت في السنوات الأخيرة أطروحات جامعية حول القرآن الكريم وعلومه وتفسيره، ونذكر منها:

1 ـ صورة القيامة في التفسير، أعدها حسن مرزوقي.

2 ـ الزمان والمكان في قصص القرآن، أعدها محمد محمد الخربي.

3 ـ الفاتحة من خلال أعمال المفسرين القدامى والمحدثين، أعدها فوزي البدوي.

4 ـ أسباب النزول، علم من علوم القرآن، أعدها بسام الجمل.

5 ـ دراسات في إعجاز البيانية في العصر الحديث، أعدها السلامي العماري.

6 ـ تقاطع مبحثي النقد وإعجاز القرآن، أعدتها نورة هذلي.

7 ـ توظيف القرآن والسنة في معالجة مسألة الحكم، أعدها عمر الهمامي.

وكل هذه الأعمال ما هي إلا مجرد عينات لما يزال يصدر تباعاً من مؤلفات وما يعد من أطروحات، تتصل كلها بالقرآن جمعاً وتبويباً ودراسة وتحليلاً، وإعادة قراءة باللغات الأجنبية وباللغة العربية، أقل ما ينبغي القيام به إزاءها هو المواكبة والمتابعة التي تبدأ بالإطلاع عليها وتنتهي بتقويمها وتصحيح ما ينبغي أن يصحح منها، ولا يمكن أن يقوم بهذا الجهد فرد ولا مجموعة، بل لا بد أن تتولاه هيئات ومؤسسات علمية تجعلها أولوية من أولويات عملها.

• • •

ست طبعات جديدة من ترجمات القرآن
إلى اللغة الإسبانية 1994
ميغيل دي إبالثا

أ. د. عبد الله الزيات
الجماهيرية ـ جامعة الفاتح

قال باحث، منذ أكثر من ربع قرن: «وأما النمط الثاني (من ترجمة القرآن) فإنه نمط الترجمات إلى اللغات الأوروبية ويختلف هذا النمط عن النمط السابق بأن الترجمات الأوروبية لم تكن بأيدي المسلمين ولم تكن بهدف تدبر أحكام القرآن، وبالتالي لم تكن روح التقديس والإجلال التي عرفناها في الترجمات الشرقية متوفرة هنا»[1].

جرت العادة في نوع من التكريم، هذا الذي يقام للأستاذ «بيدرو مارينيث مونتابث» أن العمل العلمي الذي يعرض لشخصية ثقافية لا بد وأن يكون مرتبطاً بسبب ما مع الأوساط التي يعمل بها صاحب الشخصية التي يقام لها التكريم، وفي هذه الحال فإن موضوع هذا المقال هو كذلك، أي ذو علاقة وطيدة بما يهتم به الأستاذ المُكَرَّم «مارتينيث مونتابث» فترجمة معاني القرآن الكريم أولاها الأستاذ المكرم اهتماماً، خاصة بإشرافه على أطروحات ممتازة للدكتوراه متعلقة بموضوعات قرآنية، منذ أطروحة «راجي ثامي العجمي» في عام 1971م حتى أطروحة الأستاذ المغربي «محمد برادة» التي نوقشت بعد السابقة بثلاثين عاماً،

(1) محمود الربداوي، دراسات في اللغة والأدب والحضارة، ط.1، مؤسسة الرسالة بيروت 1400هـ ـ 1980م ص91.

وهو نفسه كان قد قبل مني عملين ذوي علاقة بالقرآن، لنشرهما في مجلته «المنارة» المتخصصة في العالم العربي الإسلامي المعاصر[1].

لقد كانت «المنارة» واحدة من المبادئ الجماعية المشتركة في ميدان الاستعراب الإسباني للأستاذ مارتينيث مونتابث، وربما هي واحدة من أهم المطبوعات الطامحة إلى تجديد الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، التي كانت قد وجدت في النصف الثاني من القرن العشرين، انطلاقاً من المعاصرة في كل الميادين، إذا نظرنا إلى ما حدث مع توقعات العقود الثلاثة الماضية.

لقد أعاقت صعوبات اقتصادية وسياسية تلك المحاولة للتجديد الموسع الذي بوشر العمل فيه، ولكن ليشمل أيضاً موضوعات أكثر قدماً، قامت بها فرق أخرى من المستعربين في مجلة «أوراق» التي تصدرها وزارة الخارجية إلى مستقبل مجهول.

إن موضوع القرآن مرتبط مع أعلى درجات المعاصرة التي عشقها دائماً الدكتور «بارتينيث مونتايث»، القرآن في اللغة العربية، كما هو في تراجم معانيه التي جعلت رسالته الاجتماعية الدينية معروفة في لغات أخرى، هو ظاهرة اجتماعية ودينية منذ ما يقرب من ألف ونصف الألف من السنين، ولكنها أيضاً بمعاصرة متعددة وحيوية كبيرة.

ولهذا فإنني كنت قد اخترت أن أقدم دراسة، هي تحليل نصي للاختلافات بين هذه الطبعات الستة المعاصرة لمضامين القرآن الكريم، كما تعود المسلمون أن يسموا ترجمات القرآن (تراجم معاني القرآن) إلى اللغات الأخرى[2]، إنه

---

(1) ميغيل دي إيالثا M. De Epaiza «Una nueva traduccion castillana del Coran» Almenara Madrid 1973 - 239 242y «Dos cuentos tunicinos de tematica socio-relegiosa, Las ventanasy la ilamada a la oracion de alba, de Muhammad Tachuna, Almenara 5 - 6 .1974, 240 - 268

(2) انظر دراسة عن إعجاز القرآن في العربية ـ لكن أيضاً في لغات أخرى كثيرة كما يؤمن المسلمون ـ في الدراسة الثالثة من الدراسات التي أرفقت لطبعتنا القطلونية للقرآن، =

موضوع إسلامي مهم بشكل خاص؛ لأن القرآن نفسه يطرح مشكلة التوازن بين الرسالة السماوية الموجهة إلى كل واحد عبر لغته واللغة الخاصة بالنص الإلهي؛ اللغة العربية التي جاء فيها القرآن بطريقة معجزة وفي شكل فريد.

من جهة أخرى، فإنه يوجد تأكيد عام على أن رسالة القرآن قد جاءت إلى كل الناس الرجال والنساء، كل واحد في لغته، كما أراد الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[1] [إبراهيم: 4]، ولكن من ناحية أخرى فإن خصوصية رسالة محمد ﷺ كانت معلنة في الكتابات المقدسة السابقة له (في الكتب المقدسة لأسلافه) في لغة عربية واضحة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ۝١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 192 ـ 196]، ولهذا فإن النص القرآني لا يمكن أن يكون مقلداً من أحد، لا في العربية ولا في أي ترجمة إنسانية؛ إنه المعجزة الأولى من الله المؤيدة لمحمد كما هو الاعتقاد عند المسلمين: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: 37 و38]، عندما ذهبت لأعمل في هذه الدراسة المقارنة بين الترجمات الإسبانية الستة الأكثر حداثة (أي في ذلك الوقت 2003م) وهو عمل كان في البداية معنوناً بـ«دراسة قصيرة» بدأت أبعاده في الزيادة على ما كان يتوقعه «الأفاضل المنظمون

= التي تناولت إعجاز القرآن، قيمة الترجمة كما يرى علماء الدين المسلمون م. إيالثا: L'Alcorà.. i cinc estudist. Barcelona 2001, 2002 pp. 1047 - 1056 إن العنوان الذي يضعه بعض المسلمين لترجمتهم للقرآن إلى لغات أخرى لذو معنى كبير؛ ذلك لأنهم بهذا العنوان يتجنبون أن أحداً ما يستطيع أن يفكر في أن تلك التراجم هي شيء من القرآن في نصه الأصلي إذ أنها شروحات أو معانٍ لما فهمه بعضهم من القرآن أو هي بالأحرى ترجمة للمعاني فقط، وإن كانوا في بعض الأحيان يضعون في العنوان المكمل «ترجمة» فإنهم يفعلون ذلك ليفهمه الإسباني المقصود بالترجمة، انظر أمثلة وشروحات لدى ميغيل دي إيالثا: O.C. p, 1048.

(1) [وقد كتب المستعرب لفظ الآية في حروف لاتينية كما هو المصطلح الإسباني في النقل إلى العربي ولكنه أخطأ؛ إذا جعل اللفظ لِيُبَيِّنَ: لَيُبَيِّنَ، ولعله خطأ طباعي، المترجم].

لهذا العدد (المخصص من صحيفة المعهد المصري) لتكريم بدرو مارتينيث مونتابث[1]، ومع هذا ظل مختصراً في ثلاث نقاط محددة:

1 - تقديم مراجع ومصادر هذه الترجمات الستة ومعلومات موجزة عن أصحابها وعن دور النشر التي صدرت عنها، وعن بعض ظروف النشر الأخرى.

2 - بعض الانطباعات عن القبول الاجتماعي أو مسيرة هذه التراجم الاسبانية للقرآن في المجتمع وهو ما يشير إلى بعض التجديدات المهمة في المنظر العام المزدحم بالتراجم العديدة للقرآن إلى لغات شبه جزيرة ايبيريا[2].

3 - مقارنة نص قصير من القرآن، أي: السورة الأقصر في القرآن، وهي السورة رقم 108 «سورة الكوثر» في هذه الطبعات الستة يمكن أن يتاح عن طريقها الدراسة المقارنة لمعرفة لطيف ما في هذه الترجمات من مناهج استعملها كل من: خ. ب أرياس Arias، ومحمد برادة المتحدث نفسه مع المساعدين لي من جامعة القنت Alicante وهما: خوسيب فوركاديل Josep Forcadel، وخوان م. بيروخو Joan M. Perujo [3].

---

(1) من ثلاث أستاذات للغة العربية والإسلام بجامعة أوتونما في مدريد، الدكتورات: أووورا كانو، ورروسا مارتينيث ليهو، وكارمن رويث برابو مع المدير الحالي للمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد الدكتور محمد أبو العطا، بمناسبة مرور نصف قرن على هذه المجلة العلمية.

(2) إنها توسعة أو تطويل للدراسات السابقة، لميغيل دي إبالثا Traduccions hispaniques de l'Alcoran en 4 (con la L'Alcoran Traduccio de larab al catala introduccio a la lectural cinc estudis alcoranics colaboracion de Josep Forcadell y Joan M. Perujo) barcelona, 2001, 2002, 1057 - 1083, «Fraducciones del coanal espanol. El Coran (Qur'an, Al Coran) en sus traducciones espanolas desde la Edad Media hasta el presente en Escritura. Individuo y sociedad en Espana y las Americas Simposio en homenaje a las hermanas Luce Lopez-Barralt y Mercedes Lopez-barrals, 19 - 20 de Noviembre de 1998, Universidad de Puerto Rico, en prensa, «Traducciones catalanas del Alcoran» en Joyas escritas. Los fondos bibliograficos arabes de Cataluna. Barcelona. 2002, 101 - 113 .(tambien en los volumenes en catalane ingles)

(3) انظر محمد برادة في عمله المذكور سابقاً، وخوان بابلو أرياس: Traductor confeso y martir مترجم معترف بجنايته وشهيد، ocho versiones del Coran en espanol ثمانية طبعات من =

أولاً: استعراض هذه الطبعات من ناحية المصادر ومن ناحية ظروف أخرى

استمراراً لما سبق، نقدم المعلومات الأساسية في وصف هذه الترجمات الإسبانية للقرآن المطبوعة فيما بين عامي 1994 و2002م متخذين لها الأرقام من 1 إلى 6 لتحديدها والإشارة إليها بهذه الأرقام، وهي ترجمات اسبانية في اللغتين القشتالية والكتلونية، قام بها إسبان وطبعت في إسبانيا. إنها ترجمات مختلفة بعضها عن بعض وهي مختلفة عن الترجمات السابقة، كما سنبين فيما بعد.

الترجمات الأربعة الأولى ترجمات مختصة بالمسلمين؛ قام بها مسلمون وقُصِدَ بها المسلمون بالدرجة الأولى، والترجمتان الأخريان أكاديميتان جامعيتان، واحدة منهما تصحبها ترجمة ودراسات حديثة (وهي التي تحمل الرقم 5) والسادسة يصحبها نص منقول مؤرخ ببدايات القرن السابع عشر (التي تحمل الرقم 6).

إن معلومات النقل يمكن أن يتوسع فيها أكثر بشكل واضح، وهي أيضاً مرتبطة بقيم جديدة كما يحدث بشكل خاص في كل بحث يقام حول المعاصرة، وخاصة عندما يكون المؤلفون والناشرون للترجمات ما زالوا على قيد الحياة، ولم يكونوا هدفاً مباشراً للاستقصاء بسبب هذا البحث، وهو منهج سيعطي ـ بكل تأكيد ـ نتائج جد مهمة[1].

1 ـ **القرآن**: ترجمة أدبية وشروحات، بقلم ألبرو ماتشوردوم مدريد 1980، وترجمة جزئية بلنسية 1995، وبلنسية 2000، 604 صفحات.

= القرآن في اللغة الاسبانية وذلك في Esther Morillas وانظر ايضاً ك خ.ب. أرياس El papel del traductyor, Salamanca 1997 Arias 371 - 386 وانظر أيضاً: ميغيل دي إبالثا «Epaiza Traducciones del Coran al espanol». وهو عمل مشار إليه سابقاً، وهو عمل في الصحف السيارة، خاصة الطبعة الأولى من القرآن، وبصفة أخص الصفحات 1083 ـ 1094.

(1) على أن أشكر ملاحظات مهمة حول بعض المترجمين وبعض الترجمات الحديثة للقرآن، يعود الفضل فيها إلى المستعرب والمختص في الدراسات الإسلامية، المكون في جامعة الكميلوتنسي بمدرير «ريكاردو فيليبي ألبرت ريناس».

ولد المترجم في «الماثورا» بكاستيّون عام 1923م إنه مدير جمعية الجالية الإسلامية في إسبانيا، وهو تاجر وصحافي، ومؤلف لعدة كتب ذات موضوعات دينية وتاريخية إسلامية معاصرة، يمثل الجيل الأول من الجمهوريين المسلمين المبعدين (إلى أمريكا اللاتينية والاتحاد السوفييتي ومصر، مثل الكاتب «توماس باريوس» من المبشرين. والكتاب في اللغة الاسبانية في عهد (الطاغية) فرانكو.

2 ـ **القرآن**: ترجمة وتفسير بقلم «عبد الغني» (ميلارا نابيو)، غرناطة دار النشر الكُتُبية، 1994، 577 صفحة. و«بالما دي ميورقة»، منشورات نور الدين 1998ن، 599 صفحة ط. المدينة المنورة، وزارة الشؤون الإسلامية 1417هـ ـ 1997م باللغتين (العربية والقشتالية).

ولد المترجم في «بويرتو يّانو» بثيوداد ريال (قلعة بني سعيد) عام 1957م وهو مقيم في غرناطة، وهو عضو في جمعية الجالية الإسلامية في إسبانيا المرتبطة بالمؤسسات الرسمية في المملكة العربية السعودية، حيث درس المعنى بعد إنهاء دراسته في جامعة غرناطة، ولقد ساعدته هذه الجمعية (جمعية المرابطين) في أبحاثه ومطبوعاته المنشورة، وخاصة هذه الترجمة للقرآن التي نحن بصدد الحديث عنها التي نجده يزجي فيها شكره إلى مسلمين إسبان من جيله أستاذ اللغة الاسبانية في كليات فقه اللغة وعلوم المعلوماتية في جامعة القطر الباسكي الدكتور «إنريكي عبد البصير أُخمبارِّينا غويثيريثيلايا» Inrique Abd Albasir Ojembarrena Goiricelaya وزوجته المتقنة للعربية والقرآن «نعيمة القزويني» ورفيقه في المدينة «سعيد ثيوداد» وغيرهم. الطبعة الثالثة من ترجمته المنقحة كما هو الشأن في طبعاته السابقة في إسبانيا، طبعها لغتين؛ النص القرآني في الحرف العربي والترجمة الاسبانية، في المطبعة السعودية الرسمية التي تختص بمطبوعات القرآن بالمدينة المنورة.

3 ـ **رسالة القرآن**: لمحمد أسد، وهي ترجمة وشروحات، ترجمت عن اللغة الإنجليزية. مع معرفة بالعربية والإسلام بقرطبة، قام بهذه الترجمة «عبد الرزاق بيريث»، المدوبر دلريو، المجلس الإسلامي، مركز التوثيق والمنشورات

الإسلامية 2001م، 28 + 975 + 50 صفحة، ولكنها لم توزع حتى عام 2002 ـ 2003.

المترجم الأصلي محمد أسد (ت: 1992م)[1]، مسلم من أصل نمساوي، وقد درس الإسلام لوقت طويل في المملكة العربية السعودية، وقام بهذه الترجمة إلى اللغة الإنجليزية، مع هوامش غنية وشروحات عديدة للنص القرآني، من منظور تاريخي توحيدي وشرعي وروحي[2]، والترجمة الإسبانية لكتابه عن القرآن قام بها المسلم الإسباني «إميليو عبد الرزاق بيريث» بعلاقاته مع الجمعية الإسلامية أو المجلس الإسلامي الذي تتبعه أيضاً مجلة الإسلام الأخضر (التي بدأت في عام 1995م) سواء في شكلها المطبوع على الورق أم في شكلها على شبكة الإنترنت، حيث تنتشر بعض المقاطع من ترجمة محمد أسد لمعاني القرآن[3]، وهذه المنشورات تمثل جزءاً من نشاط المركز الإسلامي في قرية المدوير دل ريو (قرطبة).

4 ـ القرآن: ترجمة وتفسير، لعبد الرحمن محمد معنان، إشبيلية، مطبعة الجمعية الثقافية زاوية 2002، 114 + 128 + 125 + 139 صفحة.

صاحب هذا العمل مسلم إسباني من أصل إمليلي، قيم بشكل اعتيادي في إشبيلية وهو على علاقة مع الجمعية الإسلامية في إشبيلية. وهذه الطبعة مجزأة إلى أربعة مجلدات، تشمل السور القصار من القرآن، أي: الجزء الأخير.

هو أستاذ ديني إسلامي ولتفسيره حضور تربوي، ولا شيء فيه ما اتساع

---

(1) الصواب أنه توفي عام 1952، فلعله خطأ طباعي.

(2) لقد تُرجمت أعمال أخرى لهذا العالم المسلم الأوروبي إلى اللغة القشتالية، ومن بينها روح الإسلام، ط. الجمعية الإسلامية في إسبانيا، مدريد 1983م. والإسلام على مفترق الطرق، فيونخيرولة 1995م.

(3) ويا للعجب، فقد نشر في عام 2002م ترجمة وشرح للسورة رقم 108 [التي ستحلل في هذا البحث] من عمل محمد أسد (ت 1992م) (كذا) مترجمة من قبل «بيريث» ومشروحة من قبل مترجم آخر للقرآن إلى اللغة الإسبانية «عبد الرحمن محمد معنان»، انظر سورة الكوثر، الآية: 108، تفسير.. الإسلام الأخضر، المدوير 6/ 18 76 ـ 82/ 2000م.

العلم، بالرغم من أن مؤلفه يمارس النشاط التعليمي المؤسس على المصادر الأساسية في علوم القرآن، وقد كانت له أيضاً علاقة أيديولوجية وسياسية مع الكاتب الإسباني السياسي صاحب الإتجاه الأندلسي «أنتونيو عبد الرحمن مدينة»، وكذلك مع مفسر القرآن إلى اللغة الاسبانية «عبد المؤمن آية» الذي يتفق معه في بعض ما يعرضه في تفسير القرآن، وكان «محمد معنان» يتصدر في إسبانيا فريقاً نوعياً مهما يكونه مسلمون إسبان من أصل مغربي، وهو ـ إن لم يكن يتمتع بمستوى جامعي ـ نجده يشار إليه عند كتاب إسبان من أصل مغربي ممن يتحدثون اللغتين العربية والإسبانية، مثل «محمد شكور» و«عبد الرحمن شريف الترغي»[1].

5 ـ **القرآن**: ترجمة إلى اللغة الكتلونية، مدخل إلى قراءة القرآن مع خمس دراسات قرآنية، بقلم «ميكيل دي إبالثا» بالتعاون مع «خوسيب فوريكاديل»، و«خوان م. بيروخو»، ط. دار بروسا Prosa برشلونة، 2001 ـ 2002م، 1277 صفحة.

«ميكيل دي إبالثا فيرير» مولود في مدينة «باو» بفرنسا وهو إسباني الجنسية، كتب ونشر دراسات عديدة حول موضوعات دينية مسيحية وإسلامية، وحول العلاقات الإسلامية المسيحية التاريخية والمذهبية ويشرح هذه المسائل في كتابه: مصادر ومراجع إسبانية عن الجزيرة العربية ومحمد والقرآن (يقع في 994 صفحة).

هو أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامع «أليكانتي» أي «القنت» (في شرق إسبانيا) وقد ذكر أنه عمل هذه الترجمة بمساعدة أستاذين للغة الكتلونية متخصصين في الترجمة بجامعة «القنت» وهما: «خوسيب فورّا كارّيل» مجاز في التاريخ واللغة الكتلونية، وموظف كبير في الشؤون الثقافية بمقاطعة بلنسية.

---

(1) هو دكتور في علوم التربية ومترجم، وهو أيضاً كاتب في الدراسات القرآنية، وموضوع أطروحته للدكتوراه: الأيديولوجية الإسلامية، البعد التربوي النفسي، طباعة المعهد العربي الإسباني للثقافة مدريد 1977م.

و«خوان م. بيروهخو». مجاز في اللغة الكتلونية، وأستاذ للترجمة الأدبية إلى هذه اللغة، وهو ينجز أطروحة للدكتوراه فيها.

لقد استغرقت الترجمة خمس سنوات عمل خلالها هؤلاء الثلاثة على إعداد عمل يشتمل على شرح طريقتهم في العمل، وقد أرادوا أن تكون هذه الترجمة من العربية إلى الكتلونية مباشرة، وأن تكون أدبية ودينية، كاملة وواضحة ميسرة على القراء الكتلان.

ويبرز هؤلاء المترجمون منهجهم في الترجمة في الدراسة الخامسة من الدراسات التي تصحب ترجمة معاني القرآني، ولقد استحق عملهم هذا جائزة أحسن كتاب مترجم إلى اللغة الكتلونية (وهي جائزة منحتها بلدية برشلونة عام 2002م) كما استحق هذا العمل الجائزة الوطنية لأحسن كتاب مترجم إلى لغة من لغات إسبانيا لعام 2002م، الممنوحة من وزارة الثقافة. وتمثل هذه الترجمة الاهتمام الجامعي والتعريف بما سماه المفكر المسلم الجزائري «مالك بن نبي» «الظاهرة القرآنية» مع بعض التجديدات المنهجية المهمة.

6 ـ القرآن: مخطوط موريسكي، يرجع إلى العام 1606م، وهو ترجمة للقرآن قام بها موريسكي مجهول بتقديم لـ«خوان بيرنيت خينيس»، نقله إلى الحرف اللاتيني «لويس روكي فيغولس»، ط. الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة ببرشلونة والجامعة الوطنية للدراسة على بعد «سيبريس مايور» 2001م، 413 صفحة.

النص المخطوط باللغة القشتالية والحروف اللاتينية مؤرخ بعام 1606م كان بمكتبة محافظة طليطلة. وقد درسه بعض الباحثين وخاصة الهولندي «خيرارد ويخيرس» Gerard Wiegers والأمريكية «كونسويلو لويث موريباس» Consuelo Lopez Morallis المختصة في ترجمات المدجنين والموريسك للقرآن، وهم المسلمون الذين كانوا يعيشون في المجتمعات المسيحية في شبه جزيرة إيبيريا، وهي تعد طبعة علمية لغوية لهذا المخطوط الطليطلي منذ سنوات. والطبعة الحالية هي نقل حرف كامل للمخطوط، قام به «لويس روكي فيغولس» Louis Roque Figuls مع تقديم موجز لـ«خوان بيرنيت» أستاذ اللغة العربية المتقاعد في

جامعة برشلونة، وواضع عدة ترجمات للقرآن إلى اللغة القشتالية، ذات انتشار كبير منذ عام 1953م، وهو مشرف على أعمال جامعية كثيرة في ترجمة القرآن قام بها المدجنون والموريسكيون. والفرق الكبير والرئيس بين هذا النص والأجزاء الأخرى التي درست من قبل، إن هذا العمل ليس جزئياً، وإنما هو النص القرآني كاملاً، كتب في اللغة القشتالية بحروف لاتينية، وليس مزدوج اللغة بحرف عربي، وهو الخاميادو كما هو الشأن في المخطوطات التي درسها «لوبث موررياس»، كما أن أصل هذا المخطوط من حيث كاتبه والموجه إليه أو المخصص باسمه، يعرض أنواعاً عديدة من الخطوط أو شفرات الخطوط، حاول الباحثان غير الإسبانيين اللذين أشرنا إليهما سابقاً أن يحلاها، لكنهما لم يحرزا نجاحاً مهمًّا حتى الآن.

إن المجهول الذي قام بهذه الترجمة ليعد ـ لمجهوده اللغوي الذي اتضح فيها ـ واحداً من أكثر الكتاب أهمية، الذين يمثلون المسلمين الإسبان في تلك المجتمعات الإسبانية القروسطية (في القرون الوسطى) والحديثة. وقد كان هؤلاء الكتاب منحدرين من الأندلسيين المتحدثين بالعربية، ولكنهم كانوا يندمجون لغوياً من خلال طرق عديدة بالمجتمعات المتحدة بالإسبانية.

وتمثل هذه الطبعة أيضاً مجهود بعض الباحثين المتخصصين من الإسبان وغيرهم، منذ القرن التاسع عشر، لدراستهم هذا الجانب المتعلق بالآداب الإسبانية والترجمات الإسلامية[1].

ثانياً: بعض الانعكاسات حول الانتشار الاجتماعي لهذه الطبعات من الترجمات الإسبانية للقرآن

هذه الطبعات الست من ترجمات القرآن من العربية إلى اللغات الإسبانية المختلفة (قشتالية القرن العشرين والحادي والعشرين، وقشتالية بداية القرن

---

(1) انظر لويس فرناندو بيرنابي Luis Fernando bernabc Pons, Bibliografia de la Literatura aljamioda morisca. Alicante, 1992, 2ed, may ampliada en pereparacion مصادر ومراجع الأدب الخاميادو الموريسكي.

السادس عشر، إذا كانت الترجمة حقاً تنتمي إلى عام 1606م كما يذكر في المخطوط الطليطلي، وليست قبل هذا التاريخ، وإلى الكتلونية الحديثة) فهي تكمل السلسلة الواسعة للترجمات المعروفة إلى اللغات الإسبانية، منذ القرن الثاني عشر حتى القرن الحادي والعشرين، ولكنها تمثل بعد التحديدات بالمقارنة مع الترجمات الإسبانية للنص المقدس في الإسلام في العهود السابقة.

1 ـ أول هذه التجديدات أن الخمس تراجم الإسبانية المرقمة من 1 إلى 4 والترجمة رقم 6 قام بها مسلمون إسبان، ومن قبل كان المسلمون يعملون متعاونين أو معاونين للمترجمين الأساسيين، عندما كان يقوم بالترجمة مسلمون من أمريكا (الأرجنتين، المكسيك، الولايات المتحدة) ومن المملكة المتحدة، ومن المنضوين في مجتمعات إسلامية غير عربية ينتشر فيها القرآن، مثل باكستان[1]. وبالنسبة للبرتغالية كان المترجمون أكثر تنوعاً بين مسلمين برتغاليين ومسلمين من البرازيل ومن موزمبيق[2].

والترجمة الوحيدة المحتفظ بها في اللغة الكتلونة، والمطبوعة مجزأة، وهي ترجمة عن اللغة الإنجليزية قامت بها فرقة الأحمدية، وهي جماعة تعتبر نفسها مسلمة، وإن لم يعترف بها المسلمون[3]. وفي إسبانيا لم يوجد قبل تلك الآونة بكل تأكيد تراجم للقرآن الكريم قام بها مسلمون أصالة أو معتنقون للإسلام أو مسلمون من أصل غير إسباني، وذلك بسبب قلة عدد المسلمين في البلاد آنذاك.

أما الآن فإن هذه التراجم الخمس التي قام بها مسلمون إسبان تمثل جوانب مختلفة جداً فيما بين المؤمنين بالإسلام في المجتمع الإسباني:

---

(1) انظر ترجمات رحال بيرالتا 1945م، ط. بوينس أيرس، إلى اللغة القشتالية، واضعها «عبود» في عام 1953م. وفي بلتفورغ في بوينس أيرس أيضاً الفريق الذي يقوده فاروقي 1986م في المكسيك، ولاهور في باكستان، وكاريهو عطاء الله 1988م بالمملكة المتحدة و«هلاك» أو «حلاك» 1998م في الولايات المتحدة، طبقاً للمعلومات المجموعة في الموضوع لدى «ميقيل إيالثا»: القرآن وخمس دراسات، ص1080، 1081.

(2) المرجع السابق، ص1075 ـ 1076.

(3) المرجع السابق، ص1072 ـ 1073.

فأحدهم جمهوري بلنسي في المنفى وهو صحفي وكاتب، وثانيهم أستاذ جامعي؛ حصَّل دراساته الجامعية في غرناطة والعربية السعودية، وثالثهم ظروفه مشابهة لسابقيه، غير أن تكوينه الثقافي لم يستمر لفترة طويلة، وهو يترجم عن ترجمة مسلم أوروبي آخر نمساوي الأصل وعَلَّمَ في العلوم الأوروبية والعربية، ورابعهم هو من مدينة إمليلة، وله أصل مغربي، وخامسهم «موريسكي مدجن» أندلسي مندمج في المجتمع المسيحي، مجتمع عصر النهضة الأوروبية، ومجتمع العصر الذهبي في الأدب الإسباني. وكل هذه الأصول الاجتماعية لهؤلاء المترجمين تركت بصمتها على الإطار العام للترجمات الإسبانية للقرآن. وكان لهؤلاء علاقات علمية وثقافية وطيدة مع زملائهم المترجمين من غير المسلمين.

الترجمة إلى اللغة الكتلونية تكتسب أصالتها وشهرتها من الترجمة الجماعية التي قام بها المستعربون المترجمون للقرآن. وهذه الأصالة والشهرة لا ترجع فقط إلى القيام بالترجمة إلى لغة جديدة هي «الكتلونية» التي لم تعرض محاولات الترجمة في القرون الوسطى والحديثة، وإنما لأن المترجمين قاموا بها مجتمعين في فريق من الاختصاصيين يعرف كيفية ممارسة اختصاصه[1].

إنها طريقة جديدة في المشهد العام لترجمات القرآن إلى اللغات الإسبانية، كما أن الجديد في هذه الترجمات أن يقوم بها مترجمون في منتصف القرن العشرين اعتماداً على لغة وسيطة بين الأصل العربي والترجمة إلى هذه اللغات، وكان ذلك نهج المترجمين في القرون الوسطى في شبه جزيرة إيبيريا (من اللاتينية والفرنسية والإنجليزية) ومن الواضح أن الذين يترجمون من العربية

---

(1) نعد نحن الثلاثة بعض المنشورات التي تشرح كيف كان عملنا في النص وكيف وجدنا نحن مجتمعين أحسن المناهج التي تجعل قارئ اللغة الكتلونية يستطيع أن يفهم القرآن فهماً أحسن على مستويات عديدة (صرفية نحوية، وأسلوبية، وكتابية وخطية، وعلى مستوى أسماء الأعلام، وتواتر الرواية).

مباشرة لم يتخلوا عن استعمال الترجمات التي توجد في لغات أخرى ويرون أنها الأحسن، فكانوا يستعملون لغة ثالثة أو ترجمة ثالثة، بالإضافة إلى المراجع المساعدة، مثل المعاجم والتفاسير والموسوعات، الحديثة والقديمة.

يوجد أيضاً اتجاه معاصر يمثل تطلعات جديدة في مجال ترجمات القرآن، لتلبية الحاجة إلى التكوين الديني الإسلامي للمسلمين من متكلمي اللغة الاسبانية، وهم المعتنقون الجدد للإسلام. وتهدف هذه التطلعات إلى تقديم الترجمة في إطار تعليمي وصحافي (1)، بطريقة مدرسية (4)، وبطريقة حضارية مهذبة (2) وبطريقة تنم عن علم غزير (3)، بتبسيط وإثراء الأدوات الإعلامية التي يمتلكها متحدثو الاسبانية، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.

● ● ●

«تيودور نولدكه» وتـــاريـخ القـــرآن

د. الصديق بشير نصر
الجماهيرية ـ كلية الدعوة الإسلامية

يُعد كتاب «تاريخ القرآن» Geschichte des Qorans لـ«تيودور نولدكه» من أكثر الكتب تأثيراً في فكر المستشرقين المهتمين بتاريخ القرآن.

وكلّ مَن جاء بعده تأثّر به وبنتائجه، حتى اعتبر ذلك الكتاب إنجيلاً للمستشرقين في الدراسات القرآنية، ولم يقتصر ذلك التأثير على المستشرقين من بعد نولدكه فحسب، بل تعداهم إلى بعض الكُتاب المسلمين.

• • •

لأول مرة في اللغة العربية تاريخ القرآن ـ تيودور نودلكه

تاريخ القرآن لتيودور نولدكه Theodor Noldeke، من أهم الكتب التي ألّفها المستشرقون في القرآن. ولقد تأخرت ترجمته إلى العربية كثيراً، وها هو ذا يصدر أخيراً بعد طول انتظار. وقد قام بترجمته إلى العربية عن الألمانية الأستاذ «جورج تامر» بمعاونة نخبة من الأساتذة، وهم: السيدة عبلة معلوف تامر، والدكتور خير الدين عبد الهادي، والدكتور نيقولا مراد. وقد طبعت هذه الترجمة ببيروت عن مؤسسة كونراد ـ أدناور Konrad Adenauer في سنة 2004م، ويبدو أنها لم توزع أو يُعلن عنها إلاَّ هذا العام.

والكتاب يُصدر في إطار التعاون العلمي الألماني ـ العربي، كما صرّح بذلك البروفيسور «برنهارد فوغل» رئيس مؤسسة كونراد، في تصديره للطبعة العربية.

ظهور كتاب تاريخ القرآن في اللغة العربية بعد صدور أول طبعة له في لغته الأصلية سنة 1860م أي بعد نحو قرن ونصف، يُعَد حدثاً ثقافياً كبيراً

ترجمة الكتاب إلى العربية هي بمثابة إماطة اللثام عن هذا الأثر المخفي الذي ظل حبيساً في لغته الأصل، يسطو عليه الباحثون من الشرق والغرب. وبالرغم من أن ترجمة الكتاب جاءت ركيكة، وسقيمة في بعض المواضع التي لا تفوت على القارئ المحترف، إلا أنها تسدي خدمة عظيمة، أقلها تقديم هذا النص للباحثين المتخصصين من المسلمين ليقولوا قولتهم فيه، وهل حقاً ما جاء فيه يهزّ عرش الدراسات التقليدية في المعاهد العربية والإسلامية، أم أنّ ذلك لا يعدو أن يكون افتياتاً على الحقيقة.

- الجزء الأول (في أصل القرآن):
  - نبوة محمد والوحي.
  - ترتيب السور القرآنية.
  - ما لا يتضمنه القرآن من الوحي.

- الجزء الثاني (جمع القرآن):
  - التدوين وحفاظ الوحي.
  - المصاحف ونسخ القرآن.
  - المصحف العثماني.

• الجزء الثالث (تاريخ نص القرآن):

- الرسم القرآني.
- القراء واختلاف القراءات.
- مخطوطات القرآن.

• • •

مسألة الوحي واضطراب نولدكه فيها

مسألة الوحي من أكثر المسائل اضطراباً في كتاب نولدكه، فتارة يصدّق بالوحي وتارة ينفيه.

في الأسطر الأولى من الفصل الأول من كتاب «تاريخ القرآن» والذي يحمل عنواناً هو نبوءة محمد والوحي يُعرّف فيه نولدكه الوحي، فيقول:

«جوهر النبي يقوم على تشبّع روحه من فكرة دينية ما تسيطر عليه أخيراً، فيتراءى له أنه مدفوع بقوّة إلهية ليُبَلِّغَ مَنْ حَوله مِنَ النّاس تلك الفكرة على أنها حقيقة آتية من الله».

وهذا إنكارٌ للوحي صريح، يجري فيه نولدكه مجرى غيره من المستشرقين، ويعني ذلك أنه يتعامل مع الوحي باعتباره حالة مَرَضيّة تستبدّ بصاحبها فيخيّل إليه أنه يتصل بقوى علويّة تملي عليه ما يصدر عنه من قولٍ أو فعلٍ.

ثمّ يعود فيقرّر اعترافه بنبوّة محمّد، فيقول:

«لا بدّ لنا من الاعتراف بأن محمداً كان بالحقيقة نبياً إذا محّصنا شخصيته بتجرّد وتمعّنٍ وفهمنا النبوّة فهماً صحيحاً».

وهذا التضارب في الظاهر لا يُفسَّر إلا بشيء واحد، وهو أنّ النبوّة غير الوحي عند نولدكه، وأنّ النبوة حالة بشرية يمكن أن يتلبس بها المرء.

ويزعم نولدكه أن هذا الذي يُسميه محمد ﷺ وحياً تنزّل عليه بتعاليم، لا يمكن نفي جميعه عنه ونسبته إلى التعاليم اليهودية والمسيحية، «وإن كان صحيحاً أن أفضل ما في الإسلام نشأ على هذا المنوال».

ثم يعود فينتزع عنه حتى النبوّة بمفهومها لديه، فيقول:

«إنّ محمداً حمل طويلاً في وحدته ما تلقاه عن الغرباء، وجعل يتفاعل وتفكيره، ثم أعاد صياغته بحسب فكره، حتى أجبره أخيراً الصوت الداخلي الحازم على أن يَبْرُز لبني قومه، رغم الخطر والسخرية اللذين تعرّض لهما، ليدعوهم إلى الإيمان».

«غير أن روح محمد كان يشوبه نقْصان كبيران يؤثران على سموّه. فإذا كانت النبوّة بالإجمال تصدر عن المخيلة المنفعلة وموحيات الشعور المباشرة أكثر مما تصدر من العقل النظري. فإن محمداً كان يفتقر إلى هذا بشكل خاص. ففيما كان يتمتع بذكاء عملي كبير، لم يكن له من دونه أن ينتصر على كل أعدائه، أعوزته القدرة على التجريد المنطقي إعوازاً شبه تام. لهذا السبب اعتبر ما حرّك نفسه أمراً موحى به، مُنزّلاً من السماء، ولم يختبر اعتقاده إطلاقاً، بل اتبع الغريزة التي كانت تدفع به تارة إلى هنا وطوراً إلى هناك، ذلك أنه اعتبر هذه الغريزة صوت الله الذي أتاه. وهذا ما يُنتجُ الفهم الحرفيّ الظاهر للوحي الذي يقوم عليه الإسلام».

وأراد نولدكه أن يجرّد النبي ﷺ حتى من قيمة خياله المزعوم، فنسب ذلك إلى التعاليم اليهودية؛ لأنه لم يقو على الاعتراف بأن تلك التعاليم التي جاء بها تمثل مستوى رفيعاً من الفكر، وإن لم يكن وحياً.

يقول نولدكه:

«إنّ المصدر الرئيس للوحي الذي نُزّل على النبي حرفيًا، بحسب إيمان

المسلمين البسيط، وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية. وتعاليم محمد في جلّها تنطوي في أقدم السور على ما يشير بلا لبس إلى مصدرها. لهذا لا لزوم للتحليل لنكتشف أن أكثر قصص الأنبياء في القرآن، لا، بل الكثير من التعاليم والفروض، هي ذات أصل يهودي».

مسألة أمّية النبي:

انشغل المستشرقون ـ في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين ـ بمسألة أمية النبي، واختلفوا في ذلك اختلافاً كبيراً. ومن هؤلاء من سبق نولدكه، ومنهم من جاء بعده.

وممن قالوا بأنّ محمداً ﷺ كان يقرأ ويكتب:

ـ م. تورين: تاريخ حياة محمد.

- M. Turpin, Histoire de la vie de Mahomet, 1, p.285 - 288.

ـ أ. شبرنجر: حياة محمد.

- A. Sprenger, Lehre de Mohammed, II, s. 398 - 402.

ـ ج. فايل: تاريخ تدوين القرآن.

- G. Wiel, Hist. Krit. In d. Korad, 2 auf. s. 93, Anm1.

ـ هـ. هرشفلد: العناصر اليهودية في القرآن.

- H. Herschfeld, Judische elemente in Koran, s.22.

وممن قالوا بأنّ محمداً ﷺ لم يكن يقرأ ويكتب:

ـ م. بريدو: حياة محمد.

- M. Prideaux, La vie de Mahomet, p. 43.

ـ س. أوكلي: تاريخ العرب/ حياة محمد.

- S. Ockley, The history of the Saracens/The Life of Mahomet, p.11.

ـ س. ف. جيروك: أثر النصرانية في القرآن.

C.F. Gerock, Vers. e. Darst. d. Christologie des Koran s.9.

ـ ج.م. آرنولد: الإسلام.

- J.M. Arnold, The Islam, S.230.

ولم يفت نولدكه أن يتكلّم في مسألة أمية النبي، وعرض آراء المثبتين والنافين لها، ولكنه لم يَنْحَزْ إلى أي اتجاه منهما، بل ذهب إلى أن:

«الأسباب التي يسوقها كلا الطرفين أسباب وهميّة، وأنّ المعلومات التي تفيد بأن محمداً كان يستطيع الكتابة قليلاً وبشكل سيئ، هي أيضاً ذات قيمة ضئيلة».

وقد خلط نولدكه في المسألة خلطاً شديداً، فتارة يميل ضمناً إلى هذا الرأي، وتارة إلى ذاك، وينتهي إلى أن لفظة (الأمي) التي وُصِفَ بها النبي ﷺ لا تعني الجاهل بالقراءة والكتابة، ولكنها تعني مَن ليس له كتاب منزّل، فالأميّة تعني إذاً نقيض أهل الكتاب».

يقول نولدكه: «إذا تفحصنا كلّ الآيات القرآنية التي ترد فيها كلمة «أمي» وجدنا أنها تعني في كل الحالات نقيض «أهل الكتاب»، وهذا يفيد أن المراد بالكلمة ليس عكس القادرين على الكتابة، بل عكس من يعرفون الكتاب المقدّس».

ويقول أيضاً: «ولا يُستَبعدُ أن يحوز رجل، وُجِدَ في محيطه القريب عشراتٌ من الرجال الذين استطاعوا القراءة والكتابة، ما يحتاجه من هذه الصنعة، ليس فقط بوصفه تاجراً، بل أيضاً بسبب اهتمامه بكتب اليهود والمسيحيين المقدسة التي سعى إلى أن يتعمّق بها معرفةً».

وهذا الكلام يعني أن نولدكه يرى أن محمداً ﷺ كان يعرف القراءة، وإلا فما جدوى اهتمامه بكتب اليهود والنصارى.

ثم يرجع من جديد، عقب ذلك مباشرة، ليسلّم بأن محمداً ﷺ لم يقرأ الكتاب المقدّس، فيقول:

«لكننا إذ نفتقر إلى أية معلومات وثيقة، علينا أن نكتفي بالنتائج التالية، وهي بالطبع في غاية الأهمية:

أولاً: أن محمداً نفسه لم يشأ أن يُعتبر عارفاً بالقراءة والكتابة، ولهذا السبب أَوْكَلَ إلى آخرين كتابة القرآن ورسائله.

ثانياً: إنه لم يقرأ بتاتاً الكتاب المقدّس أو آثاراً أخرى مهمة».

● ● ●

الجزء الأول (في أصل القرآن):

نبوة محمد والوحي ـ ترتيب السور القرآنية ـ ما لا يتضمنه القرآن من الوحي.

● **ما لا يتضمنه القرآن من الوحي:**

وهنا يدور المؤلف حول الآيات المنسوخة باعتبارها في نظره وحياً غير مدّون. ولم يقم المؤلف بشيء يذكر في هذا المبحث، إلا أنه ذكّرنا بالآيات المنسوخة التي تحدث عنها المسلمون أنفسهم في مؤلفاتهم، مثل: كتاب المصاحف للسجستاني، والمباني لمؤلف مجهول، والإتقان للسيوطي[1].

---

(1) كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني، وكتاب المباني لمؤلف مجهول، والكتابان قام بتحقيقهما آرثر جفري بعد زمن من صدور تاريخ القرآن، وهما مصدراً ما جاء في هذا الفصل. و«السجستاني» صاحب كتاب المصاحف ليس هو صاحب السنن «أبو داود سليمان بن الأشعث» كما توهم.

وهذا الموضوع أشبعه المسلمون بحثاً. وهو يعتبر مدخلاً لجميع أعداء القرآن للتشكيك فيه بدعوى نقصانه وتحريفه.

الجزء الثاني (جمع القرآن):

التدوين وحفاظ الوحي ـ المصاحف ونسخ القرآن ـ المصحف العثماني.

* في الجزء الثاني عالج المؤلف موضوع جمع القرآن، وثلاثة أرباع ما جاء فيه من معلومات عن جمع القرآن وتدوينه مُستلّ من كتب المسلمين. وقد أثار ذلك اهتمام المستشرقين من بعده حتى ظنوا أنه قد اكتشف شيئاً جديداً، في الوقت الذي كانت فيه المصادر التي اعتمد عليها مخطوطة، وليست في متناول الباحثين. ولمّا طُبعت تلك الآثار بات الأمر مكشوفاً، وصار الرجوع إليها باعتبارها أصلاً أولى من الرجوع إلى الناقلين عنها، لما قد يخالط النقل من تشويه وتحريف وسوء فهم، لا سيما إذا كان الناقلون عنها ليسوا من أهل لغتها.

هذا الجزء فيه خلل من ناحية الصنعة، حيث خلط المؤلف بين الموضوع الأساس الذي جعله عنواناً، والذي ينبغي أن يقتصر بحثه عليه وهو «جمع القرآن»، ومباحث أخرى ليست وثيقة الصلة بالموضوع، كالبحث الذي يحمل عنوان «القرآن المحمدي في صلته بالكتب المقدّسة المسيحية ـ اليهودية»، وفيه يكرر مسألة اطلاع محمد ﷺ على الكتب اليهودية ـ المسيحية، ويزعم هذه المرّة أنّ اطلاعه كان اطلاعاً جيّداً، وأنه اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنه نادراً ما توجد فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما. ومن ذلك أيضاً كلامه عن تفاسير القرآن، والأحاديث النبوية، نقد الأسانيد والمتون، والكلام عن كتب السنن الستة، وأحاديث أسباب النزول، مما لا علاقة له مباشرة بجمع القرآن.

لم يكن نولدكه مرتاحاً لنتائج بحوثه في تاريخ القرآن، وربما هذا هو السبب في إحجامه عن إعادة طبع كتابه، فأوكل ذلك لتلميذه «شفالي».

وقد كتب في رسالة رداً على ناشر يريد إعادة نشر كتابه:

(. . فرفضت أنا لأسباب عديدة، وذلك لأنه لم يكن في استطاعتي أن أعيد نشر هذا الكتاب في ثوبه الجديد الذي قد يرضيني. . أقول إلى حد ما ذلك لأن آثار تهور الشباب لا يمكن محوها جميعها إلا بإعادة تأليف كتاب جديد. وكثير من المسائل التي كنت أعتقد قليلاً أو كثيراً بصحتها تبين لي فيما بعد أنها غير مؤكدة. .).

• • •

عرض ودراسة نقدية
لكتاب جورج بوش الجد

أ.د. جعفر عبد السلام
أستاذ القانون الدولي ـ الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ـ مصر

تمهيد:

إنه لأمر مستحسن أن تعقد كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية الليبية الشقيقة الندوة المهمة عن القراءة الغربية للقرآن الكريم، فهي قضية مهمة، خاصة في الوقت الحاضر، الذي تتداعى فيه الأمم على الإسلام والمسلمين بشدة، في موجات متلاحقة، كما تنبأ بذلك الرسول محمد ﷺ، في الحديث الشريف، وتنبأ لنا فيه كذلك بأننا سنكون كثرة في العدد، ولكن غثاء كغثاء السيل. ومطلوب منا أن نعلم أمر ديننا؛ لتغيير هذا الحال إلى حال آخر. ولكي نأخذ بأسباب التقدم الذي يقتضي الاستحواذ على عناصر القوة.

ولهذا اخترت كتاب «جورج بوش الجد»؛ لأنه مهم من الزاوية التي تهتم بها هذه الندوة، زاوية القراءة الغربية للقرآن الكريم، حيث قام الكاتب بدراسة القرآن الكريم، لكن هذه الدراسة ـ للأسف ـ لم تعتمد على قراءة نصوص القرآن أو التفسيرات الصحيحة له، بل اعتمدت على التفسيرات والمصادر الغربية المغرضة، التي أولاها المستشرقون عنايتهم. وهذه القضية في غاية الأهمية، فهي تظهر عجزنا عن توصيل التفسيرات الصحيحة لكتابنا المقدس «القرآن الكريم» إلى الآخر.

وعندما ذهبت في وفد وجهته وزارتا الأوقاف والخارجية المصريتان إلى الغرب، وإلى إنجلترا خاصة، أثارت الجالية المسلمة هناك ـ وهي كبيرة ـ هذه المسألة، وقالوا إن المكتبة الغربية تكاد تكون خاوية من المراجع الإسلامية باللغة الإنجليزية، وطالبنا البعض بعمل مشروع مثل المشروع القديم، مشروع الألف كتاب، الذي تتعهد فيه دولنا ومنظماتنا الإسلامية، المنتشرة في كل مكان، بوضع خطة لتوجيه التأليف في الفكر الديني الإسلامي بشكل مكثف إلى اللغة الانجليزية على الأقل؛ حتى يستطيع أفراد الجالية المسلمة أن يردوا على تلك الدعاوي الظالمة التي تنطلق ضد الإسلام والمسلمين في الغرب.

وتكشف قراءة هذا الكتاب عن مصادر المعلومات المغلوطة، التي يعلمها الأمريكي العادي عن العرب والمسلمين، وعن الرسول ﷺ وعن القرآن الكريم. والواقع أن «بوش الجد» نشر هذا الكتاب لأول مرة عام 1831م وأعيد طبعه عدة طبعات، ولكنه بدأ ينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية الآن، ويستند إليه أغلب من يريد مهاجمة العرب والمسلمين. والطبعة المترجمة من الكتاب ترجع إلى عام 1844م.

ونستطيع أن نلمس بعض الظواهر التي اعتبرها وراء هذا الفكر الشاذ، الذي قاد بوش إلى تأليف هذا الكتاب، وهي:

1 ـ سلسلة المراجع التي رجع إليها بوش كلها أجنبية وأغلبها كتب في الغرب.

2 ـ إن المؤلف يقول إنه بذل قصارى جهده في استخلاص صورة عادلة من خلال المصادر المتاحة له. وهذا في الواقع هو الكارثة، فكل المصادر التي رجع إليها مغرضة، وليس منها كتاب واحد باللغة العربية، وبالتالي فالصورة الذهنية التي تشكلت لدى الكاتب هي صورة مشوهة. وأعتقد أن أي باحث في الإسلام لا يعرف العربية، ليس من السهل عليه أن يصل إلى الحقائق المتصلة بشخصية الرسول الخاتم محمد ﷺ. وقد

ذكر المؤلف مراجعه وكلها باللغة الإنجليزية، وهذه مسألة يجب أن نأخذها في اعتبارنا. فالمؤلف يقول[1]:

«ولكي نحافظ على استمرارية القصة دون أن نقطعها بذكر المصادر، فإنني أقدم هنا المصادر الرئيسية التي رجع إليها في-كتابة السيرة الحالة: ترجمة سير للقرآن الكريم في مجلدين. تاريخ العالم (سلسلة مود). مجلد رقم 1 كتاب، جيبون، عن سقوط الإمبراطورية الرومانية، ومجلد 3 كتاب، بريدو، عن حياة محمد ﷺ، وكتاب العنوان نفسه ألفه «بولينفيليير»، وكتاب آخر يحمل العنوان نفسه في سلسلة مكتبة المعلومات المفيدة رقم 54، وقاموس بايل التاريخي، مادة محمد، وتاريخ الشرقيين لهوتنجر، وتاريخ الأسرات الحاكمة لأبي الفراجي، بترجمة بوكوك. وكتاب مرجان: شرح الإسلام في مجلدين. وكشف حقيقة الإسلام لفوستر في مجلدين. والمكتبة الشرقية لدير بلوت P. 7. وكتاب رايكوت: الوضع الحالي للإمبراطورية العثمانية. وكتاب تاريخ العرب والمسلمين السرسرية لأوكلي، في مجلدين. ومجموعة محاضرات هُويت. . وترجمة «لي» لكتابات الموقر هـ. مارتين المثيرة للجدل. وكتاب «هويتيكر» عن أصول الآريوسية. وكتاب «فيبر» عن النبوة والنبوءات، في ثلاثة مجلدات. ورحلات بكنجهام وكيبل وبركهارت ومادن في بلاد الشرق».

3 ـ تأثره بخبرته الكنسية: فقد كان واعظاً بارعاً في الجدال والمناظرة، وراعياً لإحدى الكنائس في «إنديانا بولس» وأستاذاً للغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك، وله مؤلفات وأبحاث في شرح أسفار العهد

---

(1) هذا هو عنوان الكتاب بالإنجليزية: Bush, George (1796 - 1859), The life of Mohammed; founder of the religion of Islam, and of the Empire of the saracens. راجع مؤلفه: «محمد مؤسس الدين الإسلامي»، ص49.

القديم. وكل ذلك أثر على تفكيره، وجعله يتخذ موقفاً متجنياً على نبينا بشكل خاص، وعلى العرب بشكل عام، ثم على الكنيسة الشرقية وكل ما يخالف العقيدة التي ينتمي إليها، أي الكنيسة الغربية.

وإذا كنا نعتبر من إيجابيات هذا الكتاب أنه اعترف بأن العرب يرجع أصلهم إلى إسماعيل ـ عليه السلام ـ معتمداً في ذلك على نصوص من العهد القديم، ومخالفاً في ذلك طائفة من المستشرقين الذين أنكروا هذه النسبة. ومع ذلك، فما لبث أن هاجم هذا الجنس، ورماه بأحط الأوصاف، وهذه ملحوظة مهمة يجب أن نأخذها في اعتبارنا ونحن نتحدث عن هذا الكتاب وعن مؤلفه.

يقول بوش: «نضيف هنا مقارنة تبين التشابه بين طبيعة العرب في كل العصور، وطبيعة جدهم الأعلى إسماعيل: سيكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه».

ويقول في موضع آخر من الكتاب: «إن ثروة عبد الله بن عبد المطلب ـ والد الرسول ﷺ ـ قد سُلِبَت؛ لأن السلب خاصية من خصائص العرب»[1].

---

(1) شتان بين هذا التصور الغريب لطبيعة سيدنا إسماعيل، وبين ما رواه القرآن الكريم عنه وعن طاعته لله وطاعته لأبيه، عندما قال له أبوه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: 102]، وقيامه بمساعدة والده في بناء الكعبة. يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (129) وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (130) إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: 127 ـ 131]، ولن نجد في سور القرآن الكريم إلا مدحاً وتقديراً لكل الأنبياء وفيهم إسماعيل وموسى وعيسى، ولكننا ـ للأسف ـ نجد الإساءة إلى الأنبياء، بل وإلى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إحدى السمات في نسخ العهدين القديم والجديد المنتشرة بين الناس. وبالرغم من أن العرب اشتهر عنهم الكرم وحماية الضعيف ونصرة الحق، إلا أنه كان به الكثير من العيوب التي أرسل الله نبيه لهدايتهم وتصحيحها، وليس من شك في أنها ضبطت على أثر بعثة الرسول ﷺ إليهم.

كذلك نجد هذا الفهم السلبي عن العرب عندما يتحدث عن ميراث النساء، فيقول: «إن العرب الوثنيين نزّاعين لمعاملة الأرامل والأيتام بطريقة غير عادلة، وهم يميلون إلى القول بأن الميراث يجب على القادرين على حمل السلاح، بل كانوا يرتبون لاعتبار الأرملة جزءاً من ممتلكات الرجل، تورث كما تورث باقي الممتلكات». ومعروف أن هذا موجود في الشريعة اليهودية ـ وعلى حسب علمي ـ لم يكن سائداً في بلاد العرب، ولكن الحقد الذي يملأ نفس الكاتب ضد العرب والمسلمين هو الذي يؤثر على كتاباته.

4 ـ نلحظ كذلك في هذا الكتاب النزعة العنصرية الواضحة لهذا الكاتب، وتناقضه في فهم شخصية الرسول ﷺ، فهو من ناحية يعتبره «دعياً» وليس نبياً، ولكنني ألاحظ في كثير من الصفحات أنه قد فهمه بشكل آخر، فهو يقول: ربما كان محمد في الأصل مبرَّءاً من أية دوافع شريرة متأصلة في شخصيته، وأكثر من هذا فربما كان نتيجة لتأملاته، مخلصاً بوازع من نفسه، ونتيجة لإيمانه بأن الله واحد لا شريك له، ونتيجة إيمانه بأن بقية العالم قد أفسد هذا التوحيد (أشرك مع الله آخرين) فعمل على تخليص قومه والعرب جميعاً من عبودية هذا الخطأ (الشرك بالله) أما وقد كان هذا دافعاً في البداية، مصحوباً بخيال خصب وحماسة حارة، فربما وصل به الأمر في النهاية إلى تأكده الجازم واقتناعه اليقيني بمهمته، وبوصفه مكلَّفاً من الله ـ سبحانه ـ ليكون أداة لإصلاح عظيم رائع، وكان من الطبيعي أن تؤدي به ظروف تنسكه (اعتزاله للعبادة) إلى ترسيخ هذه المعاني بشكل أعمق في عقله ونفسه. ومن المفترض أنه ـ بهذه الطريقة ـ بدأ مهمته، ولكنه وجد نفسه قد حقق نجاحاً فاق ما كان يتوقعه، وزادت شعبيته وقوته، وطغى أخيراً حبه لنفسه على أمانته، وفاق طموحه إخلاصه وتقواه، وراحت خططه تتسع وتزداد كلما حقق نجاحاً. لقد بدأ مشروعه بدافع التقوى فأصبح في خاتمة المطاف مُدَّعياً عنيداً، وحاكماً امبراطوراً بلا مبادئ، منغمساً في الملذات».

وهكذا نجد تفسيراً غريباً، يتحول الرسول من رجل مؤمن مخلص حامل رسالة إلى شخص دعيٍّ عنيد، وحاكم بلا مبادئ منغمس في الملذات!

أي ملذات تلك التي انغمس فيها؟! هل كان عاكفاً على شرب الخمر، أو زير نساء؟! هل النبي المتقشف الذي كان يطوي أياماً لا يدخل الطعام بيته يُوصف بأنه منغمس في الملذّات؟ هل عرف ناديه المنكر والفساد؟! ـ حاشا لله ـ، ثم من أين أتاه هذا المشروع ـ على ما يسميه بوش ـ للسيطرة على الناس وعلى العالم بعد ذلك، وهو ثاوٍ في غار حراء يتأمل ويفكر؟!

إنه مما يؤسف له أن أضعف أجزاء هذا الكتاب، هو الجزء الذي يتردد فيه المؤلف بين مدح الرسول ﷺ وفهم دوافعه الخيرية في إصلاح الفساد الذي تفشى في قومه وفي العالم، ثم يقول في نفس الصفحة إنه تحول إلى مخادع متكبر، دون أن يفسر سرعة هذا التحول من الخير إلى الشر.

إنه لا يساورني أدنى شك في أن هذا الكاتب مغرض، وتمتلئ نفسه بالحقد والكراهية للرسول ﷺ وللمسلمين، وذلك يتضح من موقفه كثير من القضايا التي سنتناولها في هذا البحث.

أولاً ـ قضية أمية الرسول ﷺ:

تتضح قراءة بوش المغرضة للقرآن الكريم من زوايا عديدة، فهو يخرج عن الموضوعية تماماً عندما يقول: «إن أتباع محمد ـ رغبة منهم في المبالغة في مواهب نبيهم ـ عزوها إلى قوة خارقة، ورغبة منهم في إضفاء مزيد من الإعجاز على القرآن، يؤكدون عموماً على أن محمداً كان يجهل القراءة والكتابة تماماً». ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

وتعتبر قضية أمية الرسول ﷺ إحدى القضايا المحورية التي تصدى لها هذا

الكاتب المغرض، وكان كل همه من إثارتها إثبات أن الرسول ﷺ كان يجيد القراءة والكتابة، لذا فهو الكاتب للقرآن الكريم، وإن لم يستطع أن يفسر كيفية وصوله إلى مثل هذه المعلومات التي لا يتسنى معرفتها إلا لمن قرأ في الكتب السابقة، أي التوراة والإنجيل. وبالنسبة لمعرفة الرسول ﷺ للقراءة والكتابة، فهي قضية خلافية، وقد ورد بشأنها العديد من الآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 157].

يستدل المؤلف المغرض من هذه الآيات على أن الرسول ﷺ صُوِّر في القرآن الكريم على أنه لا يعرف القراءة والكتابة، وهو يردد السخف الذي قرره بأن القرآن كتبه محمد، لذا كتب هذه الآيات ليثبت أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة. ويرى ـ أي بوش ـ أن الرسول ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه يعيش في بلاد العرب وهي بلاد تجارية، وتحتاج إلى كتابة المعاملات وتدوينها بدقة حتى لا تضيع المعاملات. ويشير إلى آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ

إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 282]، فالرسول الذي يكتب القرآن ذكر هذه الآية التي تفضح دعوى أميته على قول المؤلف.

ويقول أيضاً: لكن آخر ما نتوقعه من القرآن ـ وهو ادعاء بكل ما في الكلمة من معنى ـ أن يكون صادقاً دالاً على الحقيقة. فهناك أدلة كثيرة من هذا الوحي الزائف ـ على زعم بوش الجد ـ تدلنا على أن الكتابة كانت شائعة بين العرب في تلك الأيام، ويستدل بآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ﴾ ويستدل على أن محمد كان يعلم القراءة والكتابة بالآتي:

• إن علي بن أبي طالب كان يعلم القراءة والكتابة، بل كان من كُتّاب الوحي، وكان يعيش مع محمد في بيت واحد، فهل يعقل أن أبا طالب علّم ابنه علياً ولم يعلم محمداً ابن أخيه؟

• إن محمداً يظل يعمل بالتجارة، والتجار يشعرون في كل وقت بحاجتهم إلى تسجيل معاملاتهم ويخشون أن تفلت من الذاكرة أية أجزاء منها، وكانت مكة ملتقى حركة تجارية واسعة، لذا كانت القراءة والكتابة لازمة لأهلها إلى حد كبير. وهناك من يقول بأن الرسول كان يعرف الكتابة والقراءة، ولكنه يفسر قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: 48]. بأن محمداً ﷺ ما كان يتلوه قبل القرآن كتاب من كتب أهل الكتاب، سواء التوراة أو الإنجيل، حيث لم يترجما إلى العربية إلا في القرن التاسع عشر، والآية الكريمة لا تعني جهل النبي بالقراءة والكتابة،

وإنما تعني أن الرسول ﷺ لم ينقل القرآن عن الكتب السابقة، وإنما أتاه القرآن من لدن حكيم خبير[1].

ثانياً ـ مصدر القرآن الكريم:

إن هذا الكاتب مثله مثل غيره من الكُتَّاب المسيحيين، الذين كتبوا عن الرسول محمد ﷺ، يهتم بحكاية عابرة ترد في كتب السيرة مقتضبة غالباً، وهي لقاء محمد وهو في رحلة تجارية في بلاد الشام بالراهب بحيرا. فهذا الراهب اكتشف أنه سيكون نبياً، وسيكون له شأن كبير، وحذر الراهب عم النبي من اليهود. ويردد أن هؤلاء الكتاب يرون أن هذا الراهب ـ بحيرا ـ هو الذي درس لمحمد تاريخ الكتاب المقدس «اليهودي والمسيحي» وما به من عقائد، وأنه واضع خطة هذا الدين الجديد الذي هو مزيج متنافر من اليهودية والمسيحية. يدحض المؤلف هذا الزعم ويقول إنه لا يصدق.

ونحن نؤيده في ذلك تماماً، ولكنه هو وبعض الكتاب المسيحيين يرون أن هذا الشاب لا بد أنه تلقّي فكرة مفصلة عن تكوين دين جديد وكيفية الدعوة إليه من بحيرا الراهب.

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: 4 ـ 6]، وهذا القول عن القرآن الكريم قديم وقد رد عليه الله تعالى بهذه الآيات وغيرها. وأشاروا إلى أن أحد الأعجميين كان يعلمه القرآن، ورد القرآن مع ذلك بقوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: 103]، وهكذا حسم القرآن الكريم هذه الفرية بتأكيده على أن القرآن الكريم وحي نزل باللغة العربية، ولم ينزل أي كتاب آخر بهذه اللغة، كما أن الأمية تفسر تفسيرات مختلفة، فهي لا تعني فقط الجهل باللغة العربية، وإنما تعني أربعة تفسيرات:

الأول: وهو المعنى المباشر أن الأمي هو من يجهل القراءة والكتابة.

والثاني: العرب جميعاً سُمُّوا بهذا الاسم «أميين» لجهلهم بالكتب السماوية خاصة كتب أهل الكتاب.

والثالث: سُموا «أميين» نسبة إلى أم القرى.

والرابع: يراه العقاد على أنه نسبة إلى الأممية.

ولكنه يقول: «لا ندري كيف ساعد آخرون محمداً» في تدبيج القرآن. إننا لا نستطيع الوصول إلى حقيقة هذا الأمر بشكل مُرضٍ في أيامنا هذه، ولا نستطيع أن نحل هذه المشكلة، أو بتعبير آخر لا نستطيع أن نصل فيها إلى نتيجة مرضية.

ورغم وصوله إلى هذه النتيجة، نجده يقرُّ بأن محمداً راح يظهر بين الحين والحين سوراً من القرآن باعتبارها وحياً إلهياً، وكان ذلك متضارباً ـ في رأيه ـ بين فكرة أنه متعصب مخادع، والقول بعدم قدرته على الإتيان بالمعجزات.

إن هذا الكاتب لا يستطيع أن يفسر كيف وجد القرآن بيد النبي محمد ﷺ؛ لأنه ينكر نبوته وينكر نزول الوحي إليه، فهل هناك تصور في العقل وافتئات على العقل أكثر من هذا؟! إنه لا يستطيع أن يفسر لنفسه أو لغيره هذا الكم الضخم من المعلومات والقصص واسس الأخلاق، وخبر من سبقنا، وعلم من سيلحقنا، إنه كتاب جامع للمعجزات والإشارات الكونية، وأسس التشريعات والأحكام الكلية. لا يستطيع بوش أن يفسر كيف تجمع هذا الكم الهائل من المواعظ والحكم والتشريعات بيد محمد ﷺ، لذا عجز عن التفسير واكتفى بالقول بأنه «دَعِي» أي ادعى النبوة، لماذا؟ لقد كان يعيش مرتاحاً في وطنه مكة، يأتيه رزقه رغداً من الرعي ثم من التجارة، وعرض عليه قومه أن يجمعوا له مالاً ليكون أغناهم، وعرضوا عليه أن يجعلوه زعيمهم، وعرضوا عليه كل ما يمكن أن يرضي أي إنسان.. لكنه رفض، وكان قوله الحاسم لعمه: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

إنه ﷺ صادق أمين وهو نبي عظيم، خاتم الأنبياء والمرسلين، جاهد في الله حق جهاده حتى بلّغنا الرسالة، وأدى الأمانة حتى أتاه اليقين.

إن بوش الجد عجز عن النظر إلى الحق، عندما رأى شيئاً معجزاً، ورفض

أن يقر بأن السبب في هذا الإعجاز هو أن ما فهمه ولمسه نزل من لدن حكيم عليم على رسول صادق أمين، وذلك هو السبب في وصول الأمانة إلى مختلف الأمم.

ثالثاً: تقويم «بوش» لرسالة النبي بشكل عام:

يقرر بوش أن محمداً واحد من أبرز الرجال وأكثرهم جدارة بالالتفات. وهنا يقول: «لقد انتهت المهمة الدنيوية لأكثر المدعين ـ وهو وصف طالما أطلقه بوش على الرسول الكريم ـ نجاحاً وتصميماً. لقد استطاع بطموحه الواسع أن يوجه المذاهب الوطنية، فتطورت بداياته المتواضعة إلى ذروة القوة بين العرب. لقد قام بثورة من أعظم الثورات التي عرفتها البشرية، ووضع أساس إمبراطورية، استطاعت في مدة ثمانين عاماً فقط أن تبسط سلطانها على ممالك وبلاد أكثر وأوسع مما استطاعته روما خلال ثمانمائة سنة».

كما يبدي دهشته من صعود الإسلام وانتشاره السريع واستمراره ورسوخه الدائم... وهذه شهادة من واحد من الأعداء، تظهر عظمة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعظمة ما أداه للبشرية من هداية إلى الطريق القويم.

والأكثر من ذلك أهمية أنه يفسر هذا الصعود والتفوق بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان يخصه برعاية كبيرة؛ لأن النجاح الذي حققه لا يتناسب مع إمكاناته، ولا يمكن تفسيره بحسابات بشرية معقولة. ويؤكد هذا بقوله: «لا مناص إذن من القول بأنه كان يعمل في ظل حماية الله وعنايته. لا تفسير غير هذا لهذه الإنجازات ذات النتائج المبهرة، ولا شك أنه يجب علينا أن ننظر للإسلام ـ في أيامنا هذه ـ بوصفه شاهداً قائماً ينطوي على حكمة غامضة لله سبحانه وتعالى، حكمة لا تفهمها عقول البشر، أو على الأقل لا تفهمها إلا بعد أن يتحقق الغرض منها».

وهذه شهادة واضحة من أحد كبار رجال الدين المسيحي على أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان راعياً لمحمد ولنجاحه الكبير. . ولكن هذا لم يُوقف المحاولات المستميتة لهذا الرجل ـ بوش ـ لإثبات أن محمداً دعِيٌّ، لم يكن مرسلاً، وأنه انتحل القرآن الكريم ولم ينزل عليه من السماء.

والواقع ان الفصل الخامس عشر من هذا الكتاب يتعرض للإنجازات غير العادية، التي حققها محمد في حياته، وبالطبع باعد المؤلف بين هذه المنجزات وبين أنه رسول يوحى إليه. ولعل ما يميزه في هذا الشأن عن كثير من المستشرقين هو تأكيده أن محمداً ﷺ ذُكر في التوراة وفي الإنجيل. فقد أكد أن النبوءات اليهودية والمسيحية تؤكد أن نبينا سيناطح جند السماوات، وأنه هو النجم الذي هوي، ويشير إلى الآية الكريمة: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 1 ـ 4].

ورغم أن المؤلف أورد ما سبق في سياق وصف فيه نبينا ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ بكلمة «دَعِيّ»، إلا أنه في أحيان كثيرة تحدث عنه واصفاً إياه بالنبي وأحياناً بالرسول، وذلك في سياق فهمه لمسار الأمور المقدرة سلفاً، وأن القضاء والقدر ـ خيره وشره ـ من الله سبحانه، وأنه لا يكون في الكون إلا ما يريده الله. وما يريده الله سبحانه ـ على حد فهم بوش ـ هو أن ينتشر الإسلام، ولكن إلى حين يعود بعده المسلمون إلى حظيرة الكنيسة المسيحية بعدما يعود المسيح ابن مريم ـ عليه السلام ـ ليحكم العالم.

رابعاً: حديث الإفك

في تتبعه المفصل لسيرة النبي محمد ﷺ، يتعرض لزوجاته فيذكرهن بالإثم واحدة واحدة، ومن الواضح أنه يعتمد على ترجمات كتب السيرة، مثل: ابن إسحاق، وابن هشام، ليتعرض لحديث الإفك. فلا بد من التنبيه إلى أن

بوش ينظر دائماً في دراسته إلى ما يمكن أن يراه عيباً في حياة الرسول من وجهة نظره الشخصية، وهو كذلك يتناول نصوص القرآن الكريم، ليفسرها حسبما يتراءى له.

انظر إلى تفسيره لآيات الإفك من سورة النور. إنه يورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 11].

يعلق على هذه الآيات بقوله: «وقد أشيع ما يفيد عدم إخلاص عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ولم تُزَل هذه الوصمة تماماً عنها حتى أيامنا هذه. وعلى أية حال، فإن النبي لم يصدق ما نُسب إليها.

يذكر بوش حديث الإفك، ويبين عدم تصديق الرسول له، ويجعل الآية دليلاً على ذلك، فهو يريد أن يدلل من ذلك على أن النبي هو كاتب القرآن. يتبين من ذلك أن «بوش» مغرض، فرغم قراءته للسيرة وكيف أن الرسول ظل حزيناً بسبب ما يشاع عن زوجته، ولكن الوحي أنصفها، وفرض عقوبات طُبِّقت على من تناول عرضها وشرفها، ثم أعطى للمسلمين درساً معبراً عن ضرورة سلامة بنية المجتمع الإسلامي، والحرص على عدم إشاعة الفتن فيه.. لا يتحدث بوش عن شيء من ذلك، ربما لتفاهة ما يمكن أن ينسب إلى الأعراض في المجتمع الأمريكي، ولكنه على أي حال لَيٌّ للحقائق جليٌّ وواضح.

خامساً: من معالم شخصية النبي محمد ﷺ:

نظراً لأن دراسة بوش لسيرة النبي ﷺ دراسة واضحة، فقد استطاع أن يلم بمناقبه وبصفاته الخلقية الرفيعة، وقد وصف ذلك في كتابه. ولكنه عندما يتحدث عن كل صفة وعن شخصية الرسول بشكل عام، لا يخلو أبداً من لمزه والإساءة إليه بطرق مختلفة.

يقول بوش: «يمكننا أن نوافق على أنه كان حاد الذهن، حصيفاً ذكياً، حاد الذاكرة، بارعاً في فهم الطبائع البشرية». ويعترف أيضاً بأنه كان عذب الحديث لطيف المعشر، كما لم يكن ثرثاراً، ولديه قدرة فائقة على جذب الأصدقاء والأتباع وربطهم بشخصيته، ويرى كذلك أنه وهب شخصية متفوقة زاد تفوقها مع تقدم العمر. ومع ذلك فإن هذه الشخصية العظيمة المتفوقة لا تسلم من لسان هذا الكاتب المفتري وقلمه، فهو يقول إن محمداً ربما لا يكون أكثر من إنسان عادي لو عاش في المحيط الأوروبي المتحضر؛ لأن البلاد التي بزغ فيها نجمه كانت تتسم بالفظاظة والبربرية. كذلك فإن تاريخ محمد يظهر أن التعصب والطموح والشهوة هي الدوافع التي تحركه، بالإضافة إلى العواطف والانفعالات المتأججة في صدره، ويرجع ما يعتبره إنحرافاً عن الطباع السوية إلى ظروف عصره وإلى طباع قومه. فهو يعدد زوجاته كما كانوا يعددون، ويقتل كما يقتلون، بل يقول عبارة لاذعة وغير صحيحة على الإطلاق، وهي: أن محمداً لم يراع القواعد الأخلاقية التي قال بها هو نفسه والتي فرضها على الآخرين بأوامر صارمة مرعبة. لقد أساء استعمال حقوق النبوة التي ادعاها ليستر إسرافه في حياته الشخصية.

وهذا الوصف الكاذب اللعين لا دليل عليه عند هذا إلا في تعدد زوجات النبي ﷺ بأكثر مما هو مسموح للمسلم العادي.

وهو هنا يستند إلى قراءة مغرضة وشاذة لبعض آيات القرآن الكريم، بل ولا يخجل هذا المغرض من القول:

«ويمنعنا الحياء من الدخول في تفاصيل هذا الجانب من حياة محمد ﷺ وشخصيته، يقصد الجانب المتعلق بالزواج وملك اليمين، ولكن القارئ يستطيع من خلال ما ذكرناه آنفاً أن يدرك كيف استغل النبي نبوته بوصفها أداة لإشباع رغباته الحسية. ومن الأمثلة الصارخة ما حدث من اتصاله بالجارية المصرية

مارية القبطية. لقد وصل خبر هذا الحب المحظور (الاتصال بملك اليمين) لمسمع إحدى زوجاته الشرعيات، بل لقد رأت بعينها ما حدث (أي هذا الاتصال الجنسي) فوبخته توبيخاً مريراً فوعدها مقسماً ـ ليهدِّئها ـ ألا يعود لهذا. لكن طبيعته غلبت عليه بعد ذلك بوقت غير بعيد، فلجأ إلى الوحي ليغطي هذا الخزي فكان لا بد من نص قرآني يحله من قسمه الآنف ذكره. وتلك صفحة سوداء لوثت القرآن الكريم ومؤلفه».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (1) قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التحريم: 1 و2].

يقول هذا المدعي: «هنا نجد الأمر يتناقض مع ما يفرضه النبي على أتباعه، فنحن نقرأ في القرآن الكريم ما فرضه عليهم في الآيات التالية:

﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ (91) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [النحل: 91 و92].

وفي السورة نفسها: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: 94].

هذه مجرد أمثلة من الطبيعة العامة للقرآن الكريم، إن الجزء الأكبر منه ـ في زعم بوش ـ قد صِيغ لتحقيق أغراض خاصة وليكون ذريعة قلما تفشل إذا تعذرت الذرائع الأخرى، فجبريل ينزل بوحي جديد ـ دائماً ـ مطابق للغرض المطلوب تحقيقه إن شَرَع النبي في مشروع جديد، وإن واجه اعتراضات جديدة، وكذلك إن كانت هناك صعوبات يجب حلها أو تجاوزها دون أن ينشب نزاع بين أتباعه... لذا فإننا نجد ـ كنتيجة حتمية لهذا ـ اختلافات وتناقضات في

هذا الكتاب (يقصد القرآن الكريم) يصعب إنكارها. ومفسروا القرآن ـ والمسلمون عامة ـ يعرفون هذه الحقيقة لكنهم يبررون ذلك بقولهم «إذا ناقض الوحي اللاحق السابق فإن الوحي اللاحق نسخ أو ألغى الوحي السابق»، وهناك أكثر من مائة وخمسين آية ينطبق عليها هذا (حكم الناسخ والمنسوخ) بل إن المدّعى نفسه (يقصد محمداً ﷺ)[1] يؤكد هذا، ففي القرآن الكريم: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106].

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 101].

وإذا ووجه المسلمون المعاصرون بهذا ـ كما حدث أثناء نقاش هنري مارتين معهم ـ أجابوا: هذا الاعتراض تافه لا جدوى منه لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يراعي دائماً ما هو لازم لعبيده، ولا شك أن الآيات المنسوخة نزلت في وقت اختلفت أحواله عن أحوال لاحقة كان لها مقتضيات أخرى. فالله واهب الشريعة الإلهية لا بد أن تنظر إليه بوصفه معالجاً روحياً لعبيده، تماماً كما يصف الطبيب لمريضه الدواء المناسب لعلته.

ولم نقرأ في كتب السيرة ما يشير إليه من اتصاله الجنسي بمارية القبطية، إذ من المسموح به شرعاً إتيان الأمة؛ لذا لا أعرف علام يعيب الكاتب على النبي حق الاتصال ولماذا جعله غير مشروع؟! ولماذا تؤنبه إحدى زوجاته عليه؟، فآيات القرآن الكريم تعطي لكل المسلمين هذا الحق، وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ.

---

(1) قضية النسخ قضية خلافية في القرآن الكريم لدى علماء أصول الفقه، فمنهم من قال بعدم وجود أي نسخ، وقام بالتوفيق بين الآيات التي يبدو فيها التعارض الذي أدى إلى النسخ. ولدى الآخرين وقع النسخ فقط في بعض أحكام التشريعات (تشريع الخمر مثلاً). أما آيات العقيدة وأخبار من قبلنا، فلا نسخ فيها على الإطلاق. وعموماً لا نعرف من أين أتى المؤلف بوقوع النسخ في مائة وخمسين آية. إن النسخ لم يقع إلا في آيات معدودات مثل: (الصيام، الخمر، بعض أحكام الميراث) فقط لا غير.

كما أن سيرة النبي محمد ﷺ في الزواج لا تجعل أي إنسان منصف يوجه هذا الاتهام إليه، فالنبي ﷺ عاش مع خديجة ـ رضي الله عنها ـ التي كانت تكبره بخمسة عشر عاماً، لمدة ربع قرن، لم يتزوج عليها أخرى، إذن فهناك أسباب مختلفة أدت إلى زيجاته الأخرى بعد موتها، وهي معروفة جيداً لدى كل كُتَّاب السيرة من العرب وغير العرب المنصفين، فهي مبررات سامية تهدف إلى توطيد الصلات الإنسانية، وحماية الضعفاء، ورد كرامة المهزومين. . . إلخ.

سادساً: طبيعة الدعوة الإسلامية في نظر بوش

يعتبر «بوش» أن العقائد الأساسية التي يدعو إليها محمد هي: أنه لا إله إلا الله، ولا معبود سواه، وأن عبادة الأصنام شيء غبي بغيض ويجب الكف عنه سريعاً.

يقول بوش:

«والسورة رقم 112 في القرآن الكريم عنوانها إعلان وحدانية الله (سورة الإخلاص)، تحظى بتوقير شديد من المسلمين، وعلى وفق ما يروى عن النبي فهي تعادل ثلث القرآن، ويقال إن الله أوحى بها إجابة على سؤال قريش عن صفات الله الذي يدعوهم محمد لعبادته. وهي ـ أي سورة الإخلاص ـ تتكون من جملة واحدة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وتتردد هذه العقيدة تباعاً في صور القرآن وآياته والمؤلف (يقصد محمداً) لا يهدف بهذا التكرار مجرد تخطئة تعدد الآلهة والوثنية اللتين كانتا شائعتين آنذاك بين أمم الشرق، وإنما هو يوجه أيضاً ضربة قاضية للعقيدة المسيحية القائلة بأن المسيح هو ابن الله (الابن الوحيد لله)».

ويرى بوش أن محمداً مثله في ذلك مثل آخرين في عصور أخرى، لم يستطع أن يتصور عقيدة المسيحيين في نسبة المسيح إلى الله، أو بتعبير آخر لم

يستطع أن يفهم فكرة بنوّة المسيح لله أو انحداره منه مع أن هذه الفكرة لا تؤثر بشكل مباشر في حقيقة أن الله جل جلاله واحد أو بتعبير آخر حارب محمد فكرة التثليث مع أنها ـ في نظر بوش ـ لا تؤثر مباشرة في التوحيد الأساسي للذات العليا.

ويواصل بوش كلامه: وفيما يرى محمد أن أكبر السخافات هو اعتقاد أن المسيح ابن الله أو أنه مساو للآب (الله) في الندية والأزلية. وعلى هذا فإعلانات العهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) فيمايتعلق بشخص المسيح وطبيعته هاجمها واضع القرآن الكريم بلا هوادة؛ لأنه لم يكن لديه الصدق والموضوعية أو القدرة على فهم الفرق بين عقيدة الثالوث الأقدس (كون الآب والابن والروح القدس إلهاً واحداً) وعقيدة التثليث التي تعني وجود ثلاثة آلهة منفصلين (أي الفرق بين عقيدة الترينيتي وعقيدة التريثزم). لنقرأ في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4].

والمفهوم أن الفقرة الأولى في الآية تعني ألا تغلو في دينكم برفع قدر المسيح إلى درجة مساوية لله كما فعل المسيحيون. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171].

وفي القرآن الكريم أيضاً في سورة المائدة: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17].

وفي الآيتين 72 و73 من السورة نفسها (المائدة) نقرأ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وفي الآية 75 من السورة نفسها: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

وفي القرآن الكريم نجد أيضاً في السورة التاسعة (التوبة): ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: 3]، والواقع أن المؤلف يشير إلى كل هذه الآيات في كتابه، ويعلق عليها بالقول:

«بهذا المبدأ الأساسي في العقيدة الإسلامية، ربط محمد وجوده واعتبر نفسه نبي الله الحقيقي والوحيد منذ موسى وعيسى، ففي القرآن الكريم (صورة الجاثية) الآيتان 16 و17: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (16) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ۖ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

وفي الآية التالية من السورة نفسها نقرأ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18].

وقد أكد محمد أن هدف رسالته ليس إدخال نظام ديني جديد تماماً، وإنما إعادة دين الآباء والأنبياء القدامى من آدم حتى المسيح، فهو الدين الوحيد الصحيح ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7].

وفي سورة البقرة الآية 136 وما بعدها: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

يقول بوش: «لقد راح محمد يدعو إلى إحياء العقيدة الصحيحة القديمة ليرسخها من جديد، وذلك بالدعوة إلى تطهيرها من وثنية العرب وتحريفات اليهود والنصارى. لقد قدم محمد ـ لفترة ـ حقيقة أن كتابي العهد القديم (التوراة وملاحقها) والعهد الجديد (الأناجيل وملاحقها) كانت في الأصل وحياً من الله إلا أناه حُرِّفت ـ ويا للخجل ـ بعد ذلك، وأن النسخ الموجودة الآن غير جديرة بالتصديق أبداً، وبالتالي فهو قلَّما يقتبس منهما في القرآن».

ونختم بقولنا إن الواقع يدل بوضوح على أن الدين الحق هو الإسلام، وأن الرسالات السابقة قد أنزلت من السماء إلى الأرض لهداية البشر، وأن إحدى المعجزات التي تدل على صدق العقيدة الإسلامية هي اعتراف الإسلام بكل هذه الرسالات، وجعلا الإيمان بها جميعاً أحد الشروط الأساسية للإيمان المطلوب.

وهناك أدلة كثيرة على تحريف اليهودية والمسيحية، وكان هناك فريق من المسيحيين يوحدون الله ولا يشركون به شيئاً، وقضية التثليث هي قمة التحريف للرسالة، والقرآن الكريم يجعل من يؤمنون بها من الكافرين، ولا أدل على زيف عقيدة التثليث من أن المسيحيين المتمسكين بها يؤمنون برسالة موسى ـ عليه السلام ـ على ما هي عليه من توحيد الله توحيداً خالصاً. فكيف تكون لله طبيعتان متناقضتان، إحداهما: واحد أحد، والأخرى: واحد ثلاثة. ولا أدل على ذلك من أنهم ضيّعوا معالم صلاة عيسى ـ عليه السلام ـ فهل كان عيسى يسجد للصليب قبل أن يرفعه الله، أم يكون قد سجد له بعد وفاته؟!

• • •

لقد أردت التركيز على بعض الأفكار التي تتصل بالقراءة الغربية للقرآن الكريم، والتي جاءت من أحد الكهنة المشهورين، تربى في إحدى الكنائس، وكان من غرائب الأمور أن يصل ابنه وحفيده إلى أعلى المناصب في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا شك أن أي إنسان عادي لا بد أن يتأثر بوالده وجده بشكل أو بآخر، خاصة إذا كان الجد له تأثير ديني على من حوله.

والواقع أن جورج بوش، حاكم الولايات المتحدة الحالي والذي يقضي دورة ثانية وأخيرة في الحكم ـ قد أخذ الكثير من أفكار جده، خاصة تلك الأفكار التي تعادي الإسلام ونبي الإسلام، لقد أعلنها حرباً صليبية ضد الإسلام والمسلمين بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م وإن قدم تبريرات تعطي لهذه الكلمة مدلولاً آخر.

وقد ركزنا على المسائل التي تتصل بالقراءة الشاذة لكثير من آيات القرآن الكريم. فهذا الكاتب «بوش الجد» لم يقرأ العربية، واعتمد على ترجمات لمعاني القرآن الكريم، والمترجم إذا نقل الأصل وهو متأثر بآراء مغرضة فلا يمكن أن يأتي بالحقيقة. لذا فإننا نستدل على الصورة الذهنية في تفكير هذا الرجل كما وضحت؛ لنعرف كيف يفكر الغرب الأمريكي في الإسلام ونبيه.

إن الفرية الكبرى التي نسمعها دائماً في كل ملتقى فكري في الغرب، أن القرآن كُتب بيد محمد؛ وكثيراً ما كان يأتى بالآيات التي تدعم موقفه، وتبرر كل خطأ يرتكبه، أي إن الإسلام ليس برسالة، والقرآن ليس منزلاً من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ومع ذلك، فلقد رأينا الارتباك والتناقض في كثير مما كتبه بوش، فهو لا يعرف كيف وصل النبي ﷺ إلى هذه الثروة الضخمة من الهدى والعلم ونور الدعوة. ولا يصدق كذلك دعاوي بعض المستشرقين الذين قالوا: إنما علمه

«بحيرا» الراهب؛ لأنه لا يعقل أن هذا الرجل قد أعطى النبي ﷺ كل هذه الثروة في مقابلة أو مقابلتين، فضلاً عن اختلاف اللغة، إذ ليس من المفترض أن «بحيرا» هذا كان يتحدث العربية وعلّم النبي بها. وهكذا وقف الرجل حائراً وهو يتحدث عن المصدر الذي استقى منه محمد القرآن الكريم؛ لأنه ـ أي بوش ـ أنكر الوحي.

ويبدو التناقض عند هذا الرجل في موقف آخر، فهو يعتبر وجود محمد عقاباً نال المسيحيين بسبب انحرافهم عن جادة الصواب، وأن من شأن وجوده أن ينبههم إلى ما وقعوا فيه من أخطاء، وأن المسيحيين سيعودون إلى دينهم الحق بعد ذلك، وأن المسلمين أنفسه سيعتنقوا المسيحية. وهو يحاول ـ في تردد آخر ـ أن يضع القواسم المشتركة بين القرآن والعهدين القديم والجديد. والواقع أن هذا الازدواج في التفكير يدل على العمى الذي عاش فيه «بوش»، والذي يعيش فيه من خَلَفَهُ في هذا الفكر الشاذ حتى الآن. فهو بين إنكار نبوة محمد وبين الاعتراف بأنه رجل صالح وأن عناية الله ترعاه، وأن انتصاره في غزوتي أحد والخندق رغم التفاوت الكبير في القوة والاستعدادات بينه وبين أعدائه، لهو أمر لا يمكن أن يتم إلا بعون من الله وبإرادته، لذا يصرح بأن الله وقف معه، وأن الله أراد له الانتصار، وأنه حقق في ثمانين سنة ما لم تحققه روما في ثمانمائة سنة.

كما أوضحنا في البحث قراءات «بوش» الخاطئة والمغرضة لكثير من نصوص القرآن الكريم، خاصة في حديث الإفك، وفي زواج الرسول ﷺ وفي قتل بعض الأسرى. وإن كان التروي أيضاً في هذه المفاهيم واضح؛ لأنه يمتدح الرسول كثيراً في خلقه وفي تعامله مع عدوه، وفي تأثيره على طائفة واضحة من الناس الذين التفوا حوله وآمنوا به، وتحملوا المشاق والصعاب لنُصرته، ثم يبث «بوش» بذاءته وسمه بقوله بأنه كان «زير نساء»، وأنه كان مدعياً، تعالى الله ورسوله عما يصفون.

إن قناعتي بعد قراءة هذا الكتاب هي أننا يجب أن نبذل جهداً كبيراً لترجمة أصول ديننا بشكل واضح جلي إلى اللغات الأخرى، ويجب أن تكون المكتبة الإسلامية باللغات الحية ثرية بما فيه الكفاية، لأن الإسلام نزل رسالة من الله لخير الإنسانية جميعها. كما إن الدول والمنظمات والجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي يجب أن تنهض بقوة لسد هذا الفراغ.

والله ولي التوفيق،،

• • •

الإسـلام والغـرب

قراءة في موقف بعض علماء الاجتماع وبعض المقـررات الـدراسية فـي الغرب

أ. د. نبيل السمالوطي

أستاذ علم الاجتماع، عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق ـ جامعة الأزهر، مقرر لجنة الندوات والمؤتمرات برابطة الجامعات الإسلامية ـ القاهرة

القرآن الكريم كتاب الأمة الإسلامية الموجه إلى الناس كافة، والمنزل لخير الإنسانية جمعاء، الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن سيادة الظلم والتسلط والغطرسة المادية الطبقية والعرقية والثقافية إلى ممارسة العدل والحرية والمساواة، ومن الصراع الطبقي والاقتصادي والسياسي والحروب العسكرية المدمرة بين البشر حرصاً على مصالح دنيوية خاصة محدودة وزائلة، إلى المجتمع الذي يسوده التكافل والتراحم والمودة والرحمة.

وللإسلام بمصدريه الأساسيين ـ القرآن الكريم والسنة المطهرة ـ منهجه في إصلاح الأرض بعد فسادها، ومنهجه في مواجهة المشكلات الاجتماعية، ومنهجه المتميز في إطلاق طاقات التنمية وتحويلها إلى خطط وبرامج تحقق أقصى درجات القوة الإيمانية بمعايير الكتاب والسنة، والقوة المادية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية والعسكرية، والقوة الاجتماعية والسياسية بالمزاوجة بين ثوابت الإسلام وضوابطه التي لا تتغير (البناء العقدي والقيمي والأخلاقي والتشريعي) وبين المتغيرات التي تحقق المزيد من العلوم والمعارف بمقياس كل عصر (مجالس تشريعية، مؤسسات غير حكومية، مؤسسات تربوية وتعليمية

تتسم بالجودة الشاملة، نظم إدارة لها القدرة على تحقيق الأهداف وتحقيق العدالة وتنمية منظومة القيم الإنسانية.. إلخ).

لقد تنبه الغربيون إلى عظمة القرآن الكريم، وإلى أن هذا القرآن حقق أسرع تغير اجتماعي في تاريخ الإنسانية كلها، من خلال نقله إلى عالم الناس عن طريق محمد ﷺ، وتطبيقه منهجاً وفكراً وقيماً وغاية. فكان الرسول ﷺ قرآناً يمشي على الأرض، ومجموعة المؤمنين الذين حرص على إعدادهم في مدرسة النبوة، سواء خلال مرحلة الدعوة السرية خلال السنوات الثلاث الأولى من الرسالة، أو مرحلة الدعوة الجهرية بعد ذلك، وعلى مدى عشر سنوات في مكة المكرمة وقبل الهجرة إلى المدينة. ثم من خلال دولة الإسلام التي تأسست بعد الهجرة.. من خلال هذا الجهاد الطويل القاسي ضد مشركي مكة ومشركي الجزيرة ويهود المدينة والمنافقين بها، استطاع محمد ﷺ بالقرآن أن ينقل الناس من قبائل متصارعة متناحرة، ومن رعاة للإبل والشاة وإلى صُناع حضارة وصُناع أمم وشعوب متحضرة متقدمة، قادرة على إدارة العالم وقهر القوى الكبرى المتغطرسة، التي تكرس الظلم والفساد والإفساد في الأرض.

تنبه مفكرو وفلاسفة الغرب إلى أن القرآن الكريم دستور يصنع مشروعاً حضارياً إنسانياً يحقق القيم العليا، وهي قيم السماء لهداية أهل الأرض. قيم الحق والخير والجمال والعدل والمساواة والتراحم والرحمة. وهذا يعني أن المشروع الحضاري الذي يتبناه القرآن الكريم يتصادم مع مصالح دول الغرب، وهي مصالح استعمارية، رأسمالية، مؤسسة على إعلاء قيم الفردية، والنفعية، والبراجماتية، دون نظر لمصالح الآخرين، ودون نظر لمنظومة القيم الدينية، كالعدالة والمساواة وحقوق الإنسان. فالأهم في نظر منظومة الحضارة الغربية، المصالح الخاصة الفردية، ومصالح الصفوات أو النخب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الحاكمة، دون النظر إلى مصالح الجماهير، ودون النظر إلى القيم الإيمانية والأخلاقية والتشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي جعل

منها القرآن الكريم ثوابت يجب الحفاظ عليها، والاسترشاد بها عند كل تحرك أو توجه أو تنمية أو عمل اجتماعي.

هنا بدأ الصراع بين منظومة القيم التي يرسيها القرآن الكريم، وبين منظومة قيم الغرب ومصالح الطبقات العليا والصفوات الحاكمة والمسيطرة داخله. تماماً كما بدأ الصراع بين منظومة القيم الحضارية التي أرساها القرآن الكريم، وبين قيم وأهداف ومصالح مشركي مكة ومشركي الجزيرة ويهود المدينة ويهود خيبر وقادة الغساسنة والفرس والروم قديماً.

على هذه الخلفية نستطيع تحليل رؤية الغرب للقرآن الكريم وإقامة منظومة لدراسته، ولتحليل السنة النبوية والثقافة الإسلامية، بهدف فهمها والإلمام بها أولاً، ثم بهدف تشويه ما جاء فيها وإيراد العديد من الشبهات والشائعات، التي تحول دون انتشار الإسلام الذي يمثل التحدي الأكبر ضد الأطماع والمصالح الاستعمارية والانتهازية والرأسمالية المتوحشة الراغبة في أمرين:

1 ـ استنزاف ثروات المسلمين والسطيرة عليهم.

2 ـ منع انتشار قيم الإسلام ومبادئه وأهدافه في أوروبا وفي سائر بلدان العالم، تلك القيم والمبادئ التي تحمل مشروعاً حضارياً يعلي من قيم الحق والعدل والإخاء وحقوق الإنسان الحقيقية.

والمشروع القرآني الإسلامي يتصادم مع مشروع الهيمنة الغربية ومحاولة استنزاف ثروات الآخر، المسلم وغير المسلم، تحقيقاً لمصالح وجشع نخب محددة في العالم الغربي.

هنا ظهرت حركة الاستشراق، كما ظهرت حركة لنقل القرآن الكريم إلى لغات الغرب، بل وتفسيره من قبل مجموعة من المستشرقين. ولهذا نجد «نكلسون» المستشرق الإنجليزي، و«ماسينيون» الفرنسي، و«جولدتسيهر» الألماني قاموا بتفسير القرآن الكريم، وغيرهم الكثير. وهنا كان لعلماء الاجتماع في الغرب دورهم في دراسة الإسلام ودراسة القرآن والسنة. البعض كان

محايداً، والبعض الآخر كان متعصباً ضد الإسلام بصورة خفية، والبعض أعلن العداء الصريح للإسلام. وقد وصل الأمر بمفكري الغرب إلى محاولة القضاء على القرآن الكريم (النص الإلهي الأصلي)، وترويج كتب هزيلة على أنها بدائل عن القرآن، أو على أنها هي القرآن، ولعل أبرز الأمثلة وأحدثها ما وزع من جانب أمريكا في بعض دول الخليج، وتم الترويج له تحت ما يسمى «الفرقان الحق». وهذه الأعمال تمثل محاولات مستمرة من جانب أعداء الإسلام والحاقدين عليه، والذين يسوءهم انتشار قيم العدل والحق والإخاء؛ لأنها تضر بمصالحهم المتوحشة. وقد بدأها قديماً مسيلمة الكذاب في نجد، ولا تتوقع أن تنتهي هذه المحاولات حتى تقوم الساعة. فالحياة كما أخبرنا القرآن الكريم تقوم على التدافع بين الحق والباطل، وسوف ينصر الحق بإذن الله.

وموقف بعض المستشرقين في علم الاجتماع في الغرب، من قضايا الإسلام تحتاج إلى تجلية وتوضيح. فمنهم المحايدون والمنصفون، ومنها المنحازون والضالون والمفسدون: هذا سوف يمثل الجزء الأول من البحث الحالي.

أما الجزء الثاني، فيتمثل في كيفية تدريس الإسلام في الغرب، وكيفية فهم آيات الذكر الحكيم، وكيفية تشكيل اتجاهات الطالب الغربي نحو الإسلام والمسلمين، وهذه قضية بالغة الخطورة؛ لأن العديد من كتب ومناهج التاريخ والاجتماع والدراسات الثقافية التي يدرسها الطالب في الابتدائي والإعدادي والثانوي في دول أوروبا وأمريكا بها العديد من المعلومات المشوهة والمغلوطة حول الإسلام، وحول النبي ﷺ وحول أهداف وقيم وسلوكيات المسلمين.. ولا شك أن خطورة هذا التزييف الواضح ـ المتعمد منه وغير المتعمد ـ في المناهج التي يدرسها الطالب الغربي تتمثل في تكوين وجدانات واتجاهات ورأي عام معاد للإسلام والمسلمين لدى الناس في الغرب، دون داع ودون وجه حق، الأمر الذي ينعكس سلباً على كل قضايا المسلمين في العالم، اعتباراً من قضايا فلسطين والعراق وأفغانستان والعالم العربي، إلى قضايا وحقوق الجاليات

الإسلامية في الغرب. ولعل أحداث فرنسا الحالية أوضح مثال على هذا. لاشك في أن هذا الموقف المعادي للإسلام والمسلمين يؤثر على العلاقات والمعاملات بين الدول الإسلامية والغرب، وفي مقدمة هذا حوار الأديان، وحوار الثقافات والحقوق الاقتصادية والقضايا الوطنية.

ولعل أبرز جوانب الزيف والتشويه في كتب ومقررات التاريخ التي تدرس لطلاب أوروبا، كما عبرت عنها دراسات واقعية أجريت خلال السنتين الماضيتين وعرضتا في مؤتمر عقد بجامعة الدول العربية في ديسمبر 2004م:

1 ـ الإسلام ليس ديناً سماوياً، وإنما هو ثقافة من الثقافات المتعددة في عالم اليوم (هذه النقطة تنسف أية محاولة للحوار).

2 ـ محمد ﷺ ليس مرسلاً من قبل الله وإنما هو مفكر أو مصلح اجتماعي، وفي أحسن الحالات قائد مبدع استطاع إحداث أسرع تغير اجتماعي وحضاري في التاريخ.

3 ـ القرآن الكريم ليس منزلاً من عند الله، إنما هو من تأليف محمد ﷺ، أو هو محصلة آراء؟ سابقة عليه في التاريخ (وفي ذلك إنكار للوحي).

4 ـ الإسلام انتشر بالسيف، وهنا يفسرون آيات الحرب والجهاد في الإسلام تفسيرات مشوهة حيث يخلعونها من سياقها التاريخي والاجتماعي واللغوي، ويخضعونها لتفسيراتهم الشخصية المغرضة. مثل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]، فهم يركزون على: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ويهملون ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، كما يهملون: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: 36] فالأمر بالقتال هنا عندهم لكل غير المسلمين دون تمييز، مع أن الآية واضحة في الأمر بقتال المعتدين أو المتآمرين أو المفسدين الذين يضمرون شراً بالمسلمين. ومن الثابت تاريخياً أن الرسول ﷺ لم يحارب إلا دفاعاً عن الدولة،

أو دفاعاً عن الدعوة، أو إحباطاً لمؤامرات تهدف إلى القضاء على الإسلام والمسلمين. فلم يثبت التاريخ أية حرب عدوانية قام بها الرسول ﷺ.

5 ـ العداء للحضارة الغربية، ويستثمرون بعض الآيات القرآنية التي يخرجونها عن معناها الحقيقي، مثل: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120] هذه حقيقة وهذا تقرير واقعي. وهم يتجاهلون أن المشروع الحضاري الإسلامي منفتح على كل الحضارات والثقافات، بما فيها الحضارات الوثنية بعد عرضها على ثوابت الإسلام وضوابطه، فما اتفق معها وحقق نفعاً للمسلمين قبلناه. ولعل أبلغ الأدلة على هذا حضور الرسول ﷺ قبل البعثة حلف الفضول. وقال عنه بعد البعثة: «لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت»، والأمثلة كثيرة في عهد الرسول ﷺ وأبو بكر وعمر بن الخطاب الذي أخذ عن الروم فكرة الدواوين. . . إلخ.

6 ـ الخلافة حكم ثيوقراطي ديني. والحق أن الإسلام أبعد ما يكون عن الثيوقراطية. فالله لا يحكم العالم من خلال شخصية الحاكم، إنما الحكومة في الإسلام حكومة مدنية منتخبة من الجماهير، ويمثلهم أهل العلم والرأي والمشورة، وهم أهل الحل والعقد، وهناك شروط يجب توافرها في الحاكم وحقوق للحاكم، وحقوق للمحكومين، ورقابة شعبية، وديمقراطية «شورى» في اتخاذ القرارات، وهو منهج واجب الأخذ به.

7 ـ المرأة في الإسلام مستعبدة، ليس لها حقوق. هذا كذب وافتراء، فتاريخ تكريم المرأة وتاريخ ميلاد حقوقها في العالم هو رسالة محمد ﷺ. يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً. . .﴾ [النساء: 1]، والرسول ﷺ يوجهنا إلى أن: «النساء شقائق الرجال». والقرآن يعطي المرأة كل ما للرجل من حقوق إلا حق القوامة عليه. يقول تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]، والمرأة في الإسلام لها ذمتها المالية المستقلة وحقوقها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تماماً مثل الرجل، ولها أن تتقلد كل المناصب عدا مركز الولاية العامة في المجتمع.

والمرأة في أوروبا حتى القرن الثامن عشر كان ينظر إليها على أنها شيطان، وأنها سبب الخطيئة الأولى، وأنها تتحمل هذه المسؤولية. وهي إلى اليوم يتم الاتجار في جسدها وجمالها في الإعلام لصالح رجال الأعمال ولتحقيق الأرباح الحرام، التي يسعى رجال الأعمال في الغرب إلى تكريسها دون نظر إلى حلال أو حرام.

8 ـ ربط الإسلام بالتطرف والإرهاب والعنف. ففي كتب التاريخ لتلاميذ المدارس الإعدادية في إنجلترا في كتاب «الأديان في العالم» Religions in the world عام 2002م يقول المؤلف: «إن الأخبار عن الإرهاب كثيراً ما تشتمل على مسلمين. فمثلاً نسمع عن جماعات فلسطينية مسلحة تفجر الحافلات في إسرائيل، كما نسمع عن إرهابيين مسلمين يزرعون القنابل في المطارات، ويقومون بخطف الطائرات.. ويبدو أن هؤلاء المسلمين متطرفون. ولكن الأخبار ربما أعطت انطباعاً بأن هؤلاء يمثلون التيار العام للمسلمين وأن الإسلام دين عنف».

9 ـ الإسلام دين طقوس جامدة غير مفهومة: إفعل هذا ولا تفعل ذلك، هذا حلال وذاك حرام، هذا محظور وذاك مباح.. وهو لا يحمل رسالة حضارية للعالم.

10 ـ ربط الإسلام بالتخلف. «أغلب الدول الإسلامية من العالم الثالث»، وهم لا يفهمون أن هذا لم يحدث بسبب الإسلام، وإنما بسبب تخلي المسلمين عن قيمهم الإيمانية التي هي قيم التقدم الحضارة، وكانوا من قبل قد أفرزوا أكبر حضارة علمية وفكرية وثقافية عندما تمسكوا بدينهم، وأن هذه الحضارة ساعدت أوروبا على النهضة والصحوة بعد مرورها بالعصور الوسطى المظلمة.

هذا بعض من كل ما ورد في كتب ومناهج التاريخ والاجتماع والدراسات الثقافية في أوروبا وأمريكا عن الإسلام والمسلمين. وقد عقد في رحاب جامعة الدول العربية مؤتمراً مهماً شارك في عقده اليونسكو والمعهد السويدي بالإسكندرية، تحت عنوان: «المؤتمر الدولي» عن صورة الثقافة العربية

والإسلامية في كتب التاريخ في الدول الأوروبية» في الفترة من 12 ـ 14 ديسمبر 2004م.

وقد كانت أهداف المؤتمر كما يلي:

1 ـ تنقية كتب التاريخ في أوروبا والغرب من الصورة السلبية والمعلومات المشوهة، ومراجعة وإزالة الأخطاء في الكتب المدرسية، مثل الصور النمطية السيئة عن الآخر التي تحط من شأن الثقافات الأخرى.

2 ـ التمييز بين الإسلام كدين ومبادئ وأسس وقيم، وبين سلوكيات بعض المسلمين أو بعض مواقف في التاريخ السياسي للدول الإسلامية.

3 ـ الحوار بين الأكاديميين واضعي المناهج لتصحيح الأخطاء التي تخلق صورة سلبية عن الآخر، وتؤدي إلى العداء والخلافات بين الشعوب.

4 ـ السعي لتربية الطلاب في الدول الإسلامية والغربية على التسامح واحترام الآخر، وقبول التعدد في المنظورات Multiperspectivity.

5 ـ بناء آلية دائمة للحوار الثقافي بين العرب وأوروبا؛ لمراجعة الكتب المدرسية، وتصحيح ما بها من أخطاء تتعلق بالآخر.

● **وقد خرج المؤتمر بعدة توصيات، أهمها:**

1 ـ ضرورة العمل معاً (المسلمون والأوروبيون) على تصحيح الأخطاء الواردة بالمناهج الدراسية، كل عن الآخر، بناء على معايير أكاديمية دقيقة.

2 ـ إرساء مبدأ التنوع الثقافي والديني، ووجود رؤى متعددة.

3 ـ ضرورة الاعتماد على وثائق ومصادر صحيحة.

4 ـ مناقشة كيفية معالجة المسائل الخلاقية.

5 ـ تبادل الطلاب والمنح الدراسية وعقد ندوات ولقاءات لتدريب المعلمين.

6 ـ إقرار خطة متوسطة المدى للتعاون المشترك؛ لإنتاج مواد علمية تدرس، يشارك فيها أوروبيون وعرب.

7 ـ ضرورة إعداد توجيهات محايدة لتوجيه المدرسين ومؤلفي الكتب المدرسية للاسترشاد بها.

ومرفق هذه الورقة تقرير عن أهم الأبحاث والأوراق العلمية المتقدمة في المؤتمر، أعده وليد كساب، الباحث برابطة الجامعات الإسلامية.

أولاً ـ موقف بعض المشتغلين بعلوم المجتمع الغربي من الإسلام:

يتضح للمستعرض لموقف علماء اجتماع الغرب من الإسلام تناقضاً كبيراً في المواقف، وفي النظرة إلى المشروع الحضاري الإسلامي وعلاقته بالمشروع الحضاري الغربي. فهناك من يقفون موقف العداء السافر للإسلام ومشروعه الحضاري، مثل: «ماكس فيبر» و«ماكسيم رودنسون»، خاصة في كتاباته الأولى، و«فرنسيس فوكوياما»، و«صمويل هنتنجتون» أستاذ العلوم السياسية في هارفارد.

وهناك من العلماء من أدركوا أن الإسلام ومشروعه الحضاري لا يتعارض مع العلمية والعقلانية والموضوعية، وإعلاء قيمة الإنسان، وهي الأمور التي دافعوا عنها، وكان هذا الإدراك في أواخر أيامهم، مثل: «كونت» و«سبنسر». وهناك من يتناول الإسلام بموضوعية وحياد إلى حد كبير، وفهم لجوهر رسالته الاجتماعية التي تتصل بتحرير الإنسان، وإقامة الأمة الوسط، وتحقيق العدالة والمساواة والتنمية، وإن كان يشوب آراءهم في بعض الأحيان قدر من الخلط والتحيز واللاعلمية، مثل: «جاك بيرك» عالم الاجتماع الفرنسي، و«أوليفيه كاريه» أستاذ الدراسات الإسلامية العليا بالسوربون. وسوف نبدأ بالعرض ثم النقد والتقويم.

● **موقف ماكس فيبر:**

يشير «فيبر» إلى أنه قد ظهر نظام إقطاعي في الدول الإسلامية، وأن

الفلاحين كانوا يسددون الضرائب لصاحب الأرض. وقد ظهر نظام بيروقراطي خلال بعض العصور الإسلامية، كالعصر العباسي والمملوكي والعثماني، لكنه يرى أن الإقطاع الشرقي اتسم بالاستبداد، مما أدى إلى الركود الاقتصادي، ولم يتح الفرصة لظهور الرأسمالية كما حدث في الغرب. ويذهب «فيبر» إلى أن البيروقراطية التي ظهرت في الدول الإسلامية لم تتسم بالطابع العقلاني، الأمر الذي عوق ظهور الرأسمالية في تلك الدول. وهو يرى أن النظام الإسلامي وطبيعة النظم الاقطاعية والبيروقراطية التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية، لم تؤد إلى نمو العقلانية والدافعية للإيجاز والإنتاج، ولم تدعم الدافع للعمل المنتج والادخار، وبالتالي لم تؤد إلى تراكم للأموال والثروات يسهم في ظهور النظام الرأسمالي، وهو شرط أساسي للنمو عند فيبر، وهو يرى أن هذا النظام بشكله المؤدي إلى النمو والتقدم لا يظهر إلا في ظل الحضارة الغربية تحت تأثير البروتستانتية وإن كانت جذورها ترجع إلى الفلسفة الإغريقية.

● موقف ماكسيم رودنسون:

وإذا ما انتقلنا إلى عالم الاجتماع الفرنسي «ماكسيم رودنسون» M. Rodinson نجد أنه نشر عام 1966م دراسة بعنوان «الإسلام والرأسمالية»، كما نشر مجموعة مقالات عام 1979م بعنوان «الماركسية والعالم الإسلامي». وقد ذهب إلى أن الإسلام لا يقبل الرأسمالية لأنه لا يحرص على العقلانية، وإلى أن الإسلام لم يوضح مساراً اقتصادياً متميزاً ومحدداً لاتّباعه، ويرى هذا المفكر أن الإسلام لم يوقف انتشار الرأسمالية والاشتراكية في العالم الإسلامي، وأنه لا يوجد طريق ثالث، فالاقتصاد إما أن يكون رأسمالياً أو ماركسياً. فليس هناك في نظره اقتصاد إسلامي أو مسيحي أو عربي أو أوروبي.

وكرر «رودنسون» نفس هجوم «فيبر» على السلام بغير علم، حيث ذهب إلى أن الإسلام لا يحقق التعبئة الاقتصادية للجماهير، ولا يحفزها على العمل والإنتاج وتحقيق الإنجاز، وناقش موقف الإسلام من الربا مؤكداً أن موقف

الإسلام من الربا والفوائد وأرباح البنوك والودائع يعد معوقاً للنمو الاقتصادي. وهو يدعي أن العديد من صور النشاط الاقتصادي داخل العالم الإسلامي هي صور رأسمالية خضعت للاحتيال على تحريم الربا، وبهذا تطابقت ـ إلى حد كبير ـ مع النمط الآسيوي في الماركسية، وهو ـ في نظره ـ نمط إقطاعي.

وفي الفصل الثالث من دراسته الثانية التي أطلق عليها «الأيديولوجيا الإسلامية» خرج بأن الإسلام لا يدعم النمو الاقتصادي، وكل ما يستطيعه هو التأثير العاطفي على الجماهير، ولكنه لا يحقق التعبئة الاقتصادية ولا يحدد لهم طريقاً محدداً، ولا يقدم لهم توجيهات محددة، وأكد في نهاية دراسته على أن الجماهير سوف تنصرف عن الإسلام إن عاجلاً أو آجلاً. وقد عدل رودنسون هذه النظرية إلى حد ما في دراساته اللاحقة.

● موقف فوكوياما:

وإذا ما انتقلنا إلى «فرانسيس فوكوياما» F. Fukuyama الذي يرى أن النظام الليبرالي الغربي هو نهاية التاريخ، وأنه هو الحل للخروج من مستنقع التاريخ والتخلف، وذلك في كتابه بعنوان «نهاية التاريخ وخاتم البشر»، فإننا نجده يتساءل عن مدى وجود حركات ونظم ونماذج قادرة على منافسة النظام الليبرالي، وهو يرى أن هذا النموذج الأخير قضى على كل النماذج الهزيلة المناوئة له كالنازية والفاشية والماركسية. فقد تم القضاء على النماذج النازية والفاشية عن طريق الرفض الأخلاقي والتدمير العسكري لهذه النظم، أما النظام الماركسي فإن فشله الاقتصادي هو الذي قضى عليه. وعلى الرغم من المسيرة المستمرة والناجحة لنظام السوق، فإن هناك مجموعة من التحديات التي تعترضه، أبرز أهمها في تحديين أساسيين هما:

الأول: القوميات والنزعات العرقية، وهذه ليست إلا شكلاً من أشكال الارتباط الثقافي بالماضي، وهي سوف تزول مع مسيرة التاريخ.

الثاني: التيارات الدينية والصحوة الأصولية عند المسلمين والمسحيين

واليهود، وهذه التيارات تعكس ظاهرة الخواء الروحي أو القيمي، وعدم النجاح في إشباع الجوانب الروحية عند الإنسان، على الرغم من تزايد الإنتاج المادي، وإتساع نطاق الاستهلاك في المجتمعات الغربية. وهو يعترف بأن هذا الجانب يمثل نقطة ضعف في النظام الليبرالي، على الرغم من أن هذا النظام كان هو المُخَلِّص من الاستبداد الكنسي والديني في الغرب. وهو يرى أن هذه التيارات غير ذات بال ولن تؤثر على مسيرة الليبرالية. وهو يركز بشكل خاص على الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يقدم مشروعاً حضارياً ونموذجاً سياسياً متكاملاً يمكن إحلاله محل النظام الليبرالي، ولكنه يطمئن نفسه بأن الإسلام ليس له جاذبية عند غير المسلمين، وبهذا لن يتحول إلى حركة عالمية، ولن يصبح - في نظره - بديلاً عن النظام الغربي، وهكذا سيسود النظام الثقافي والاقتصادي المتجانس عالمياً، ولا شك أن هذا التحليل يعكس المخاوف الشاذة من إنتشار الإسلام في الغرب، وهو ما يمكن أن نطلق عليه «فوبيا الإسلام».

● موقف هانتجتون:

وإذا ما انتقلنا إلى «صمويل هانتجتون» أستاذ علم الحكومات بجامعة هارفارد، نجد أنه لا يقل تحاملاً وحقداً على الإسلام من المفكرين السابقين، فقد تبنى نظرية أطلق عليها «نظرية الصدام الدموي بين الحضارات»، وهي تتضمن فكرة لها جذورها القديمة في الفكر الثقافي والسياسي، فقد ذهب هانتجتون إلى أن القرن القادم يحمل احتمال صراع دموي بين الحضارات. وإن الحرب أو الشكل الأساسي للصراع القادم هو صراع الحضارات. وهو يرى أن هناك سبع مجموعات حضارية وهي: الحضارة الغربية والإسلامية، والكونفوشيوسية الصينية والسلافية، والأرثوذوكسية، والإفريقية، وأخيراً حضارة أمريكا اللاتينية. وهو في تبنيه للحضارة الغربية وسعيه إلى الدفاع عنها، يؤكد على ضرورة تحقيق أقصى درجات التعاون بين الدول المنتمية لها على كل المستويات، ويؤكد على ضرورة الحد من التوسع العسكري والاقتصادي

والسياسي للحضارات الأخرى، خاصة تلك التي يمكن أن تكون خصماً للحضارة الغربية. وهو يركز بشكل خاص على الحضارة الإسلامية، يرى أنها تمثل خطراً على الحضارة الغربية وتحمل عناصر الإرهاب والعنف؛ ولهذا يجب - في رأيه - استغلال الخلافات بين الدول الإسلامية والعمل على تفاقمها لإضعاف هذه الدول، وحتى يمكن وضع قدراتها باستمرار تحت سيطرة الغرب وتحكمه، وهذه الدعوة العنصرية في النظر إلى الحضارات، ورمي الإسلام بالعنف والإرهاب والخوف المَرَضِي منه، والنظر إليه على أنه البديل للعدو السوفياتي الماركسي المنهار، فالإسلام هو الخطر الأخضر الذي حل محل الخطر الأحمر في تهديد الحضارة أو المشروع الحضاري الغربي في نظره.

ولا شك أن هذه الدعوة دعوة عنصرية هي بطبيعتها غير حضارية، وهي دعوة يحاول بها كتاب الغرب وقف زحف الفكر الإسلامي على الغرب لتخليصه من أسر حضارة العبودية للمادة والآلة. فليس تاريخ الثقافات والنظم والفلسفات إلا تاريخ الحوار والإنتشار والتفاعل، فإذا حدث الصراع مَسَّ بعض الجوانب ولكن يبقى الأصل وهو التفاعل الإيجابي، وتاريخ حضارات العالم يشهد بذلك.

● **موقف جاك بيرك من الإسلام:**

هو عالم اجتماع ومستشرق فرنسي يؤكد أن الإسلام دين الوسطية، مستدلاً بالآية 143 من سورة البقرة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وهو يرى أن صورة الإسلام في الغرب صورة مشوهة عن عمد. فهم يصفونه بالأصولية.

وعلى الرغم من أن كل الأديان لها أصول، وهذا ينطبق على عقيدة اليهود والمسيحيين والمسلمين، إلا أن الغرب حين يطلقها على الإسلام يقصد بها التطرف والعنف والإنغلاق، وهي خصائص منافية تماماً لحقيقة الإسلام.

وهو يرى أن خوف الغرب من الإسلام بالذات، ومحاولة تشويهه ترجع إلى عدة أمور منها:

1 _ أن العرب والمسلمين هم أكثر الشعوب قرباً من حيث الجوار الجغرافي من الغرب.

2 _ أن المسلمين والغرب بينهم عداوة تاريخية بسبب الماضي الاستعماري.

3 _ أن الإسلام والمجتمعات الإسلامية يمثلان العقبة الكبرى أمام الغرب للسيطرة على العالم واستقطابه، فهذه المجتمعات الإسلامية تقف في مواجهة الولايات المتحدة وإسرائيل في محاولة إخضاع كل مناطق العالم لسيطرتها؛ وذلك لأن المسلمين يمثلون أمة لها رسالة تتصل بنشر الحق والعدل.

4 _ أن الإسلام له برنامجه الذي يتسم بالعالمية والدوام، ويتناقض مع برنامج الغرب، وهذا يضعنا أمام نموذجين اجتماعيين.

ويؤكد بيرك أن الإسلام مستهدف من قبل لحملات الدعاية المسمومة من الغرب، وقد ألف «بيرك» وترجم العديد من الكتب، منها: «الغرب من الأمس إلى الغد»، و«الشرق ثانياً»، و«الإسلام أمام التحدي»، و«المغرب بين حربين»، و«مصر: الامبريالية والثورة»، و«المغرب: التاريخ والمجتمع»، و«من الفرات إلى الأطلسي»، وفي عام 1987 أصدر كتاباً بعنوان «عربيات»، وفي عام 1989م أصدر كتابا بعنوان: «مذكرات الضفتين»، وآخر كتاب له عام 1993م كان بعنوان: «إعادة قراءة القرآن». وقد انقسم المفكرون المسلمون إزاء أفكار «بيرك»، فالبعض يرى أنه خدم الإسلام كما لم يخدمه أبناؤه ومعتنقوه، وكان صوته في جامعة «السوربون» وفي «كوليج دي فرانس» وفي كافة المعاهد والمحافل العلمية الدولية أعلى الأصوات دفاعاً عن المسلمين وصورة العرب في أوروبا، وهناك من يتهم هذا المفكر بالحقد والتجني على الإسلام، وهناك من يرى أن أعداء العرب والحاقدين على الإسلام وراء هذه الحملة ضد الرجل للإيقاع بينه وبين المسلمين، وما يزال الأمر محتاجاً إلى تحليل موضوعي لآراء «بيرك».

● **موقف أوليفيه كاريه من الإسلام:**

هو مفكر فرنسي يشغل وظيفة كبير أساتذة جامعة السوربون للدراسات العليا والبحوث العربية والإسلامية. ينقسم الرأي إزاء فكره.، فالبعض ينظر إليه كمستشرق، والبعض يرى أنه باحث موضوعي عرف بدفاعه عن الإسلام والالتزام بالتحليل العلمي الأكاديمي، على الرغم من أنه لم يعتنق الإسلام. وله مؤلفات عديدة، أهمها: «التاريخ العظيم للإسلام»، «الإسلام والدولة في عالم اليوم»، «المفاهيم الفلسطينية للمقاومة الوطنية»، «الإخوان المسلمون: 1928 ـ 1982م»، «مصر اليوم».

ويؤكد هذا المفكر أنه إذا كانت مبادئ الثورة الفرنسية تتلخص في الحرية والإخاء والمساواة، فقد سبق للإسلام أن أكد هذه المبادئ بوضوح وبأمانة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، والإسلام أكثر الديانات انفتاحاً وتسامحاً تجاه غير المسلمين، ويجعل الصلة بالله مباشرة دون وساطة، على عكس الحال في الديانات الأخرى. والإسلام دين عالمي لا يرتبط بجنسية محددة، فكل الشعوب الإسلامية تجتمع على الإيمان بالعقيدة. وإذا كان الإسلام واحداً كعقيدة وشريعة وكمبادئ وكقواعد، فإن هناك ممارسات دينية بعيدة عن المبادئ الأساسية للإسلام، تتأثر بما يطلق عليه بعض العادات العبادية أو الابتهالية المستمدة من التاريخ القديم ويضرب أمثلة على هذا بأنه في اليابان والفلبين تضفي البوذية والهندوسية صبغة صوفية على الممارسات الدينية لبعض المسلمين، ونفس هذا الأمر يتمثل في وجود الفرق الصوفية البعيدة عن جوهر الإسلام في إفريقيا وبعض دول الشرق الأوسط.

وهو يرى أنه إذا كان الإسلام دين السلام والعدل والإخاء والمساواة، فإن الجماعات التي تدعي انتمائها للإسلام، وتمارس العنف، ساهمت بشكل كبير في تشويه حقيقة هذا الدين في ميزان العقل الغربي، ذلك العقل الذي لا يعرف الإسلام إلا من خلال هذه الجماعات المنحرفة أصلاً عن الإسلام. وعلى الرغم من أن الإسلام في فرنسا هو الدين الثاني بعد الكاثوليكية، والمسلمون يصلون

إلى 6,5 مليون نسمة، ونسبة عددهم أكبر من البروتستانت واليهود، فقد رفض المسؤولون دخول الوعاظ المصريين إلى فرنسا في رمضان 1993م. ويرى «كاريه» أن هذا خطأ في الفهم والتقدير نجم عن أن بعض الذين ينتمون إلى الإسلام شكلاً دخلوا إلى فرنسا وعملوا لصالح جهات أجنبية بعيداً عن جوهر الإسلام، ويضرب مثلاً على هذا بأحداث عام 1985م و1986م، الأمر الذي أدى إلى اتخاذ هذا القرار، ولكنه يمثل تعميماً وبعداً عن الصواب، وهو يرى أن العديد من الأوروبيين لا يعرفون الإسلام إلا من خلال الجماعات المتطرفة البعيدة أساساً عن روح الإسلام الحقيقية، تلك التي تتمثل في السلام والعدل والحرية والتقدم.

• • •

علم الاجتماع والحاجة إلى الدين:

على الرغم من أن أغلب علماء اجتماع الغرب البرجوازي، وعلماء الاجتماع الماركسي يشتركون معاً في المقولة الزائفة التي تربط الفكر الديني بالتخلف، وتربط بين الموضوعية والتخلص من الأفكار المسبقة في مجال صياغة مضامين النظرية والاجتماعية القادرة على تلخيص الواقع وتفسيره والربط ذبين متغيراته بعلاقات كلية أو جدلية أو وظيفية، إلا أن الواقع يؤكد على أنه لا يمكن بناء نظرية اجتماعية دون الإستناد إلى الدين أو القيم، خاصة بالنسبة لما يطلق عليه النظريات الكبرى Macro Sociology وهذا ما يؤكده بعض علماء اجتماع الغرب أنفسهم، فهذا «جنرميردال» يؤكد أنه لا يوجد شكل آخر لدراسة الواقع الاجتماعي غير دراسته من وجهة نظر المثل الإنسانية، فالعلم الاجتماعي الخالي من المصلحة لم يوجد أبداً ولا يمكن أن يوجد مطلقاً من الناحية المنطقية، فالتوجهات القيمية هي التي تحدد لنا قضايا الدراسة، وهي التي تمنحنا توجهات محددة للتفسير، ويؤكد «ميردال» أن العلم الاجتماعي الخالي من المصلحة هو هراء فارغ.

ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يدرس الواقع دون إطار تصوري وتفسيري ومعياري، ولا يمكن أن يشتق هذا الإطار من الدراسات الواقعية، وعلم الاجتماع محتاج إلى نماذج معيارية تحدد صورة العلاقات والسلوكيات، وأساليب تحقيق التكامل، ومضامين العدالة والحق والمساواة والإخاء المطلوب تحقيقها من خلال خطط التنمية ومن خلال الجهود الإصلاحية التي يبذلها المسئولون. كل هذا يعني أن فكرة الحياد العلمي ومحاولة تطبيق مفهوم التجريد المستخدم في العلوم الطبيعية عند دراسة المجتمع والعلوم الاجتماعية، كل ذلك ينطوي على مغالطة وتزييف للحقائق. وهذا يعني أن عالم الاجتماع لا بد أن ينطلق من إطار تصوري وتفسيري. ومن أين يأتي بهذا الإطار؟ إما من فلسفات وضعية، وهنا نلحظ الانحياز الإيديولوجي، وهذا هو الواقع في علم الاجتماع الغربي والشرقي على السواء، وإما أن يستمد هذا الإطار من الدين، وبهذا تتحقق الموضوعية بأرقى صورها. وإذا كان الدين الإسلامي هو خاتم الديانات وهو الدين الحق، وهو الذي حفظه الله من التحريف إلى يوم الدين، كان لزاماً أن ينطلق علم الاجتماع عند الباحث المسلم من المنطلقات الإسلامية، على حد سواء في البناء العقدي والتشريعي والقيمي والأخلاقي الموجه لحياة المسلم وفكره وسلوكياته، أو من حيث نظرة الإسلام إلى الكون والحياة والإنسان والمجتمع، ورسالة كل منهما في الحياة، وأساليب تحقيق القوة بشقيها: الإيماني، والمادي.. إلخ.

وعلى الرغم من كل دعاوي علماء الغرب والشرق إلى علم اجتماع محايد أيديولوجياً وعقدياً، فإن الواقع الذي يشهد به نقاد هذا العلم يؤكد الإنحياز الأيديولوجي ابتداء من تحديد المفاهيم وتحديد المصطلحات (مفهوم المجتمع والنظام والعلم والطبقة... إلخ)، وانتهاء إلى تحديد المناهج وأساليب الدراسة (مناهج كيفية وكمية، مناهج علوم طبيعية، ومناهج علوم إنسانية، ومناهج وظيفية، وجدلية... إلخ) وتحديد الأطر المفسرة (الليبرالية أو الماركسية، التوازن أم الصراع، والفكر والقيم أم علاقات الإنتاج والواقع الاقتصادي..)،

هذا فضلاً عن الصراع حول تصور طبيعة المجتمع الذي يهدف التخطيط إلى تحقيقه (يسوده الحرية المطلقة والليبرالية السياسية والاقتصادية والاجتماعية إستناداً إلى نظرية الحقوق الطبيعية، أم المجتمع الذي تختفي فيه كل مسببات التباين، كالملكية والأسرة والطبقات والدولة والدين والتنوع العرقي. . . إلخ). ولا شك أنه إذا كان لا بد لعلم الاجتماع أن يستعين بإطار تصوري وتفسيري، وأن هذا الإطار إما أن يستمد من فلسفات وضعية أو دين سماوي، فإن الأولى أن يستمد من الأسس والمنطلقات الإسلامية التي تختلف جذرياً عن الفلسفات الوضعية من حيث إلهية المنشأ، والصلاحية لكل زمان ومكان، وتحقيق التكامل بين الثوابت والمتغيرات، وتستهدف تحقيق أقصى درجات القوة الإيمانية بمعايير الإسلام، المادية بمقاييس العلوم في كل عصر، وتحقق العدالة والحرية والمساواة والإخاء من خلال المعيار الإلهي، وليس من خلال تحديدات وضعية عاجزة منحازة ومقيدة بقيود محدودية العقل البشري وحدود الزمان والمكان، والخلفيات الأيديولوجية والمصلحية، والظروف الشخصية لكل فيلسوف. ولا شك أن العلوم الاجتماعية في حاجة إلى موجهات ومنطلقات دينية، وأنها في غيبة هذه المنطلقات تضل الطريق؛ لاعتمادها على فلسفات بشرية.

- **محاولة لتفسير العداء للدين في الفكر الغربي:**

نستطيع تفسير أسباب العداء السافر أو الخفي أو اللامبالاة إزاء الدين في الفكر الغربي بشكل عام، وإزاء الإسلام بشكل خاص، في ضوء عدة عوامل من أهمها ما يأتي:

أولاً: واقع التجربة الدينية الإغريقية التي تمثل العمق الاستراتيجي أو التاريخي للحضارة الغربية. فقد صور الإغريق آلهتهم بصورة مفزعة ومقززة، فهي في صراع مستمر بينهم وبين بعضهم البعض، وبينهم وبين الإنسان، ودائماً تحدث النتيجة ضد الإنسان، دماراً وعذاباً وشقاء في حياته. فالآلهة لا تكترث بالإنسان ولا ترحمه ولا تساعده. ويمكننا أن نستنتج هذا الأمر من الأساطير الإغريقية أو «الميثالوجيا الإغريقية»، ونكتفي كمثال بعض أسطورتين، هما:

«أسطورة زيزيف»، و«أسطورة بروميثوس» وهناك العديد من الأساطير الأخرى، مثل: أسطورة «أوديب» و«إلكترا» اللتان استعان بهما «فرويد» في بعض استنتاجاته المنحرفة المتعلقة بالنفس الإنسانية.

وتصور أسطورة «زيزيف» تعنت الآلهة وظلمهم الفادح للإنسان، فقد ارتكب زيزيف وهو إنسان خطأ ما، فعاقبته الآلهة بدون رحمة، حيث حكمت عليه بحمل صخرة ضخمة من سفح جبل حتى يصل بها إلى القمة، ثم تعيد الآلهة الصخرة إلى السفح فيعيد الإنسان حملها وهكذا الأمر في دورة من العذاب والانتقام الرهيب. وهذا يشير إلى بؤس الإنسان وقدره المحتوم في صراعه الأبدي مع الآلهة الأقوى منه والأكثر تجبراً.

أما أسطورة «بروميثيوس» فإنه تعكس الصراع الأبدي بين الآلهة وللإنسان، فتروى أن «زيوس» كبير الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين، وسواه على النار المقدسة التي ترمز إلى العلم والمعرفة، وأنزل الإنسان بعد خلقه إلى الأرض وحيداً يعاني الظلمة والجهل، وهنا ظهر كائن أسطوري يدعى «بروميثوس» أشفق على الإنسان وقدم إليه مساعدة عن طريق قيامه بسرقة النار المقدسة من الله، وأعطاءها للإنسان، وهذا يرمز إلى منحة المعرفة والعلم. وغضب «زيوس» لذلك، ولكنه عجز عن أن يسترد النار المقدسة (لاحظ التناقض هنا: إله يسرق، وإله يعجز، وإله ينتقم).

ولهذا عاقب «زيوس» «بروميثيوس» بأن أرسل إليه نسراً مفترساً ينهش كبده طول النهار، وينمو كبد جديد مكانه خلال الليل، ويعود النسر ينهشه نهاراً، وهكذا في دورة أبدية من الشقاء. أما انتقام الإله الأكبر «زيوس» من الإنسان «إيبمثيوس» لأنه امتلك النار المقدسة وبالتالي عرف الأسرار التي هي من شأن الإله وحده، فتمثل في أن أرسل له أنثى تدعى «باندورا» بحجة إيناس الإنسان في وحدته، وأرسل معها هدية للإنسان عبارة عن صندوق مليء بكل أنواع الشرور والآفات التي تطايرت وملأت الأرض فور فتحه. وهكذا تصور

الأسطورة انتقام الآلهة من الإنسان لأنه عرف أسرار الخلود والأسرار المتعلقة بالألوهية.

ويؤكد «جوليان هكسلي» الداروني الملحد: أن هذه الأسطورة بمضامينها التي تعكس علاقة البغض والحقد بين الآلهة والناس، وحرص الله على تملك المعرفة، وحصول الإنسان على هذه المعرفة ومحاولة الآلهة إفساد نجاحاته العلمية.. هذه الأسطورة لا تزال حية مؤثرة في الوجدان الباطن للفكر الأوروبي المعاصر. ونستطيع على ضوئها أن نفسر التقابل الذي يضعه العديد من المفكرين الأوروبيين بين الدين والعلم، أو بين الروح والعقل، فالجهل والعجز وحدهما هما اللذان يخضعان الإنسان للإله، وكلما تقدم العلم ونمت المعلومات وفكت أسرار الكون والمجتمع والإنسان، تراجع الدين وقلت حاجة الإنسان إليه، حتى يحل الإنسان في النهاية مكان الإله. ونلاحظ هذا التصور بارزاً في فكر «كونت» و«فيبر» و«ماركس» و«نتشه» و«ديورانت»، و«هكسلي»... إلخ.

وفي مقابل هذه الرؤية الجاهلية الخبيثة الأسطورية، هناك الرؤية الإسلامية الصحيحة. فالإنسان محكوم بالقدر الإلهي، وقد اقتضت مشيئة الله أن يخلق الإنسان ويكرمه بالفطرة والعقل والوحي، ويتعهده بالهداية المستمرة وبالرحمة والعفو، فضله على كل المخلوقات، وسخر له الكون، وأسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، وينزل عليه من السماء ما يشاء، يقبل منه التوبة.. كل هذه النعم من أجل أن يؤدي وظيفته كما أرادها الله من عباده بمعناها الواسع، وبما يتضمنه من فرائض ومعاملات وتعمير الأرض، وتعارف بين البشر، وإعلاء لكلمة الله، ونشر لدينه، ومحاربة أعدائه وإرساء أسس العدالة والحرية والمساواة والحق بين البشر.

ثانياً: إن التجربة الدينية الرهيبة التي شهدتها أوروبا على مدى القرون الوسطى، والتي تمثلت في القهر والتسلط والظلم والإستبداد الذي مارسته الكنيسة ومارسه رجال الدين المسيحيين على جماهير الناس باسم الإله وباسم

الدين. فقد زيف الدين لصالح آباء الكنيسة والإقطاعيين، وظهرت نظريات التفويض الإلهي المباشر، وغير المباشر، وظهرت محاكم التفتيش وصكوك الغفران.. كل هذا من أجل تسخير الناس عنوة ـ باسم الدين ـ لصالح تمتع وبذخ أصحاب الأملاك الإقطاعية، وإقناع الناس بعدم السعي لتحقيق مصالحهم المادية في الدنيا، وأن هذا يغضب الرب، وعلى قدر الإذلال والعنت والقهر في الدنيا يكون النعيم في الآخرة. ولم تسمح هذه العقائد بأي قدر من الحرية للناس، ولا بحق إبداء الرأي، وكان مصير أي مفكر هو القتل أو الحرق. والنماذج على هذا كثيرة جداً، فهناك «جاليليو» وهناك «برونو» وغيرهم. وهذا ما جعل العديد من المفكرين في الغرب يرون أن العلمانية هي الحل، وأنه يجب إقصاء الدين عن الدنيا والمجتمع والسلطة والفكر.

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام والتاريخ الإسلامي لم يعرف شيئاً من هذه التجربة الأوروبية، وعلى العكس، فقد شجع الإسلام العلم والتفكير والمعرفة، وجعل التفكير فريضة، وطلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة، وبدا الإسلام بـ ﴿اقْرَأْ﴾، وكرم الإسلام العلماء وجعلهم ورثة الأنبياء.وقد كان المسلمون هم الذين اكتشفوا المنهج العلمي التجريبي، وهم أول من بحثوا وأبدعوا في العلوم الطبيعية والاجتماعية، والإنسانية. وكان العلماء يلقون كل تكريم من الحكام، وكفل الإسلام حقوق الإنسان بشكل لا يرقى إليه أي ميثاق وضعي؛ ولهذا استقر في وجدان المسلمين ـ على عكس الوجدان الأوروبي ـ أن العلم تابع للدين، وإن العلم ينمو ويتقدم وينجز بشكل أفضل في إطار المنطلقات الإيمانية: العقدية والتشريعية والأخلاقية، وأن الفصل بين الدين والعلم أمر لا يقره الدين وليس في صالح العلم. وبهذا الفهم أنتج المسلمون حضارة إيمانية وعلمية وفكرية، انطلقت منها الحضارة الغربية الحديثة آخذة الجوانب العلمية والفكرية وتاركة الجوانب الإيمانية، وهو سر فشلها في إسعاد الناس.

ثالثاً: النظرية الداروينة خلال القرن التاسع عشر، والتي أحدثت آثاراً هائلة على العلوم البيولوجية والاجتماعية والإنسانية، فالإنسان في التصور الداروني

هو نهاية سلسلة تطور حيواني، وجذوره حيوانية، وقد سار التطور بطريقة آلية حتى وصل الأمر إلى الإنسان. وهذا يعني أن الظروف المادية والصدفة العمياء وقوانين التطور الآلية هي السبب في وجود الإنسان، الذي لا يمكن له أن ينفصل عن أصوله الحيوانية. ومن هنا لا يكون هناك أهداف استراتيجية علياً يسعى لتحقيقها، ولا تكون هناك مبادئ عقدية أو أخلاقية ضابطة لمسيرته، ولا يكون هناك التزام من الإنسان تجاه الإله الذي لا يعترف «دارون» بوجوده، ولا إزاء غيره؛ لأن ما يحكم الإنسان هو نفسه ما يحكم بقية الكائنات، وهو قانون البقاء للأقوى والأصلح بالمعيار المادي الخالص. وإذا كان «داورن» يؤكد أن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق، ويؤكد الماديون «أن المادة أزلية أبدية متطورة»، وأن الإنسان هو أعلى تطور للمادة؛ لأنها وصلت إلى مرحلة الوعي الذاتي، فلا مجال للإيمان بالله، ولا بالقيم الأخلاقية.

ويؤكد «جوليان هكسلي» في كتابه «الإنسان في العالم الحديث» على هذه المقولات المادية الحيوانية للإنسان، حيث يقول: لم يعد الإنسان بعد نظرية دارون يستطيع التغاضي عن أصوله الحيوانية، وبدا لنفسه على أنه حيوان غريب»، وفي ضوء هذه الرؤية الدارونية التي سيطرت على الفكر الغربي ولا تزال حتى اليوم، يكون من العبث أن نتحدث عن منطلقات عقدية أو غيبية أو أخلاقية، فهذه كلها صناعة بشرية، إذا لم تكن نتاج عقل الإنسان الفرد وليس نتاج العقل الجمعي Group min.

وفي ضوء هذه المنطلقات الدارونية أصبح الدين والأخلاق والمعاملات والقيم أموراً بشرية، يمكن تفسيرها في ضوء وظائفها وأدوارها في الحياة الاجتماعية.. وهكذا ظهرت نظرية «سمنر» Sumner في العادات الشعبية Folkway ونظرية «دور كيم» في «الصور الأولية للحياة الدينية» التي يرجع فيها الدين والتصورات الدينية حول القداسة والتحريم إلى حاجات المجتمع التكاملية.. وهكذا تختفي الثوابت والمطلقات العقدية والأخلاقية والقيمية، وتتحول كل الضوابط متغيرات نسبية.

وقد كان للداروينية أثر مهم في تشكيل علم الاجتماع الغربي، ففضلاً عن نمو اتجاه الداروينية الاجتماعية، الذي تزعمه «سبنسر» و«إسبناس» فإن آثارها تتضح عند أنصار الاتجاهات المتصارعة في علم الاجتماع الغربي، فقد تمسك بها أنصار الماركسية، كما تمسك بها أنصار الليبرالية، وقد تمسك كل منهما بفكرتي الصراع والمراحل التاريخية. فالصراع استخدمته الليبرالية لتمجيد الحرية الاقتصادية المطلقة وعدم تدخل الدولة، وطبقت فكرة المراحل التي تشير إلى أن المجتمعات تسير في مراحل تقدمية بشكل تلقائي، لدرجة القول بأن أي تدخل لحماية الفئات الضعيفة أو لتنظيم الاقتصاد لن يفيد، فضلاً عن أنها سوف تؤدي إلى أوخم العواقب، وأن المشكلات الاجتماعية، مثل: التفاوت الاجتماعي الضخم، والفقر المدقع، والبطالة، وارتفاع الأسعار، ومشكلات الأجور، والصراع بين العمال وأصحاب الأعمال... كلها أمور سوف تحل طبيعياً خلال مسيرة المجتمع وبشكل تلقائي.

أما أنصار الماركسية، فاستندوا إلى فكرة الصراع الداروني من أجل تجميع الطبقة الكادحة وتنمية الصراع الطبقي حتى يصل إلى أقصى درجات العنف الثوري، واعتمدوا على فكرة المراحل لوضع سلسلة من المراحل التي ادعوا حتميتها وأنها ستنتهي إلى الشيوعية.

وقد استند «سبنسر» على الداروينية في تبرير النظام الرأسمالي بأزماته المتعددة، واستند «وليم جراهام سمنر» على مبدأ البقاء للأصلح، لتبرير ما يتمتع به أبناء الطبقات العليا من ترف على حساب الطبقات المحرومة، ولسد الطريق أمام الحركات الإصلاحية.

وفي ظل هذه التأثيرات الداروينية المتعددة على الفكر الاجتماعي الغربي، نستطيع تفسير موقف هذا الفكر الرافض للمطلقات والثوابت، سواء تمثلت في معتقدات أو أحكام أو أخلاقيات وقيم. وكذلك نستطيع أن نفسر في ضوئها التوجهات الليبرالية، والبراجماتية، والنفعية، والوضعية، والماركسية

أو المادية عموماً، التي سيطرت على الفكر الغربي وما تزال تسيطر عليه حتى اليوم.

وفي مقابل هذه الأباطيل، نجد أن الإسلام يؤكد تفرد الخلق الإنساني، وأن الله خلقه من طين، ونفخ فيه من روحه، واستخلفه في الأرض، وأرسى له المنهج وحدد له الغايات والوسائل، ووضع له الضوابط والمعايير، ومنحه العقل والحرية التي تمكنه من تحقيق التقدم والنمو في إطار البناء الأخلاقي والقيمي والمعياري، وأسجد له الملائكة وخلق له كل ما على الأرض. فالاختلاف جوهري بين الإنسان الذي كرمه الله واستخلفه وسخر له كل ما في الكون وأسجد له الملائكة وخلقه على صورته، وبين الحيوان الذي سخره الله لخدمة الإنسان.

رابعاً: إن الديانة المسيحية ـ التي يدين بها أغلب الغربيين ـ ديانة محرفة، وفضلاً عن تحريفها فإنها تتصل بالبناءات العقدية والأخلاقية والقيمية مجردة عن الواقع، فلا توجد شريعة مسيحية تفصل القول في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية، وعلى العكس من ذلك فإن هناك من النصوص المنسوبة إلى الإنجيل تؤكد عدم تدخل الدين في تنظيم المعاملات الدنيوية مثل «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»، ومثل: «طوبى للفقراء لأنهم يعاينون الله»، ومثل: «ليست مملكتي على هذه الأرض ولكن مملكتي في السماء»، فقد جاء المسيح بجرعة روحية كبيرة لهداية خراف بني إسرائيل الضالة كما عبر عن هذا الإنجيل، وللحد من التطرف المادي، واقتصار كل الاهتمام بالحياة والمصالح الدنيوية. لهذا كانت رسالة السيد المسيح موغلة في الروحانية والأخلاقية القيمية، ولم تول اهتماماً تفصيلياً بحياة الإنسان في المجتمع.

وبغض النظر عن مدى صدق نسبة هذه الأقوال إلى المسيح ـ عليه السلام ـ، فإنها تكريس للعلمانية وفصل للدين عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يعيشه الإنسان.

خامساً: نقل صورة مشوهة للإسلام إلى الغربيين، سواء عن عمد أم عن غير عمد، وفي مقدمة الذين ساهموا في تشويه الإسلام مجموعة من المستشرقين الحاقدين على هذا الدين، وفي مقدمتهم «جولدتسيهر» خاصة في كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي».

هذا إلى جانب الخوف المرضي من سيادة الإسلام وانتشاره؛ لأنه يحقق العدل والمساواة والأخوة الحقيقية في إطار ضوابط أخلاقية وقيمية، وفي هذا تهديد للمصالح الخاصة بالشركات الغربية العملاقة والتكتلات الاقتصادية، والاحتكارات والأساليب الملتوية في المعاملات؛ لأن العديد منها يضحى بكل القيم والأخلاقيات في سبيل الربح وتحقيق التراكمات الرأسمالية والتوغل في المجتمعات، بما في ذلك الاتجار في المخدرات والأعراض والأسلحة وإلهاب نيران الحروب، . . . إلخ.

لقد عرف العديد من مفكري الغرب الإسلام الحقيقي، ولكنهم لم ينقلوا صورته الصحيحة لشعوبهم، وهذا يرجع إلى محاولة وقف المد الإسلامي في الغرب، وهو يمثل ظاهرة ملحوظة وقوية. فأبنية القوة في الغرب لا تخشى على نفسها من انتفاضة المسلمين في العالم الإسلامي فحسب، ولكنها تخشى ـ وبشكل أكبر ـ من انتشار الإسلام بين الغربيين أنفسهم، وكذلك فإن هناك تقصير أكيد من المسلمين في تعريف الغرب الإسلام الصحيح.

سادساً: الإعجاب المرضي والتمركز الشديد حول الحضارة الغربية بمنجزاتها، سواء الاجتماعية (الحريات المطلقة والأساليب في التخطيط والتنظيم والإدارة. . .) أو المادية (العلمية والتكنولوجية)، وعلماء الغرب بحكم تنشئتهم في المناخ الغربي يتحيزون للثقافة الغربية التي تحيل الدين إلى خيار شخصي. والواقع أن العديد من مفكري الغرب ـ حتى أشدهم قناعة بالعلمانية ـ يعترفون قبل نهاية حياتهم بأهمية الدين الذي تنكروا له كثيراً في كتاباتهم، وهذا يعني غلبة الفطرة السوية عليهم حين دنو الأجل، وبعد أن تزول الغشاوة التي وضعتها الثقافة أو الحضارة الزائفة على أعينهم.

والدليل على هذا ما أكده زعيم العلمانية الفرنسية «سان سيمون» قبيل وفاته أو في لحظات احتضاره، حيث أكد: «أنه لا يهدف إلى إحلال العلم محل الدين، وإنما يهدف إلى التوفيق والتعاون بين العلم والدين، لأن كلاً منهما لازم لسعادة الإنسان».

وكذلك أكد «سبنسر» ـ رائد الداروينية الاجتماعية الأول في علم الاجتماع ـ أكد في مؤلفاته الأخيرة: «أن العلم لا يمكنه الزعم بأنه قد كشف الغموض الذي حاول الدين أن يتكلم باسمه، ولا زالت المعرفة ـ كل المعرفة ـ نسبية، والدين له مجاله، والعلم له مجاله، ويستطيعان من خلال التصالح بينهما أن يسهم كل منهما في تطور البشرية وارتقائها».

وينطبق نفس الأمر على «أجست كونت»، الذي ربط الدين بالتخلف والعلم بالتقدم، وأكد الاختلاف الجذري بين مناهج اللاهوت، ومناهج التفكير الوضعي. فقد أكد في نهاية حياته «أنه الإسلام كدين للتوحيد يتمشى مع الحالة الوضعية لخلوه من الغموض ومن العبث، وتميزه بالعلمية وبساطة شعائره».

ونفس الأمر ينطبق على زعيم الإلحاد والمادية «كارل ماركس» الذي قال في مراسلاته مع البابا في نهاية حياته: «إنه لم يك أبداً الهاتف بموت الإله الذي لم يتنكر له ـ حسب زعمه ـ وإنما كان يسعى لتحرير الإنسان».

وبغض النظر عن صدق مضامين هذه الأقوال وأهدافها، فإنها تشير إلى حقيقة الفطرة الدينية، ووجوب التوجه الديني إلى الخالق، وإلى أثر المناخات الاجتماعية والثقافية والمصالح والأيديولوجيات الكاذبة في طمس هذه الحقيقة وذلك التوجه، وإنه يظهر حتى عند كبار الملحدين لحظة دنو الأجل.

سابعاً: اقتران الإسلام ـ في نظر الغرب ـ ببعض الاتجاهات التي تحرك العنف والثورة والإرهاب، وهي اتجاهات تنتسب للإسلام اسماً ولكنها منحرفة عن جوهر الإسلام الحقيقي، فمن أهم مناهج الإسلام في التغيير والإصلاح: التدرج والإقناع وليس الثورات والعنف.

ثامناً: العداء التاريخي بين الإسلام والغرب، فقد انتشر الإسلام في الغرب لاعتناق الناس عقيدته ومبادئه الأخلاقية عن قناعة وطيب نفس، ولكن الغرب المسيحي والكنيسة الغربية ظلا يناصبان الإسلام عداءاً شديداً، وما يزال الغرب حتى الآن يخشى التوسع الإسلامي الذي امتد تاريخياً إلى إسبانيا وكاد يتوغل في فرنسا، وقد عمقت الحروب الصليبية العداء بين الغرب والإسلام، وخاصة وأن الإسلام له مشروع حضاري، عقدي وشرعي وأخلاقي واجتماعي وثقافي، يختلف جذرياً من حيث المنطلقات والأساليب والأهداف عن المشروع الغربي، وما تزال الحروب الصليبية تمارس ضد المسلمين اليوم في مناطق عديدة من العالم كالبوسنة والهرسك، وكشمير والفليبين، وغيرها، وما يزال الغرب مصراً على اقتلاع الإسلام من أوروبا.

تاسعاً: النزعة العنصرية المسيطرة على الفكر الغربي والتي تعلي من قدر الإنسان الغربي، وتحط من قدر الإنسان في القارات القديمة. وقد ظهرت هذه النزعة العنصرية عند عالم الاجتماعي الفرنسي «لوسيان ليفي بريل» في كتابه «العقلية السابقة على المنطق» Pre - Logical Mentality، كما ظهرت في النزعة الجوبنية نسبة إلى «أرتو دي جوبينو» A.De Gobuneau صاحب دراسة بعنوان: «النظام الاجتماعي ودعائمه الطبيعية 1898م» و«فاشي دي لابوج» A. De la Pouge في فرنسا صاحب دراسة بعنوان: «اصطفاءات اجتماعية». ويحاول هؤلاء العنصريون فهم قضايا التقدم والتخلف والتنمية في ضوء عوامل بيولوجية عرقية، لا أساس لها من العلم أو الواقع.

عاشراً: ومن بين أهم عوامل العداء للدين في الفكر الغربي، مجموعة قوى لعبت دوراً مهماً في صياغة هذا الفكر وتشكيله، سواء على المستوى التاريخي أو المعاصر، وفي مقدمة هذه القوى المنافقون والصهاينة. فقد حُرِّفَت المسيحية في العالم الغربي، وامتزجت بعناصر وثنية وتحت تأثير عوامل عدة، منها الإمبراطور الروماني «قسطنطين» الذي فرض المسيحية على الإمبراطورية الرومانية.

يقول «دوربيير» الباحث الأمريكي في كتابه «النزاع بين الدين والعلم»: «دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا مناصب عالية وخطيرة في الدولة الرومانية، والذين تظاهروا بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوماً من الأيام. وكذلك «قسطنطين» فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا قليلاً في أواخر عمره عام 237م. ولقد ارتكبت كل المنكرات والمهازل من استغلال اقتصادي، وتسلط سياسي، وظلم اجتماعي، وانحراف أخلاقي، حتى داخل دور العبادة نفسها باسم الدين. ولعل هذا هو أحد أسباب العداء الظاهر والباطن لدى العديد من مفكري الغرب تجاه الدين عامة، دون تمييز.

أما عن دور القوى الصهيونية، فقد استغلت سخط الناس على رجال الدين المسيحي من قساوسة وكهنة، واستطاعت بدهائها وخبثها وابتكاراتها في مجال الشر، أن تحول هذا السخط على ممثلي الدين المسيحي خلال حقبة تاريخية محددة إلى سخط على الدين عامة أيّاً ما كان مصدره. وقد استهدفت من وراء هذا تحطيم الأخلاق والولاءات الدينية والقيم العليا في حياة الإنسان، الأمر الذي ييسر للصهيونية السيطرة على مقدرات العالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية دون مقاومة تذكر. ونجد هذا واضحاً في أعمال كبار المفكرين الأوروبيين المعاصرين، مثل «ماركس، دور كيم، كونت، فرويد، دارون، . . . إلخ».

لقد حاول «ماركس» إلغاء الإيمان بالغيب وقاد حملة شرسة على الدين ناظراً إليه أنه أساس الظلم والطبقية والاستغلال. . وحاول «كونت» إلغاء الدين بوصفه مُدَعِّماً للتخلف ومضاداً للعلم المادي، كما حاول إقامة دين وضعي يحل فيه الإنسان محل الإله. وهذا ما فعله «دور كيم»، الذي أرجع الدين والمفاهيم الدينية والأخلاقية إلى العقل الجمعي، وأنكر عالم الغيب، وحول الدين إلى ظاهرة اجتماعية. وهذا ما فعله «فرويد» الذي روج لفكرة إطلاق غرائز الإنسان ضماناً لصحته النفسية والابتعاد عن الكبت والصراعات والعقد النفسية، وهذا ما

فعله «دارون» الذي حاول الترويج لفكرة أن الإنسان ليس إلا امتداداً للمملكة الحيوانية، وأن ظهوره ليس إلا نتيجة صدفة عمياء، وأن وجوده ليس له هدف محدد. وتشير «بروتوكولات حكماء صهيون» إلى موقف الصهاينة إزاء الدين، فقد جاء فيها: «يجب أن نعمل على أن تنهار الأخلاق في كل مكان لتسهيل سيطرتنا. إن فرويد منا، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس، حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق».

وكذلك جاء في البروتوكولات: «لقد رتبنا نجاح دارون، وماركس، ونتشه، بالترويج لآرائهم، وأن الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد».

حادي عشر: مهما قيل عن التعصب الديني المسيحي عند الغربيين، فالواقع يبين إنه لا ينبثق عن انتماء عقدي وأخلاقي وقيمي، ولا عن قناعة بأهمية البعد الديني في حياة الإنسان، ولكنه أقرب إلى النعرات العرقية والقبلية والقومية من جهة، وإلى الدفاع عن مصالح اقتصادية ومادية وأوضاع قائمة، من جهة أخرى. فالنمط الغربي للسلوك والعلاقات يخالف تماماً نمط الأخلاق والمعايير والقيم الدينية، بما فيها الأخلاق المسيحية، فالإباحية والربا والاستغلال الاقتصادي والتسلط السياسي واستخدام الجنس والمخدرات، وكل الأساليب الخبيثة في إدارة الأعمال.. كلها أمور لا تتفق مع النسق الأخلاقي لأي دين سماوي، ولا تحتل القيم الأخلاقية والواجبات الدينية هناك إلا ساعات محدودة خلال الأسبوع، يقضيها بعض الناس في الكنيسة يوم الأحد، والغالبية لا يذهبون إلى الكنيسة إطلاقاً. وقد أكد لنا البحث الميداني الذي كشف عن أن نسبة كبيرة من شرائحه لا تعترف بوجود إله، ولكن النعرة الدينية تستثار عندهم في مواجهة كل ما يهدد نمط الحياة والسلوك والمصالح المادية السائدة عندهم، وهذا ما جعلهم يخططون بكل الوسائل ضد الإسلام بالذات، لأنه يتضمن مشروعاً حضارياً يستند إلى الأخلاق والقيم التي تنبثق من العقيدة والشريعة الإسلامية،

وهذا في نظري لا يعني الالتزام بالمسيحية عقيدة وأخلاقاً وقيماً، ولكن يعني الدفاع عن المصالح والخوف المرضي من الإسلام الذي يقضي على كل ضروب الاستغلال والإنحراف المكرس لخدمة النخبة الاقتصادية والسياسية والعسكرية المسيطرة في الغرب. فالتعصب المسيحي الغربي يؤدي وظيفة الحفاظ على نموذج الحياة والمصالح الغربية، في مواجهة أية محاولات لتغييرها.

ولما كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتضمن إقامة مجتمع تسوده مبادئ العدالة والإخاء، ويؤسس على الأخلاق والقيم، أو على المنهج الإلهي الذي يحول دون الانحرافات في كافة صورها، نجد أنه هو الدين الذي يتركز ضده التعصب والهجوم الغربي من كل جانب، وقد لاحظنا هذا في فكر ماركس، وكونت، وفيبر، وفوكوياما، وهنتنجتون، والعديد من المستشرقين.

تعامل الغرب مع القرآن الكريم
(رؤيــة واقعية)

د. عمر مختار القاضي
عضو المكتب الفني برابطة الجامعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

يجدر بنا تقسيم هذا الموضوع إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول نتناول فيه: منزلة القرآن الكريم، والرسول ﷺ، عند أهل الغرب.

ونخصص المبحث الثاني لترجمات القرآن الكريم من جانب المسلمين والمستشرقين.

أما المبحث الثالث فسنفرده لمشروع مقترح لخدمة أمهات الكتب الإسلامية.

المبحث الأول

منزلة القرآن والرسول والدين عند أهل الغرب

القرآن الكريم كتاب عالمي:

لا أظن أن كتاباً قد حظي بشهرة عالمية مثل القرآن الكريم، ولا رجلاً مثل محمد ﷺ، ولا ديناً مثل الإسلام الذي ذاع انتشاره في مختلف الأمم لأكثر من

أربعة عشر قرناً من الزمان دون أن يفقد جوهره ولا وثائقه الأولى، وبقي نصه باللغة التي أنزل بها وعلى حاله منذ نزوله إلى اليوم.

ولذلك يجدر بنا أن نصدر ورقتنا هذه بإلقاء الضوء على منزلة القرآن والرسول والإسلام عند المسلمين وغير المسلمين.

ماهية القرآن عند المسلمين:

القرآن الكريم هو الكتاب الذي نزل به الوحي جبريل لفظاً ومعنى من عند الله على محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين. وهو آخر الكتب السماوية وختامها وناسخ لما قبله من شرائع، ولذلك نزل القرآن معجزاً في ذاته، وقد بين الله ذلك بقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، وقد أخذ الله على نفسه عهداً بحفظ القرآن، كما جاء في قوله تعال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ﴾ [الحجر: 9] ذلك لأن وجوده محفوظاً يغني عن الرسل، فيجده الناس مرجعاً للفصل بين ما اختلفوا فيه، والعلماء الذين يفسرونه والدعاة الذين يبلغونه للناس وينصحونهم بآياته هم بمثابة سفراء الرسل. والمسلمون في الغرب يؤمنون بالقرآن، ويقيمون شعائرهم وفقاً لأحكامه، ويجادلون به، ويسألون عن أحكامه.

القرآن عند غير المسلمين:

غير المسلم يعتبر القرآن كتاباً ألفه محمد ونسبه إلى الله كذباً. وإن كان هناك من غير المسلمين من يعتقد في مجيء خاتم الأنبياء والمرسلين، إلا أنه لا يؤمن بأنه هذا الرجل. ووجه الغرابة في هذا النظر أن إنكاره نبوة محمد وختمه للأنبياء والمرسلين يعني تسليمه بخلو الزمان من الرسل لفترة تزيد عن ألفي عام، فإذا كان التشكيك في نبوة محمد إبان العهود الأولى للإسلام يلقي قبولاً لدى فريق من الناس ينتظرون مجيء رسول آخر ينازعه ليقضي على دينه وينشر كتاباً عالمياً غير القرآن، فإن مرور فترة طويلة، زادت عن أربعة عشر قرناً، منذ نزول

القرآن ودون مجيء ذلك الشخص المنتظر، كاف لليأس من تلك المزاعم الباطلة وهجر تصور بعثة رسول آخر غير محمد، يأتي بدين عالمي جديد.

إن غير المسلمين لا ينكرون على محمد عظمته كإنسان، بل منهم من وضعه أول العظماء مطلقاً في تاريخ البشرية، وهو العالم الأمريكي غير المسلم الذي ألف كتاباً بعنوان «العظماء مائة» ووضع محمداً أول هؤلاء العظماء. وقام بترجمة ذلك الكتاب إلى العربية الكاتب الكبير أنيس منصور تحت عنوان «العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ». وهذه الرؤية تحمل في طياتها تناقضاً واضحاً مع منطق العقل، إذ كيف يرى أهل الغرب إنساناً من أكابر العظماء أو هو أكبرهم، ويصفونه بالكذب في أقبح صوره وهو ادعائه النبوة وتأليفه كتاباً لينسبه إلى الله. هل العظماء يكذبون؟ إنك لو قلت لرجل استعمر الأوروبيون بلاده: إن نيلسون كان كذاباً ونابليون وديجول، فلا غرابة في أن يقول لك، بالرغم من كراهيته للمستعمر: ما حاجة هؤلاء الرجال الأقوياء إلى الكذب والدجل. فما بالك بمن قال عنه الناس إنه من أعظم البشر أو هو أعظمهم على الإطلاق.

إن التحليل العقلاني لهذه الأمور وغيرها هو ما يدفع كثيراً من الناس في الغرب إلى اعتناق الإسلام، وهو ما يجعل المسلمين أشداء على عقيدتهم، حتى في عصور ضعفهم، فالمرتدين عن الإسلام يقلون بكثير عن الداخلين فيه؛ لأنه دين يمثل شريعة مكتملة ومحفوظة لا تضيع معالمها مع الزمان.

إن التدقيق في هذه الأمور هو الذي دعانا إلى هذه الندوة التي تضاف لأهميتها إلى الندوات التي عقدت حول الاستشراق وحول ترجمة معاني القرآن الكريم. ذلك أن موضوع ندوتنا هذه هو «القراءة الغربية للقرآن الكريم» وهو يملي علينا أن نتفهم الظروف القائمة في الغرب، ونزن الأمور بمنطق العقل الإنساني المشترك، عسانا أن نهتدي إلى سلام يعم الأنفس، وأن نكون ملتزمين بقول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

وزن الدين في الثقافة الغربية:

وقبل أن نتعرض لتعامل الغرب مع القرآن الكريم، يجدر بنا أن نشير إلى البلد الذي اتخذناه نموذجاً لبحث هذه القضية وتحليلها. هذا البلد هو فرنسا، الدولة التي لها سبق الثورة على الطغيان، فلا أحد يجهل الثورة الفرنسية التي اتخذتها بقية الشعوب الأوروبية منهجاً في سعيها إلى الحرية.

لقد أسفرت تلك الثورة عن إعلان حقوق الإنسان وكفالة الحريات العامة. ولكن الطغيان الذي قامت الثورة ضده كان طغياناً سياسياً، يشكله مزيج مركب من السلطة الزمنية والسلطة الدينية، ولذلك كانت الثورة ضد الملك والكنيسة معاً.

ومنذ تلك الثورة والشعوب الأوروبية تنزلق بتدرج أملس نحو الإلحاد، دون أدنى شعور بخطورة ذلك الوضع، فالدين بمختلف صوره يشكل لهذه الشعوب هاجساً من الخوف، خوفاً من عودة محاكم التفتيش التي كانت تقمع حريات الناس، وتسرف في إدانتهم بالكفر وتعاقبهم عليه بأشد العقوبات وأبشعها.

إن نعمة الحرية نعمة غالية وامتلاكها يدفع الأمم إلى التقدم والرقي، وبالفعل تقدمت أوروبا منذ قيام الثورات ضد الطغيان والدكتاتورية، حتى أصبحت تلك البلاد قلاعاً للديمقراطية مما أدى إلى تقدمها صناعياً وتكنولوجياً، فنشرت نموذجها من الحياة المدنية في العالم بأسره. أما الولايات المتحدة الأمريكية فلا تعدو أن تكون خلفاً لأوروبا، وعلى الخصوص للمملكة المتحدة، ولكنها علت على أسلافها وصار تأثيرها أشد في القوى السياسية والاقتصادية العالمية. ومما يدخل أيضاً في مفهوم الغرب المتقدم كندا وإستراليا والسويد والدانمارك والنرويج... إلخ.

وفي المقابل قامت في أوروبا الشرقية الثورة العمالية ضد الظلم والطغيان فأسفرت عن المعسكر الشرقي والمبادئ الماركسية، وامتدت آثارها إلى الشعوب الآسيوية، خاصة الصين، أكبر دولة في العالم من حيث التعداد السكاني.

والظلم والطغيان الذي قامت ضده الثورة العمالية كان هو أيضاً مزيجاً من السلطة الزمنية والسلطة الكنسية، فأصبح الدين في نظر الثوار مخدر الشعوب. وهكذا صار المعسكران، بالرغم من تقدمهما الصناعي والتكنولوجي، ينبذان الدين ويعتبرانه عاملاً من عوامل التخلف. وباتت العادات والتقاليد المتوارثة، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الشباب من الجنسين، ضرباً من المعوقات البالية، ومن ثم يكون للشباب مطلق الحرية في الاستمتاع الجنسي، ولو كان بين أفراد من نفس الجنس، فصار اللواط والسحاق في عداد الحرية، وأصبح للمتماثلين جنسياً حق الإقدام على زواج رسمي تعترف به الدولة. وأصبحت المصايف على شاطئ البحر مرتعاً للعراة، بل وتطالب جماعات من تلك الشعوب بأن يكون العرى حقاً للناس حتى في المدن.

ولما إنهار الاتحاد السوفياتي أسفر عن استقلال دول شعوبها مسلمة، ولكن أحكام الإسلام باتت غريبة عليهم. وربما يكون النظام الشيوعي قد فشل في القضاء على عقيدة هذه الشعوب، ولكنه قضى على حق ممارسة الشعائر الدينية وحارب تعليم الدين، وغرس فيها إدمان السكر والإباحية الجنسية وعدم الاكتراث بالحياة الآخرة التي تنتظر الناس بعد موتهم.

وفي الوقت الذي كان نجم الإتحاد السوفياتي يميل إلى الغروب، كانت الجاليات الإسلامية في أوروبا تسعى إلى إحياء الإسلام، ذلك الدين الذي يقاوم الإنحلال والإباحية، ويحافظ على أخلاق الإنسان وكرامته.

وأدت هذه الظروف إلى خوف يتزايد يوماً بعد يوم لدى حكومات الدول العلمانية الأوروبية من شبح عودة الدين، وخاصة أنه في هذه المرة هو الإسلام، العدو التاريخي لأوروبا. ومن هنا علت الأصوات التي تنادي بأن الإسلام هو الأيديولوجية التي يجب على أمريكا والغرب محاربتها بعد سقوط الإتحاد السوفياتي وتفككه. ومن ذلك ما شهدناه من استكانة طويلة نسبياً أمام محاولات الصرب لإبادة مسلمي البوسنة والهرسك، وفتن كوسوفو، ومحاربة روسيا للشيشان... إلخ.

سمات الثقافة الأوروبية أو الغربية في الوقت الراهن:

إن الثقافة الأوروبية في العهود الماضية كانت مسحتها مسيحية، أما في الوقت الراهن فمسحتها علمانية تميل إلى الإلحاد أكثر من الإيمان. وقد أثر ذلك على الإسلام والمسلمين، وعلى قراءة الغرب للقرآن الكريم؟

مما لا شك فيه أن الثقافة الغربية قديماً كانت تلفظ تصور أن يكون الإسلام ديناً لشعوب أوروبا أو لجزء منها، وكانت تنظر إلى رسول الله محمد على أنه ليس رسولاً وإنما تراه مؤلفاً للقرآن، ومن ثم يجب عدم السماح لهذا الدين بالإنتشار في أوروبا، وذلك الفكر كان ظاهراً في كتابات المستشرقين. أما اليوم فهناك شرائح ليست قليلة من شعوب الغرب تعتنق الإسلام، وينظر للقرآن الكريم باعتباره كتاب المسلمين الغربيين ومن مقدساتهم الواجبة الإحترام.

وفي ظل هذه القضايا نجد إنتشار ترجمات حديثة لمعاني القرآن الكريم في أسلوب مهذب ليس فيه تعريض بالرسول ﷺ. وإن كان كثير من هذه الترجمات تتسم بإنعدام الدقة والأمانة.

ومن ثم نجد إقبال أعداد من الناس على الإسلام، ومحاولة تفهمه، والتعامل معه.

أحداث 11 سبتمبر 2001م وإنتشار الخوف من الإسلام

أدت أحداث 11 سبتمبر إلى اتجاه الكثيرين إلى التعرف على الإسلام، فنشطت وانتشرت المؤلفات التي تعالج مسائل دينية، منها الصالح ومنها الطالح، وأدت هذه الموجة إلى توجه الإعلام الغربي ضد الإسلام في حملة شعواء:

أ ـ على المسلمين أن يحذفوا من نصوص الدراسات الدينية ما يحمل العداء والكراهية ضد المخالفين لدين الإسلام. ولم يسكت ذلك الصوت، وإنما أخرجوا مصاحف محذوف منها كل إنذار يتعلق باليهود والنصارى.

ب ـ ظهرت على الإنترنت مواقع عدائية ضد الدين الإسلامي، ونصوص محرفة غير مفهومة وضعت تحت عنوان القرآن الكريم، وذلك شيء خطير لا يجب السكوت عليه.

هذه الأمور لم تحدث تأثيراً كبيراً فلا زال الإقبال على القرآن الصحيح هو الغالب على كل البشر، وذلك ما يصدق قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وليس معنى الحفظ اختفاء محاولات التحريف وإنما معناه أنه لا يصح غير الصحيح، فلا ينتشر غير القرآن كما أنزل من السماء، أما المحرف فينزوي فتذهب ريحه. ومن ذلك أن المطلع على القرآن الكريم من غير المسلمين لا يحب أن يكون مطلعاً على نسخة مزورة. لأنه وقع ضحية تضليل قام به المزور، ومن السهل عليه أن يكتشف ذلك بسؤال كثير من المثقفين، أو بتناول مصحف من مسجد أو مركز إسلامي، أو بمقارنة ما معه بمواقع أخرى على الإنترنت تعرض القرآن عرضاً سليماً.

إن المتأمل في محاولات الغرب الساعية إلى تعتيم حقيقة أن القرآن الكريم وحي من عند الله، يجد أن هذه المحاولات ليست فقط محاولات واهية، بل إن ما يورده الغرب من حجج للدلالة على أن القرآن من تأليف محمد، أغلبها يبدو للقارئ المنصف جلياً، على أنه دليل صدق الرسول العظيم وأصالة رسالته الخالدة، ومن ذلك ما يلي:

* يقولون إن القرآن ليس فيه حماية لحقوق الإنسان وحريته، بدليل أن به آيات تنظم الرِّق، ولو كان رسالة من السماء لألغي الرِّق.

الـرد:

إن دلالة صدق النُّبوَّة تكمن في ذلك الوضع، إذ لو لم يكن القرآن رسالة من السماء، لاشترى أعداداً كبيرة من الناس بمكافأة دنيوية، هي الحرية التي لا تُقدر بثمن، ولو لم يكن محمد رسولاً بحق لتطلعت طموحاته إلى تقليب عبيد العرب، والفرس والروم وأكثر، على أسيادهم بمجرد أن يعلن أن اعتناق

الإسلام يجعل العبد حُراً. ولكن لا يليق رسالة أصيلة نزلت من السماء أن تهدف إلى جذب كثير من الناس بظاهر لسانهم وليس بصدق قلوبهم، وأين يكون الإيمان الصادق بالغيب والآخرة لو أغرينا العبيد بالحرية مكافأة دنيوية على دول الإسلام!

وعلى ذلك النهج كانت الرسالات السماوية السابقة، فلم ينقل عن عيسى ولا عن موسى ولا عن إبراهيم ـ عليهم جميعاً الصلاة والسلام ـ أنهم أعلنوا حرية العبيد مقابل دخولهم في الإيمان، ذلك لأنهم لم يكونوا قادة حروب وثورات، وإنما كانوا جميعهم رُسلاً يدعون إلى الدين الحق كما سماه إبراهيم الخليل الإسلام.

ولكن رسالة الإسلام الخاتمة حثّت الناس على تحرير العبيد طواعية، وجعلته كفّارة لذنوبهم، وأغلق خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وصحابته من بعده كافة أبواب الرق المدني، ولم يسمحوا بالاسترقاق إلا في الحرب ومعاملة المثل بالمثل مع العدو. بل إن القرآن الكريم فتح باباً للإنفاق من حصيلة الزكاة على تحرير العبيد ﴿. . . وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: 177]. فلا يجوز لحاكم أن يتقاعس عن تحرير كافة العبيد في كل زمان؛ لأن حصيلة الزكاة واجبة على أمة الإسلام وهي تقدر بالمليارات أو بالترليونات، إن صدقوا ـ الحكام والمحكومين ـ أمام الله في أداء ما عليهم من التزامات.

* يقولون إن محمداً ألّف القرآن، نقلاً عن الراهب «بحيرا» في مقابلة واحدة، أو باختلاء بنفسه في الغار قبل ندائه بالإسلام عدة مرات خلال عام أو عامين قبل بعثته.

الـــرد:

هل رأوا من قبل عبقرياً يسرع في تحصيل العلوم إلى هذه الدرجة، ثم يبطيء في إخراج كتاب لا يتجاوز خمسمائة صفحة على مدى اثنين وعشرين

عاماً، ويتحدى الناس خلال هذه المدة بالإتيان بسورة تضاهي ما نزل عليه من سور القرآن في الحكمة والبلاغة، ثم يتحداهم بالإتيان بمثله بعد تمامه!

إن أي قارئ محايد للقرآن، لو قرأه بترتيب نزوله لعادت عليه تلك القراءة بفوائد جمَّة، ولو قرأه بترتيب الوحي الأخير، كما هو بين أيدي المسلمين الآن، لعادت عليه الفائدة كاملة، وكذلك لو قرأ سورة بعد سورة مرتبة أو متفرقة على أي تنظيم شاء، لخرج بفوائد كبيرة، فأي كتاب يكون هذا الكتاب؟ أيكون من تأليف بشر؟!

* يعيبون على القرآن اشتماله على أحكام منسوخة.

الـرد:

لو كان محمد هو الذي ألَّفه لكان من السهل عليه مراجعة تنسيقه، ومحو الآيات ذات الأحكام المنسوخة.

إنهم يعيبون على الله ـ تعالى ـ تدرجه بالناس في الأحكام، ولا يعيبون ذلك على مجالسهم المختصة بسن القوانين، فلا ينسبون إليها البداء والخطأ، وإنما يعزون تغيير القوانين لتغير الظروف، وفي الوقت نفسه يعيبون ذلك على الله الرؤوف الرحيم بعباده.

• • •

المبحث الثاني

المسلمون والمستشرقون وترجمات معاني القرآن الكريم

(نموذج الترجمات الفرنسية)

إن الغالبية العظمى من المسلمين الغربيين يهتمون بتعليم أبنائهم في المدارس الأوروبية لتأهيلهم للمشاركة في منظومة العمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي يقوم عليها ذلك المجتمع الكبير. ولا يتاح للتلاميذ ولا لطلاب

الجامعة فرصة التعامل مع القرآن الكريم، فهم يجهلونه، وربما يعلمون بعض آياته وقصار السور التي تعينهم على أداء الصلاة. وقليل منهم من يتمكن من حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية في المدارس التي ينشئها المسلمون لتتلقى التلاميذ في غير أوقات مدارسهم العادية. وأخيراً أنشئت مدرسة إسلامية، الأولى من نوعها منذ عام مضى، تقوم بتدريس البرنامج الدراسي العام بالإضافة إلى تعليم القرآن الكريم والمواد الدينية الإسلامية، وتغطي مراحل التعليم المدرسي كاملة، وبذلك سوف يخرج التلاميذ من هذه المدرسة إلى الجامعة وهم يحملون ثقافة إسلامية معقولة.

كما أن هناك على المستوى الجامعي كليتي الدراسات الإنسانية بباريس وشاتو شينون، وهما من مستوى الدراسات العليا. وهناك عدد من المساجد والجمعيات الدينية التي لها أنشطة خيرية وتربوية.

إن المنتظر من الدراسات الإسلامية، بدءاً من دراسة القرآن الكريم وتفسيره وانتهاء إلى الدراسات العليا، هو تخريج معلمين وعلماء يستطيعون تلبية حاجة المسلمين المتزايدة إلى تعلم أحكام الدين ومعرفة كيفية تطبيقها، وكذلك تلبية حاجة غير المسلمين إلى التعرف على الإسلام الصحيح.

والسؤال: هل يتحقق ذلك على الوجه المطلوب؟

الإجابة: إن فرنسا على سبيل المثال بها حوالى ستة ملايين من المسلمين، يحتاجون إلى قادة فكر من العلماء والمفكرين، وصف ثان من المعلمين والخطباء وأئمة المساجد بعدد مناسب لتثقيف وتعليم الجالية المسلمة. فهل هذه النسبة تحققت على الوجه المطلوب؟

الإجابة: لم تتحقق تلك النسبة على الوجه المطلوب، بسبب قلة النسبة للمؤسسات التي تهتم بالتعليم والثقافة الإسلامية. حتى إن قادة الفكر هنا يمثلون دائماً قلة نادرة، وقليل منهم من تتوفر فيه صفة العالم، فأغلبهم يعملون بالسياسة

مع ضعف إلمامهم بالإسلام كشريعة ترتكز على قواعد وأصول أساسية تتعلق بالعقيدة والتفسير والفقه وأصوله. . . إلخ.

إن المثال الحي لقادة اليوم هو «طارق رمضان» الذي هو ثمرة طيبة لأسرة من المسلمين الذين هاجروا من مصر إلى فرنسا، فساعدت ظروفه الأسرية على تكوينه تكويناً قوياً ليكرس جهوده إلى الحوار مع الآخر وإلى الدفاع عن الإسلام، ولكنه لا يعير قضية نشر المعرفة بالإسلام من خلال القرآن الكريم وترجمة معانيه اهتماماً كافياً. وكذلك كان الحال مع المفكر الفرنسي الراحل وهو «رونيه جينون» الشيخ «عبد الواحد يحيى» أستاذ الفلسفة الذي بدأ مثل غيره يتعرف على الإسلام من خلال الثقافة الغربية، ولكنه أسلم ـ في بداية القرن العشرين ـ ومات في منتصف القرن بعد أن أسلم على يديه أكثر من أربعين ألفاً من خيرة الفرنسيين، وتكاثروا فزاد عددهم اليوم عن مليون فرنسي أصيل في جنوب فرنسا. وجميع هؤلاء أسهموا بتجربة الإنخراط في ذكر الله الجماعي، وليس بالإطلاع المستمر على ترجمات معاني القرآن الكريم.

ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية:

أولا: نماذج من الترجمات التي قام بها المسلمون:

إن تعامل المسلمين مع القرآن الكريم يتسم بأنه تعامل آمن، وهو يعتمد على ترجمات معاني النصوص. وقد قام المسلمون بالأعمال الآتية في هذا المجال:

- ترجمة معاني القرآن الكريم: د. محمد حميد الله، وتقع حوالى 600 صفحة من القطع الوسط، صفحة عربية يقابلها صفحة فرنسية. وهي ترجمة نصية واسعة الانتشار، وتكرر طباعتها من أكثر من دار نشر، وقام بنشرها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ترجمة د. نور الدين بن محمود: وهي ترجمة نصية مصحوبة بالنص العربي

وبكتابة الآيات بالحرف الفرنسي، في ثلاثة أعمدة في الصفحة الواحدة. وتقع في حوالى 700 صفحة من القطع الكبير.

- ترجمة د. زينب عبد العزيز: ترجمة نصية وتقع في حوالى 800 صفحة تجمع النص العربي ويقابله الترجمة الفرنسية، من إصدارات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.
- ترجمة د. سي حمزة أبو بكر: وهي ترجمة مصحوبة بتعليقات تفسيرية، وتقع في حوالى 200 صفحة من القطع الكبير، صفحة عربية يقابلها صفحة فرنسية. وهي ليست واسعة الإنتشار لحجمها ولإرتفاع ثمنها، ويقبل عليها الخاصة، دار النشر المختصة بها: Maisonneuve & Larose باريس.
- ترجمة د. صلاح الدين كشريد: وهي ترجمة مصحوبة بتعليقات إيضاحية، وتقع في حوالى 550 صفحة من القطع الكبير، تعددت طبعاتها من دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر ـ بيروت.
- ترجمة تفسير الطبري في طبعة من ثلاثة مجلدات من القطع الكبير وتزيد على 6000 صفحة، ولا يتكرر نشرها لضخامتها.
- ترجمة د. محمد بن شقرون: يعرض النص العربي، ثم ترجمة المعاني مع التفسير بالفرنسية، ويقع في عشرة مجلدات متوسط عدد صفحات المجلد الواحد 250 صفحة، طبع بالمغرب.

ثانياً: نماذج من ترجمات المستشرقين الفرنسيين:

- ترجمة Denise Masson ولها عدة طبعات: في باريس طبعة Folio وتقع في حوالى 1000 صفحة من القطع الصغير، نص فرنسي فقط. وطبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بمراجعة الشيخ صبحي الصالح، وتقع في 800 صفحة، نص عربي يقابله النص الفرنسي.
- ترجمة Kazimirski باريس وتقع في حوالى 800 صفحة من الحجم الصغير، نص فرنسي.

- ترجمة Regis Blachere باريس، الناشر: Maisonneuve & Larose وتقع حوالى 750 صفحة من الحجم المتوسط يصحبها إضافات وتعليقات بعضها مضلل.
- ترجمة Jacques Berque لها طبعتان في باريس: الأولى 1990م، الناشر: Sindbad وكانت مليئة بالتعليقات المشككة التي أثارت عليها الانتقادات من كل جانب، مما دفع المؤلف إلى تقديمها إلى ثلاثة أشخاص لمراجعتها، وهم: د. محمود العزب الأستاذ بقسم اللغة العبرية بجامعة الأزهر، والشيخ عبد الحميد شيران، مفتي Lyon بفرنسا، وعبد السلام العجيلي، كاتب سوري. وبناء على تلك المراجعة خرجت الطبعة الثانية في 1995م ضمن منشورات Albin Michel وتقع في حوالى 800 صفحة من الحجم المتوسط، نص فرنسي فقط. ولا تزال تلك الترجمة غير مرضية، حتى بعد المراجعة. وللدكتورة زينب عبد العزيز كتاب يكشف ما بها من مغالطات.
- ترجمة Jean Grosjean دار نشر Philipe Lebeau وهي ترجمة نصية تقع في حوالى 400 صفحة من القطع الصغير وتحمل النص الفرنسي فقط.
- ترجمة André Chouraqui دار نشر Robert Laffont وهي ترجمة غير أمينة ومشوهة لمعاني القرآن في مواضع كثيرة وهامة، وتحمل تعليقات مضللة. تقع في حوالى 1300 صفحة من القطع المتوسط.

ثالثاً: ترجمات المسلمين لمعاني القرآن الكريم ينقصها جانب هام:

لا أستطيع في هذه الورقة الموجزة أن أتوسع في نقد ترجمات معاني القرآن الكريم المنشورة في عصرنا، وأذكر أن جمعية الدعوة الإسلامية قامت بندوتين دوليتين في هذا الصدد، ولكنني ألاحظ على جميع تلك الترجمات التي قام بها مسلمون، أنها غير مصحوبة بالتعليقات التي ترفع من ذهن القارئ غير المسلم ما قد يتوهمه من تناقض بين الآيات، ومن ذلك على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 6 ـ 7]
هذه الآية سهلة الترجمة من حيث اللغة، ولكن ترجمتها النصية تؤدي إلى توهم القارئ تناقضها مع قول الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125] إن هذه الآية لا بد وأن يصحبها تعليق على ترجمتها أو تفسير يبين معنى الكفر وماهية الإنذار الذي تتكلم عنه. فالكفر في هذه الآية معناه واضح وهو إنكار وحدانية الله، وهو لا ينسب إلى شخص لم يصله العلم الصحيح، فأهل الفترة يرحمهم الله، ولو شاب عقيدتهم أخطاء موروثة لا يعلمون بكذبها، ويقول الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62] وسبب نزول الآية أن سلمان الفارسي، رضي الله عنه، سأل رسول الله ﷺ عن أهل الدير، وكانوا نصارى صفة صلاتهم كذا وكذا، وقد أرشدوه بما يعلمون عن موعد بعثة خاتم المرسلين ومكانه، وبناء على ذلك تمكن من الوصول إلى رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: إنهم في النار لأنه منذ بعثته وهو محسوب على الأمم. فاغتم سلمان لأن هؤلاء الناس لهم فضل عليه، وكانوا سبباً فيما هو فيه من نعمة الإيمان وصحبة الرسول ﷺ، فنزلت الآية، فقال سلمان كأن جبلاً نزل من على صدري. وذلك يتوافق مع قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

أما إنكار وجود الله والحياة الآخرة بالمرة فهو أمر غير مقبول، لأنه مخالف للفطرة وفيه جحود لآية الكون التي نراها جميعاً كتاباً مفتوحاً يصل إلى علم الناس كافة، فمن جحد أن وراء ذلك الكون المنظم إله فلا عذر له.

أما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]، فلا ينبغي الأخذ في الاعتبار أن الختم يدوم إلى الممات، وإلا لما وجبت الدعوة، ولاستحال إسلام الناس يوم فتح مكة.

ويرتفع الوهم إذا علمنا أن الإنذار نوعان: إنذار بوجود الله ووحدانيته

وإنذار بطاعته، وإن الذين كفروا بوجود الله ووحدانيته سواء عليهم أأنذرتهم بطاعته (الصلاة والصيام والزكاة والحج. . . الخ، وتلك الأمور واجبة على كافة الناس) أم لم تنذرهم بها، فلن يطيعوك ما داموا على كفرهم. فيجب توجيه الدعوة، أي الإنذار بوجود الله، إلى الكافة، فإذا لم يشفع ذلك فيهم، فلا تنذرهم بالطاعة، فلن يؤمنوا أي لن يطيعوا ما داموا على كفرهم، وذلك هو ختم على قبول القلوب الطاعة في حالة الكفر، فإن رجعوا عن الكفر فأنذرهم بالطاعة أي علمهم الفرائض والمحرمات والمباحات والمندوبات والمكروهات.

وقد توهم بعض المستشرقين تناقضاً بين آيات القرآن التي تحسب لخلق السموات والأرض ستة أيام، وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ. . .﴾ [فصلت: 9 ـ 12] لأن الآيات هذه الأخيرة ذكرت ثمانية أيام.

أما القراءة الدقيقة فتدحض مثل هذا الزعم، فأول الكلام حسب لخلق الأرض يومين، ثم أربعة أيام للجبال وتقدير الأرزاق على ذات الأرض المخلوقة في يومين، فربما تكون بداية الأيام الأربعة المذكورة مع أول يوم من اليومين المذكورين في الآية السابقة، فيكون الزمن المستغرق في خلق الأرض والجبال وتقدير الأرزاق أربعة أيام يضاف إليها اليومان المذكوران في الآية التالية، فيكون المجموع ستة أيام فيذهب التناقض الموهوم.

وقد يكون الأمر غير ذلك، كأن تكون بداية الأيام الأربعة تالية لليومين المذكورين في الآية السابقة، فليس في الآية دليل قاطع بجعلنا نتمسك بالاحتمال الأول، وفي هذه الحالة تخرجنا القراءة الدقيقة من وهم التناقض، إذ إن اليومين الأخيرين المتممين للأيام الثمانية جاءا في سياق آية نصها: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ. . .﴾ ولم تقل الآية فخلقهن. فهي تشير إلى فتق السماء والأرض اللتين خلقتا في الأيام الستة المذكورة سابقاً، بدليل أن الآية السابقة ذكرت وجود

السماء مع الأرض عندما قال الله لهما: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا . . .﴾ فيكون الله سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام، ثم فتقهن في يومين بعد ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: 30].

وقد يتشكك القارئ في صلاحية أحكام الإسلام لكل زمان ومكان، عندما يقرأ قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: 187] فالعالم اليوم كله متصل، والمسلم يوجد في كل مكان، فهل إذا كان في القطب الشمالي يكون عليه صيام؟ سيموت إذا حاول أن يتمه إلى الليل وفقاً للآية، وربما حل شهر الصيام وحوله الليل لوقت طويل، فهناك لا يمكن اتباع المواقيت العادية. ويرتفع الاستغراب إذا علم قارئ القرآن سمة الوسطية في التشريع (وهو مبدأ تعرفه المجتمعات عند وضع القوانين) وهو أن صياغة الأحكام تكون وفقاً للأحوال والظروف العامة والعادية والزمانية والمكانية. . أما تطبيقها في الأماكن الاستثنائية فيقتضي اجتهاداً خاصاً، وعلى ذلك يمكن مراعاة التوقيت بالساعة للصوم والصلاة في القطب الشمالي، فيصوم المسلم 12 ساعة ويفطر مثلهن، طوال الشهر الذي يكون قد بدأه مع المسلمين، ويقيم شعائر العيد عند انتهائه. وكذلك يقسم الصلوات الخمس في أوقات موسعة على الأربع وعشرين ساعة. فاليوم في تلك الأماكن يقدر بالساعات، ولم يقل أحد بأن اليوم قدره سنة هناك.

ومن ناحية أخرى فإن ترجمات معاني نصوص القرآن الكريم تخلو من بيان الأحكام التي طرأ عليها التدرج، مثل الخمر، وفيه قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: 67]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

هذه أمثلة تبين أن ترجمات معاني النصوص، وإن لم تكن مصحوبة بحد

أدنى من البيانات الإيضاحية، يمكن أن توقع القارئ في الشكوك وتوهم التناقضات. ومعالجة ذلك يجب أن تكون بمعرفة مجموعة من المتخصصين في الترجمة والتفسير والفقه، بهدف نشر أعمال حديثة على نطاق واسع.. وبناء على ذلك، نقترح مشروعاً لخدمة أمهات الكتب الإسلامية ومطبوعات التراث الفقهي بتزويدها بالشروح والتعليقات المعاصرة لفائدة عامة الناس في الشرق والغرب.

● ● ●

البيان الختامي وتوصيات الندوة العلمية
حول القراءة الغربية للقرآن الكريم

كلية الدعوة الإسلامية ـ 3 ـ 4 الكانون 1373و.ر (ﷺ) الموافق 2005 مسيحي

في إطار التعاون المستمر بين كلية الدعوة الإسلامية ورابطة الجامعات الإسلامية، واستشعاراً للمهمة الملقاة على عاتق المثقفين والباحثين في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، انتظمت بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس في الفترة 3 ـ 4 الكانون 2005 مسيحي ندوة علمية حول: «القراءة الغربية للقرآن الكريم» افتتحت بآيات من الذكر الحكيم أعقبتها كلمة الدكتور محمد فتح الله الزيادي عميد كلية الدعوة الإسلامية الذي رحب بالمشاركين الذين يمثلون خمس عشرة جامعة ومؤسسة بحثية من العالم العربي وأوروبا، وأكد على أهمية هذا الموضوع الذي يأتي في ذروة الهَجْمَة على الإسلام ديناً وثقافةً وحضارةً وهي الهجمة التي يجب مواجهتها بالبحث العلمي الموضوعي بعيداً عن التشنج والميل إلى العواطف، مستهدفين تنبيه العالم الإسلامي إلى خطورتها والحذر منها، وفي الوقت ذاته تنبيه ذوي العقول المنصفة في المجتمع الغربي للعمل في اتجاه الموضوعية العلمية المؤدية إلى احترام الديانات والثقافات والخصوصيات والحضارية.

وتحدث بعد ذلك الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية، شاكراً لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية جهودها في خدمة الإسلام والمسلمين، مشيراً إلى التوقيت الجيد للندوة

والموضوع المهم الذي تتناوله، ومؤكداً على ضرورة اتحاد المؤسسات الأكاديمية والبحثية والهيئات الدعوية والثقافية الإسلامية لمواجهة التحديات التي تواجه المسلمين في العالم المعاصر، والتي يجب أن تهتم أولاً بإنتاج خطاب إسلامي معاصر يوجه إلى الآخر بلغته وبما يناسب ثقافته، لقطع خط الرجعة على كل المحاولات لتشويه الإسلام أو الاستخفاف بالقرآن الكريم.

واختتم حفل الافتتاح بكلمة الدكتور محمد أحمد الشريف أمين عام جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، رحب في بدايتها بالمشاركين وأكد أهمية هذه الندوة مشيراً إلى أن الأخ العقيد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية نبه قبل ثلث قرن إلى أهمية القرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ باعتبار أن القرآن الكريم مصدر الثواب في الإسلام وأن شخصية الرسول ﷺ هي الأساس الثاني للثوابت وأن وفاته ﷺ هي الفيصل بين الدين والتراث، وأن غض النظر عن الثواب يوقعنا في محاذير خطيرة، ولعل التطرف الذي عانينا ونعاني منه الآن قد أدى إلى نتائج خطيرة بسبب الاعتماد على رؤى ضيقة بعيدة عن الفهم الحقيقي للإسلام. وقال الأخ الأمين إننا نلتقي اليوم لنناقش موضوعاً مهماً على الجانب الآخر وهو رؤى الآخرين للقرآن الكريم دراسة وبحثاً وهي قديمة جداً وتتصف إجمالاً بالعدائية للقرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ ، وهو أمر وثقته دراسات المستشرقين وغيرهم دينياً وسياسياً وعسكرياً، وفي مقابل ذلك برزت دراسات غربية جادة وإيجابية ومعتدلة علمياً، ولكن المزعج أنه بعد سقوط المعسكر الشرقي أصبح الإسلام هو العدو المعلن غربياً ورسمياً عند كل المسؤولين السياسيين وذوي الشأن الثقافي في العالم الغربي وهذا العداء المتحكم في العقل الأوروبي تمثل في مراحل ثلاثة:

الأولى: الحروب الصليبية.

الثانية: الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي.

الثالثة: ما بعد 11 سبتمبر وهي مرحلة العداء الصريح للإسلام.

وختم الأخ الأمين كلمته بالإشارة إلى أنه إذا كان الغرب يبرر هذه العدائية

بمواجهة التطرف فإن النتيجة ستكون ميلاد تطرف أشد وأعنف لدى كافة المسلمين المعتدلين الذين لا يرضون ولا يمكن أن يسكتوا على التطاول على كتابهم المقدس أو نبيهم المرسل ﷺ . ولذلك تأتي هذه الندوة لمساعدة كل الناس على التخلص من الجهل بالإسلام، ولنقول لكل المؤسسات العلمية الغربية: تعالوا إلى الدراسة العلمية والمنهجية والموضوعية الخالصة لمعرفة الحقيقة وليس للسب أو الشتم. وهذا اقتداء بالقرآن الكريم الذي فتح المجال لمحاورة الآخر مهما كانت حقيقته، حتى ولو كان الشيطان ذاته.

بدأت بعد ذلك الندوة في استعراض محاورها حيث تم على مدى يومين استعراض عدد من البحوث ناقشت محاور الندوة الست وهي:

1 ـ القراءة الغربية للقرآن الكريم «رؤية تاريخية».

2 ـ القراءة الغربية للقرآن الكريم «رؤية واقعية».

3 ـ منهجية القراءة الغربية للقرآن الكريم.

4 ـ السياسي والديني في التعامل مع القرآن الكريم.

5 ـ آثار التعامل الغربي مع القرآن الكريم على علاقة المسلمين بالغرب.

6 ـ دور الجامعات الإسلامية في تصحيح المفهوم الغربي عن القرآن الكريم.

وخلصت الندوة من خلال عروضها ومناقشاتها إلى إقرار ما يلي:

1 ـ الدعوة إلى التوسع في دعم برامج حفظ القرآن الكريم وتقرير أجزاء مناسبة منه يتم تدريسها وتحفيظها للناشئة في مختلف مراحل الدراسة، في مدارس الدول الإسلامية مع إحياء دور المؤسسات التي كانت تهتم بتحفيظ القرآن الكريم (الكتاتيب) في مختلف الدول الإسلامية.

2 ـ دعوة الجامعات الإسلامية إلى التعاون من أجل إقامة هيئة إسلامية عالمية متخصص في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، ويكون من مهامها مراجعة الترجمات الموجودة حالياً.

3 ـ تشجيع كافة الدراسات والأبحاث الجادة التي تعنى بإعطاء التفسيرات العميقة للقرآن في الكليات والمؤسسات العلمية المتخصصة في هذا الشأن.

4 ـ إنشاء مرصد إسلامي عالمي لكافة الأبحاث والدراسات التي تظهر على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) والتي تتناول القرآن الكريم خاصة والإسلام عموماً وتبويبها وتحديد اتجاهاتها والرد عليها رداً علمياً هادفاً. وإظهار الدراسات الغربية الإيجابية للقرآن والإسلام. وذلك باللغات العالمية.

5 ـ إعداد برامج إعلامية جادة (مرئية ومسموعة) تثبت في العقل المسلم القرآن الكريم وتوضح علومه وأسس تفسيره.

6 ـ متابعة وكشف الدراسات التي تظهر في العالم الإسلامي والتي تدعو إلى قراءة جديدة للقرآن الكريم بغير ضوابط، الأمر الذي يؤدي إلى تفريغ المحتوى الإيماني للقرآن الكريم وجعله نصاً تراثياً يمكن التحكم في فهمه وتأويله، والعمل على تنبيه المؤسسات البحثية والأكاديمية إلى خطورة تأثيراتها.

7 ـ دعم برامج تعليم اللغة العربية، وتعميق الفهم باللسان العربي لتأصيل الفهم السليم للقرآن الكريم.

8 ـ توجيه الباحثين والدارسين وخاصة في أقسام الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية إلى الاهتمام بنقد ودراسة كافة الأبحاث التي تصدر عن المستشرقين والمتغربين على السواء والتي تحاول التشكيك بالقرآن والإسلام، أو تشويههما.

9 ـ دعوة المؤسسات الأكاديمية إلى التواصل مع الفضائيات في كافة أنحاء العالم لعرض الأخطار والمحاذير التي يحملها كتاب (الفرقان الحق) وغيره من الأبحاث التي تتناغم معه.

10 ـ الدعوة إلى عقد ندوة لمراكز طباعة القرآن الكريم في العالم لبحث حصانة خاصة بالقرآن الكريم على الشبكة الدولية حتى يمكن التمييز فيها بين المصاحف السليمة، والمصاحف التي تحمل الأخطاء أو التحريفات.

11 ـ اقتراح إنشاء جائزة دولية للباحثين الغربيين المنصفين تجاه الإسلام والقرآن الكريم.

12 ـ التأكيد على دعم التواصل بين الجامعات الإسلامية من أجل توحيد الرؤى والمواقف والجهود للوقوف أمام كل خطر يهدد الإسلام ويمس ثوابته.

13 ـ إنشاء مؤسسة ترجمة ونشر تعمل على الترجمة الدقيقة للكتب الجيدة التي تعرف بالإسلام وثقافته قديماً وحديثاً، باللغات الأوروبية الكبرى.

14 ـ فتح تخصص الإعلام وإنشاء مراكز تدريب إعلامي عملي في الكليات الشرعية الأكاديمية، وذلك لجميع التخصصات الإعلامية.

ختاماً: يتقدم المشاركون في الندوة بالشكر الجزيل إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وكلية الدعوة الإسلامية والقائمين عليها على هذه الندوة وحسن تنظيمها وحفاوة الاستقبال مشيدين بالجماهيرية العظمى ودورها الرائد في الدفاع عن القرآن الكريم والفكر الإسلامي.

المشاركون في ندوة العلمية بعنوان: القراءة الغربية للقرآن الكريم
مساء يوم الأحد الموافق 04/ 12/ 1373و.ر (ﷺ) ـ 2005 مسيحي

الفهرس





WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY
Association Mondiale de L'Appel Islamique